



جامعنا القرآن الكريم والعالم الإسلامي

نصف سنوية - علمية - محكمة - تصدر عن عمادة البحث العلمي والتأليف والنشر

السنة الثالثة والعشرون - العدد (٤٤) شوال ١٤٤١هـ - يونيو ٢٠٢٠م - الصادر في ربيع الآخر ١٤٤٢هـ - نوفمبر ٢٠٢٠م

العدد

44

توجيهات لفظية ومعنوية في سورة السجدة

د. ابتسام بنت بدر عوض الجابري

جدال القرآن الكريم لغير المسلمين (الأساليب والخصائص)

د. صلاح إبراهيم عيسى

احتفالية الوعدة بالجزائر وأدوارها في التنمية المحلية

د. بووشمة الهادي

المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم دوره السياسي

د. أحمد مبارك بابكر

The Nonfictional Short Story of Prophet Moses and Al-khidr

(peace be upon them)

د. عبد الله الشيخ إدريس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَنْفَكُّوْنَ ۝٤٤﴾

صدق الله العظيم

[النحل: ٤٤]



وعن المقداد بن معدي كرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ:

(أَلَا إِنَّي أُوتِيْتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنَّي أُوتِيْتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ..)

[أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين، برقم ١٦٥٤٦]

فهرس المكتبة الوطنية - السودان
مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
شركة سينان العالمية للطباعة
ص : 389 إيض ؛ 24 سم
رمدد X 599 - 1858 ISSN
أ. العنوان :
الخرطوم أم درمان ص . ب 1495

الإشراف العام وهيئة التحرير

المشرف العام
أ.د. عمر السيد الطيب العباس ود بدر
(مدير الجامعة)

رئيس التحرير
د. عبد العزيز حسن فضل البصير
(عميد عمادة البحث العلمي والتأليف والنشر)

مدير التحرير
د. أسامة أحمد حسن محمد
(رئيس قسم النشر العلمي والتأليف والنشر)

هيئة التحرير

د. صلاح إبراهيم عيسى أحمد
د.إسماعيل عبد الله عمر
د.محمد حسن سالم
د.مبارك إبراهيم التجاني
د.سادات فيصل عبد الفتاح
د.مهند فاروق محمد أحمد
د.محمد أحمد عمر أحمد
د.صالحة محمد بشارة عبد الله
د.ياسر محمد محمد أحمد التوم
د. محمد علم الدين معروف أحمد
د.عاطف عثمان عبد الله الحسين

المدير الفني

د. عبد الله منير المكّي البخاري
(رئيس القسم الفني وتقانة البحوث)

مستشارو التحرير

أ.د. محمد حسين سليمان أبو صالح
أ.د. عمر محمد حامد إبراهيم
أ.د. محمد علي أحمد
أ.د. سعد الدين منصور
أ.د. عبد الله محمد الأمين أحمد
أ.د. إكرام محمد صالح
أ.د. حمزة حسن سليمان
أ.د. محمد السر محمد طه
أ.د. أيمن محمد عبد القادر الشيخ
أ.د. طه عابدين طه
أ.د. محمد توم حامد علي بشارة

سكرتارية التحرير

د. أسامة عبدالله علي
أ.إياس محمّد علي
أ.جمال عوض بشير
أ.معان خليل خليل
أ.محمد حسن إبراهيم

المدقق اللغوي

د. خوجلي بشير محمد
د. خالد عبد الله علي

المراجعة النهائية والمنهجية

د. دفع الله حمد الله حسين
د. موسى الأمين الزبير

الرّسائل :

ترسل الرسائل باسم رئيس التحرير على العنوان التالي: .
جمهورية السودان - أم درمان - (ص.ب: 1459 -) 85/330627 (249)+
أو من خلال البريد الإلكتروني: E-mail:dsresearch@quran-unvedu:sd

ضوابط النشر ومعايره

تُعنى المجلة بنشر البحوث الأصلية والمنتكرة في مجالات العلوم والدراسات الإسلامية والعربية بمختلف فروعها وتخصصاتها، وفاءً بمقتضيات الرسالة العلمية للجامعة، وذلك وفقاً للضوابط والمعايير الآتية:

- [1] أن يهدف البحث إلى إبراز رسالة الجامعة وتحقيق أهدافها الرامية لتأكيد هوية الأمة وتأصيلها، والعناية بعلوم القرآن والسُّنَّة باستصحاب المنطلقات الفكرية الإسلامية المستوعبة لقضايا العصر المتفاعلة مع المجتمع.
- [2] أن يتسم البحث بالأصالة والجودة والموضوعية وأن يشكّل إضافة جديدة إلى رصيد المعرفة، مع الالتزام بمنهج البحث العلمي من التوثيق والعزو وتخريج الأحاديث النبوية من مصادرها الأصول كالبخاري ومسلم ونحوهما.
- [3] ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قُدِّم للنشر لدى أية جهة.
- [4] يجب ألا يقل عدد صفحات البحث عن 20 صفحة ولا يزيد عن 30 صفحة.
- [5] أن يكون البحث مطبوعاً على الحاسب الآلي بخط (Traditional Arabic) مقاس (18)، مع ترك هامش على جانبي الصفحة بمقدار 2.5 سم، وتكون الحواشي تحت كل صفحة.
- [6] أن تقدم نسخة ورقية من البحث على أن يكون مطبوعاً على وجه واحد من الورقة، مع إرفاق نسخة على أسطوانة مدمجة (CD).
- [7] تُعرض البحوث المقدمة للمجلة على عدد من المحكِّمين لتقويمها وفق استبيانة معدة لذلك لبيان مدى صلاحيتها للنشر.
- [8] يخطر الباحث بصلاحية بحثه للنشر أو عدمه بعد أسبوعين من وصول قرار المحكِّمين؛ وإدارة المجلة غير ملزمة بتوضيح الأسباب في حالات عدم القبول.
- [9] لإدارة المجلة حق تقديم أو تأخير نشر أي بحث بحسب أولويات النشر لديها.
- [10] لا تُعاد البحوث التي لا يوافق على نشرها إلى أصحابها، ولصاحب البحث أو وكيله، تسلُّم من رئاسة التحرير.
- [11] البحوث المنشورة بالمجلة لا تعبّر عن رأي الجامعة.

كلمة العدد

الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً و نذيراً، له ملك السموات والأرض. خلق كل شيء فقدره تقديراً .

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فبحمد الله سبحانه وتعالى، وتوفيقه يصدر العدد (44) من مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والذي يشمل مجالات مهمة ببحوث قيمة نرجو أن ترفد المكتبة الإسلامية والعلمية بشتى أصناف البحوث في التخصصات المختلفة رفعة للأمة ونفعاً للمجتمع.

فمن الجامعة شارك هذا العدد:

- كتب د. المليح عبد الله عبد العزيز أستاذ العقيدة المشارك بكلية القرآن الكريم ببحث بعنوان: البركة معناها ومفهومها والاختلاف فيها.
- وكتب د. أسامة محمد جمعة الأستاذ المساعد بكلية التربية عن: مظاهر الانحراف العقدي في الشعر.
- وتناول د. عبد الله الشيخ إدريس الأستاذ بكلية التربية بحثاً باللغة الإنجليزية عن: قصة سيدنا موسى - عليه السلام - والخضر.
- بينما تناول د. صلاح إبراهيم عيسى الأستاذ المشارك بكلية القرآن الكريم: جدال القرآن الكريم لغير المسلمين (الأساليب والخصائص).
- وأسهم د. دفع الله حمد الله حسين الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية ببحثه: صور عطف الجمل في سورة الإسراء.
- وكتب د. أحمد مبارك بابكر الأستاذ المشارك بكلية التربية عن: المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم وزنه السياسي.

ومن خارج الجامعة أسهم في الكتابة:

- د. أحلام العطا محمد عمر الأستاذ المشارك ومنتدبة بجامعة الملك فيصل بالمملكة العربية السعودية تناولت: دور الشباب الجامعي السوداني في العمل

محتويات العدد

- v 1 كلمة العدد
د. عبد العزيز حسن فضل البصير - رئيس التحرير
- 1 2 البركة: معناها ومفهومها والاختلاف فيها
د. المليح عبد الله عبد العزيز
- 29 3 مظاهر انحراف الشعر العربي عن العقيدة الإسلامية
في العصرين: العباسي والحديث
د. أسامة محمد جمعة داؤود
- 53 4 جدال القرآن الكريم لغير المسلمين (الأساليب والخصائص)
د. صلاح إبراهيم عيسى
- 67 5 توجيهات لفظية ومعنوية في سورة السجدة
د. ابتسام بنت بدر عوض الجابري
- 131 6 صور عطف الجمل في سورة الإسراء
د. دفع الله حمد الله حسين
- 155 7 تأملات في الجانب الخلفي في قصة موسى (عليه السلام) والمرأتين
د. ليلى بشر أحمد المهدي
- 179 8 دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي
د. أحلام العطا محمد عمر
- 213 9 دلالات العلاقات العامة من منظور إسلامي
د. محمد يوسف إبراهيم
- 241 10 احتفالية الوعدة بالجزائر وأدوارها في التنمية المحلية
د. بووشمة الهادي
- 269 11 المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم دوره السياسي
د. أحمد مبارك بابكر
- 287 The Nonfictional Short Story of Prophet Moses and Al-khidr
(peace be upon them)
د. عبد الله الشيخ إدريس

الاجتماعي التطوعي (دراسة مطبقة على عينة من كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة النيلين).

- و د. ليلي بشر أحمد المهدي الأستاذ المساعد بكلية التربية قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الجنيينة اختارت لبحثها: تأملات في الجانب الخلفي في قصة موسي عليه السلام و المرأتين.

- وتناول د. محمد يوسف إبراهيم الأستاذ المشارك في جامعة سنار: العلاقات العامة من منظور إسلامي .

أمّا من خارج السودان فقد أسهم كل من:

- د. بووشمة الهادي- المركز الجامعي بتامنغست جمهورية الجزائر يبحثه : احتفالية الوعدة بالجزائر و أدوارها في التنمية المحلية (مقاربة سوسيو انتروبولوجية بمنطقة سبدو.

- ومن المملكة العربية السعودية أسهمت د. ابتسام بنت بدر الجابري من جامعة أم القرى ببحثها: توجيهات لفظية ومعنوية في سورة السجدة ،(الجزء الأول) والجزء الثاني سينشر في عدد في عدد قادم إن شاء الله.

* ونحن إذ نشكر للأخوة الباحثين إثارتنا ببحوثهم القيمة، نسأل الله لهم ولجميع من أعان في إخراج هذا العدد أن يوفقهم إلى ما يصبون إليه. ووفق الله تعالى من كتب، ومن أخرج، وطبع ونفع من قرأ ، آمين.

د. عبد العزيز حسن فضل البصير

رئيس التحرير - عميد العمادة

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

د.المليح عبد الله عبد العزيز¹

مقدمة :

إنَّ الزمانَ الذي نعيشُه قلَّتْ أو انعدمت فيه البركة؛ فالأرض لا تُخرِجُ ما فيها من الثمار، والسماء لا يَنزُل منها إلا القليل من الأمطار، وفي الحياة اليومية نجد أنَّ الذي عندنا وإنْ كَثُرَ ينفد، ولا يدوم خيره. وصار حال الناس في هلعٍ وجشعٍ وطمعٍ. فهل غفلنا عن البركةِ وحقيقتِها وكنهِها؟! أمْ أنَّ ذلك من شُومِ معاصينا ومخالفاتنا الشرعية! وبعدها عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وطريقه ومنهجه!. وكل ذلك عندنا فنسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب علينا وأن يأخذ بأيدينا ونواصينا للبر والتقوى.

وهذه رسالة عن البركة والتي هي من صميم المعتقد ومطالب الشريعة؛ وهي أصل الحياة البشرية وبها قوام معاشهم، والله عزَّ وجلَّ أنزل البركة في الأرض حين خلقها، ومع آدم عليه السلام منذ هبط إليها قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ٩ ﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءٍ لِلسَّالِفِينَ ﴿ [سورة فصلت: 9 ، 10]؛ ومع نوح عليه السلام بعد أن رست سفينته فيها، كما قال تعالى: ﴿ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِنَّا وَبَرَكَتٍ عَلَيْنَا وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمْ لَمَنَّهُمْ فَوَآخِشٌ مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ [سورة هود: 48]. وكلَّ إنسان بفطرته يطلب ويسأل ربه تبارك وتعالى أن يبارك له ويبارك فيه وفيما عنده، ولا يستطيع أحدٌ أن يعيش بدون بركة الله عزَّ وجلَّ، ولو جمع ما في الأرض جميعاً.

عنوان البحث وأهميته وأهدافه:

عنوان هذا البحث: «البركة معناها، مفهومها، مدلولها، واعتقاد الناس فيها» .

ومما يدل على أهميته غفلة الناس في هذا الزمان عن البركة، وكذلك الجهل بها حيث يقع بعضهم في طلبها من غير الله تعالى؛ وهذا من أعظم الذنوب والخطايا، كما يقع الإنسان فيما ينافي البركة ويذهبها ويمحقها والله المستعان. فبيان المعتقد فيها، وبيان مسالك الشريعة في تحريها وتطبيق ما من شأنه حصولها أمر في غاية الأهمية،

1 أستاذ العقيدة المشارك بكلية القرآن الكريم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

ومن الأهداف التي يسعى البحث إلى تحقيقها:

- 1- التنبيه على أهمية البركة، وضرورتها في الحياة.
- 2- توضيح الطرق الشرعية في طلب البركة.
- 3- التحذير من التبرك الشركي والبدعي.
- 4- خطورة المعاصي والذنوب في محق البركة.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثاً مستقلاً عن البركة، وأكثر الباحثين يتناولونها ضمن الحديث عن التبرك في جزئية التبرك المشروع، أو يتناولها شراح الصحاح والسنن في الأحاديث الواردة عن البركة. ومن الدراسات السابقة التي تطرقت للموضوع بصورة عامة:

- 1- الشرك ومظاهره، لمبارك بن محمد الميلي الجزائري.
- 2- التبرك وأنواعه وأحكامه، للدكتور ناصر بن عبد الرحمن الجديع.
- 3- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، للدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

هيكل البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي: المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومباحثه على النحو التالي:

- المبحث الأول: حقيقة البركة معناها مفهومها وورودها. وفيه ثلاثة مطالب :
- المبحث الثاني: الاعتقاد في البركة والوسائل المشروعة لتحصيلها.
- المبحث الثالث: المخالفات العقدية في البركة.
- الخاتمة. تحتوي على النتائج والتوصيات.

منهجية البحث :

البحث عن البركة يتعلق باللغة والعقيدة والشريعة، والاعتماد على النصوص الواردة في الكتاب العزيز والسنة المطهرة والاعتماد على ما صح منها، وعزوها إلى

مواطنها، ومن ثمّ أقوال أهل العلم في بيانها وتفسيرها وفقهاها. فهو منهج تحليلي استقرائي؛ إضافة لذلك:

- عزوت الآيات التي وردت في البحث مبيناً اسم السورة ورقم الآية.
 - عزوت الأحاديث إلى مصادرها.
 - نقلت الأقوال من مصادرها الأصلية.
 - ترجمت للأعلام الواردة في البحث.
 - ختمت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها والتوصيات.
- وأسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا مباركين حيث كنا وأن ينزل البركة ويديمها لنا فيما رزقنا وأن يبارك في هذا المكتوب وينفع به كاتبه ووالديه وجميع المسلمين.

المبحث الأول: حقيقة البركة معناها مفهومها وورودها

المطلب الأول: معنى البركة في اللغة والاصطلاح

البركة في مادة «برك»: الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعاً يقارب بعضها بعضاً. يقال بَرَكَ البَعِيرُ يَبْرُكُ بُرُوكًا. قيل البرك يقع على ما بَرَكَ مِنَ الْجِمَالِ والنُّوقِ على الماء أو بالفلاة، من حرّ الشمس أو الشَّبع، الواحد بَارِكٌ، والأنثى باركة. وأنشد في البرك أيضاً:

بَرَكَ هُجُودٌ بِفَلَاةٍ قَفْرٍ *** أَحْمَى عَلَيْهَا الشَّمْسُ أَبْتُ الْحَرِّ

والبرك أيضاً كُلُّكَ البعير وصدرة الذي يدكُ به الشيء تحته. تقول: حَكَّهُ ودَكَّهُ بِبَرَكَهِ. قال الشاعر:

فَأَقْعَصَتْهُمْ وَحَكَّتْ بَرَكَهَا بِهِمْ *** وَأَعْطَتِ النَّهْبَ هَيَّانَ بَنَ بَيَّانِ

والبركة: ما ولي الأرض من جلد البطن وما يليه من الصدر، من كل دابة. واشتقاقه من مَبْرَكَ الإبل، وهو الموضع الذي تبرك فيه، والجمع مبارك⁽²⁾.

والبركة: محرّكة النماء والزيادة، والسعادة. والتبريك الدعاء بها. وبريك مبارك فيه. وبارك الله لك، وفيك، وباركك، وبارك على محمد، وعلى آل محمد آدم

2 معجم مقاييس اللغة لابن فارس، 1/229. دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، بدون.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

له ما أعطيته من التَّشْرِيفِ والكرامة. وتبارك اللهُ تَقَدَّسَ وَتَنَزَّهَ، صَفَةً خَاصَّةً بِاللَّهِ تَعَالَى، وبالشَّيْءِ تَفَاعُلَ بِهِ⁽³⁾.

وقد استعملوا المعنى في غير ذلك؛ فقليل ابتركوا في الحرب أي ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبركاء الحرب وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابتרכת الدابة وقفت وقوفاً كالبروك، وسُمي مَحْبَسُ الْمَاءِ بِرُكَّةٍ، والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: 96] وسُمي بذلك لثبوت الخير فيه ثبوت الماء في البركة، والمبارك ما فيه ذلك الخير، قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [سورة الأنبياء: 50] تنبيهاً على ما يفيض عليه من الخيرات الإلهية⁽⁴⁾.

وفي الحديث: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ. وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»⁵. أي: أثبتت وأدمت ما أعطيته من التشريف والكرامة وهو من بَرَكَ البعير إذا ناخ في موضع فَلَزِمَهُ. وتُطْلَقُ البركة أيضاً على الزيادة؛ والأصل الأوَّلُ⁶.

قال ابن منظور⁷: «البركة النماء والزيادة والتَّبرُّك الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة يقال بَرَكْتُ عليه تَبْرِيكاً، أي: قلت له بارك الله عليك وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه وضع فيه البركة وطعام بَرِيك كأنه مُبارك؛ وقال الفراء⁸: في قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ﴾

3 القاموس المحيط للفريز أباذي، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي - (18/3). دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ / 2001م.

4 المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد خليل - (44/1). دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، بدون.

5 صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الآداب، حديث رقم 934، (16/2). طبعة دار التراث العربي، بيروت، لبنان، بدون.

6 النهاية في غريب الحديث لأبي السعادات، المبارك بن محمد ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، (306/1)، المكتبة العلمية، بيروت، طبعة 1399هـ / 1979م.

7 أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري الأفرريقي المصري جمال الدين، صاحب كتاب «لسان العرب في اللغة»، ت 711هـ / 1321م. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق حسن القنوجي، تحقيق عبد الجبار زكار - (10/3). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1978م.

8 (يحيى بن زياد الفراء، إخباري علامة نحوي، كان رأساً في قوة الحفظ أملى تصانيفه كلها حفظاً. مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين عن ثلاث وستين سنة. تذكرة الحفاظ محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق زكريا عميرات، (372/1)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ / 1998م.

وَبَرَكَتُهُ، عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿ [سورة هود: 73] قال البركات السعادة»⁹.
البركة: هي الزيادة والنماء من حيث لا يوجد بالحس ظاهراً، فإذا عُهد من الشيء
هذا المعنى خافياً عن الحس، قيل هذه بركة.

وتعريف البركة اصطلاحاً: والبركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء⁽¹⁰⁾.

وقيل: البركة النماء والزيادة حسية كانت أو معنوية وثبوت الخير الإلهي في
الشيء وداومه ونسبتها إلى الله تعالى على المعنى الثاني⁽¹¹⁾.

المطلب الثاني: الألفاظ المشتقة من البركة، والفروق بينها

ألفاظ البركة وما يشتق منها تدور حول هذه الكلمات: المباركة، والتبريك، والتبرك.

فلفظ التبرك: طلب البركة، وهو ثبات الخير في الشيء وزيادته.

وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك لك ويقدر عليه، وهو الله
سبحانه؛ فهو الذي ينزل البركة ويثبتها، أما المخلوق؛ فإنه لا يقدر على منح البركة
وإيجادها، ولا على إبقائها وتثبيتها⁽¹²⁾.

والتبرك في دلالاته الذهنية من حيث إطلاق اللفظ ينصرف إلى التمسح بالآثار
والأحجار والمشاهد والقبور والأشجار؛ وطلب الدعاء من الصالحين بإنزال البركة
عليهم، مما يفعله كثير من الجهال.

أما المباركة: من تبارك؛ وتبارك الله أي يُتَبَرَكُ باسمه في كل أمر وقال الليث في
تفسير تبارك الله تمجيد وتعظيم وتبارك بالشيء تَفَاعَل به الزجاج في قوله تعالى:
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [سورة الأنعام: 92]، قال المبارك ما يأتي من قبله الخير
الكثير⁽¹³⁾.

9 لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، (10/395)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.

10 التوقيف في مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق د. محمد الداية، (1/125). دار
الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، 1410هـ.

11 كتاب الكلبيات «معجم في المصطلحات والفروق اللغوية»، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، -
(1/372)، مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ - 1998م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري .

12 الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، لمعالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان،
(1/310).

13 لسان العرب لابن منظور، (10/395).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

والمبارك اسم مفعول من باركه وبارك عليه وبارك فيه، وبارك له إذا جعل له البركة. والبركة كثرة الخير ونماؤه⁽¹⁴⁾.

والرب سبحانه يُقال في حقه: «تبارك» ولا يقال: مبارك وتبارك بمعنى بارك مثل قاتل وتقاتل، وتبارك تفاعل من البركة وهذا الثناء في حقه تعالى إنما هو لوصف رجع إليه تعالى فإنه تفاعل من العلو، ولهذا يقرن بين هذين اللفظين فيقال تبارك وتعالى؛ وفي دعاء القنوت تباركت وتعاليت، وهو سبحانه أحق بذلك وأولى من كل أحد فإنَّ الخير كله بيديه، وكل الخير منه، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصالحة وخيرات لا شرور فيها⁽¹⁵⁾.

وقد ورد في تفسير أهل العلم للبسملة والبدء بها أنه للتبرك. قال ابن كثير⁽¹⁶⁾: «إن كان قياماً أو قعوداً أو أكلاً أو شرباً أو قراءة أو وضوءاً أو صلاة، فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله، تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل»⁽¹⁷⁾. لفظ التبريك: جاء في القاموس المحيط: «البركة: النماء والزيادة، والتبريك الدعاء بهما»⁽¹⁸⁾.

ويطلق التبريك على ما يقوله العائن حتى لا يصيب غيره فيقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه. وهو ما يقوله العائن؛ حتى لا يصيب غيره⁽¹⁹⁾.

وإنما يصح من العين أن يكون العائن يصيب بعينه إذا تعجب من شيء أو استحسنته فيكون الفعل لنفسه بعينه ولذلك سماوا العين نفساً لأنها تفعل بالنفس⁽²⁰⁾.

14 التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد المشهور بابن عاشور، (1/1359). مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1420هـ/2000م.

15 جلاء الأفهام لابن القيم تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط - (ص304). دار العروبة، الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ / 1987م.

16 الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير البصري ثم دمشقي، الشافعي صاهر المزي، وصاحب ابن تيمية، من تصانيفه التاريخ المسمى «البداية والنهاية» و«التفسير» وكتاب في «جمع المسانيد العشرة» عاش من (700هـ - 774هـ). شذرات الذهب لعبد الحي بن أحمد العكري ابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر ومحمد الأرنؤوط، (6/236). دار ابن كثير، دمشق، طبعة 1406هـ.

17 تفسير القرءان العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، (1/121)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ/1999م.

18 القاموس المحيط، للفيروز أبادي، (1/1204).

19 انظر التمهيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق مصطفى العلوي، ومحمد البكري (6/241). وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، طبعة 1387م.

20 تأويل مختلف الحديث لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق محمد النجار، (1/343). دار

ويطلق التبريك على التماس البركة عند تحنيكهم بالتمر كم جاء عن أم المؤمنين عائشة⁽²¹⁾ رضي الله عنها أنها قالت: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يُؤْتَى بِالصَّبِيَّانِ فَيَبْرِكُ عَلَيْهِمْ وَيَحْنِكُهُمْ)⁽²²⁾.

والتبريك: التماس البركة، ويحنكهم ليختلط ريقه صلوات الله وسلامه عليه بالتمر، ويبتلعه الطفل الصغير⁽²³⁾. وفي حديث آخر: (تُمْ حَنَّكَهُ بِالتَّمْرِ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ)⁽²⁴⁾ أي دعا له بالبركة ويقال بارك الله لك وفيك و عليك وتبارك الله أي بارك الله⁽²⁵⁾.

فالتبريك الدعاء بها وبارك الله لك وفيك وباركك وبارك على محمد عليه الصلاة والسلام أي آدم له ما أعطيته من الشرف والكرامة والعرب تقول للسائل بورك فيك يقصدون بذلك الرد عليه لا الدعاء له⁽²⁶⁾.

والفرق بين البركة والزيادة: البركة اسم يوصف به كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي. وليس لظنها اسم معروف، فلذلك يقال فيه: قليل البركة، ولا يسند فعل البركة إلا إلى الله تعالى، فلا يقال: بارك زيد في الشيء، وإنما يقال: بارك الله فيه. وإلى هذه الزيادة أشير بما روي في الحديث: (ثَلَاثٌ وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كُنْتُ لَحَالِفًا عَلَيْهِنَّ لَا يَنْقُصُ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ فَتَصَدَّقُوا...)⁽²⁷⁾ لا إلى النقصان المحسوس⁽²⁸⁾.

الجيل، بيروت، طبعة 1393هـ/1972م.

21 عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان رضي الله عنهم وأمهها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد المبعث بأربع سنين أو خمس، أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة أحد المكرمين من الرواية، ماتت سنة 58هـ. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، (8/16) طبعة الدار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ / 1992م.

22 صحيح مسلم، كتاب الأدب، حديث رقم 5743، (6/176).

23 شرح بلوغ المرام، لعطية بن سالم، (12/5).

24 صحيح مسلم، كتاب الآداب، حديث رقم 5741، - (14/271).

25 عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني - (25/139). طبعة 1427هـ/2006م

26 كتاب الكليات لأبي البقاء الكفومي معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، (1372) مؤسسة الرسالة - بيروت - 1419هـ / 1998م، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري.

27 مسند الإمام أحمد من أحاديث عبد الرحمن بن عوف، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، حديث رقم 1674، (3/208). مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1420هـ / 1999م. بقية الحديث (ولا يعفو رجل عن مظلمة يريد بها وجهه الله إلا رفعه الله بها عزا يوم القيامة، ولا يفتح رجل على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر).

28 معجم الفروق اللغوية، للعسكري - (1/96).

المطلب الثالث: الشواهد الحسية على وجود البركة والمعتقد فيها.

من الشواهد الحسية ما ثبت في السنن عن أنس بن مالك⁽²⁹⁾ قال: قال أبو طلحة⁽³⁰⁾ لأم سليم⁽³¹⁾ -رضي الله عنهم- قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ضَعِيفًا أَعْرَفَ فِيهِ الْجُوعَ فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ فَقَالَتْ نَعَمْ. فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ فَذَهَبْتُ بِهِ فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ النَّاسُ فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ ». قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ « أَلْطَعَامُ ». فَقُلْتُ نَعَمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِمَنْ مَعَهُ « قَوْمُوا ». قَالَ فَاَنْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَطْعِمُهُمْ فَقَالَتْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ - قَالَ - فَاَنْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَلُمَّيَا مَا عِنْدَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ». فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَفَتَتْ وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمَّ سُلَيْمٍ عَكَّةً لَهَا فَأَدَمَتْهُ ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ ثُمَّ قَالَ « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ ». فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ حَرَجُوا ثُمَّ قَالَ « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ ». فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ حَرَجُوا ثُمَّ قَالَ « ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ ». حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ⁽³²⁾.

29 أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المكثرين من الرواية عنه، مات سنة إحدى وتسعين. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، (1/126).

30 أبو طلحة الأنصاري؛ واسمه: زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو ابن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري النجاري الخزرجي شهد العقبة ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. توفي سنة إحدى وثلاثين وقيل أربع وثلاثين. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، (4/1699). دار الجيل، بيروت، طبعة 1412هـ.

31 أم سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد بن حرام بن جندب الأنصارية تقدم نسبها في ترجمة أخيها حرام بن ملحان وهي أم أنس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتهرت بكينيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل مليكة وقيل الغميصاء أو الرميضاء. الإصابة لابن حجر، (8/227).

32 صحيح الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، كتاب الأُطعمة، حديث رقم 5066، (5/2057)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت الطبعة الثالثة، 1407هـ / 1987م.

ومثل ذلك مما ورد في السنة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وتكثير الطعام، وقد شاهد الناس كفاية الطعام، لما لم يكن في العادة كفايتهم. كحديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ⁽³³⁾ يَقُولُ لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَمَصًا فَاَنْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ لَهَا هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَمَصًا شَدِيدًا. فَأَخْرَجَتْ لِي جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ وَلَنَا بِهَيْمَةٌ دَاجِرٌ - قَالَ - فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنْتُ فَفَرَعْتُ إِلَى فِرَاجِي فَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ثُمَّ وَلَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَتْ لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَمَنْ مَعَهُ - قَالَ - فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَدْ ذَبَحْنَا بِهَيْمَةً لَنَا وَطَحَنَتْ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ كَانَ عِنْدَنَا فَتَعَالَ أَنْتَ فِي نَفَرٍ مَعَكَ. فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ « يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ لَكُمْ سُورًا فَحِيَّهَلَا بِكُمْ ». وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لَا تَنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تُخْبِرَنَّ عَجِيئَتَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ ». فَجِئْتُ وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقْدُمُ النَّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ بِكَ وَبِكَ. فَقُلْتُ قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتَ لِي. فَأَخْرَجْتُ لَهُ عَجِيئَتَنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ ثُمَّ قَالَ « ادْعِي خَابِرَةَ فَلْتُخْبِرْ مَعَكَ وَاقْدِجِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تَنْزِلُوهَا ». وَهُمْ أَلْفٌ فَأَقْسَمَ بِاللَّهِ لِأَكْلُوها حَتَّى تَرَكَوهُ وَانْحَرَفُوا وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغَطُّ كَمَا هِيَ وَإِنَّ عَجِيئَتَنَا - أَوْ كَمَا قَالَ الضَّحَّاكُ - لَتُخْبِرُ كَمَا هُوَ⁽³⁴⁾.

وَعَنْ جَابِرِ أَنْ أُمَّ مَالِكٍ⁽³⁵⁾ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِي عُنَّةٍ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوها فَيَسْأَلُونَ الْأُدْمَ وَلا يَسِعُ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمُدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَآتَتْ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « عَصَرْتِيهَا ». قَالَتْ نَعَمْ. قَالَ « لَوْ

33 جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي أحد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه جماعة من الصحابة وله ولأبيه صحبة، شهد المشاهد، وعمر مات بالمدينة سنة ثلاث وسبعين وقيل أربع وسبعين، الإصابة لابن حجر، (1/434).

34 صحيح البخاري، كتاب المغازي، حديث رقم 3876، (4/1505). وصحيح مسلم كتاب الأشربة، حديث رقم 5436، (6/117).

35 أُمُّ مَالِكِ الْأَنْصَارِيَّةِ صَاحِبَةُ الْعُنَّةِ مِنَ السَّمْنِ الَّتِي أَهْدَتْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رَوَى عَنْهَا: جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَابِطٍ، وَعَبِيَّاضُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ. معرفة الصحابة لأبي نعيم، (6/3561)، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، 1419هـ/1998م. تحقيق عادل الغزالي.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِمًا»⁽³⁶⁾.

ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق بركة، على الأمة وعلى جميع من في الكون لقول الله تعالى فيه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:107].

والشواهد الحسية كثيرة لكن الانتباه لها قليل، مثلاً في الأكل يجلس الإنسان على مائدة ومعه نفر ثم يقوم وكأنه لم يأكل شيئاً، ويجلس على أخرى بنفس مقدار الطعام والعدد وإذا هو قد شبع والطعام موجود، وقد يقوم أحد الناس بدعوة وليمة فيأتي أضعاف من دعاهم وتحصل الكفاية وقد يكون العكس، وكذلك بعض الناس يعيش زماناً يسيراً وينجز من الأعمال والعلم والأموال والأولاد ما لم ينجزه من عُمر أكثر من مائة.

وفي المقارنة بين الضأن والكلاب، فإن الضأن تضع مرة في السنة بين واحد وتوأم والكلاب تضع سبعة، وهي أكثر الحيوانات المعمرة، والضأن يذبح بالآلاف كل يوم ومع ذلك هي الأكثر، وهذا يرجع إلى البركة التي جعلها الله تبارك وتعالى في بهيمة الأنعام.

والنماء والعدد والبركة في الضأن أكثر من غيرها فهي تضع مرة في السنة وتفرد ولا تتئم، والمعز قد تلد مرتين في السنة وتضع الثلاثة وأكثر وأقل، ونحو هذا الخنازير ربما تضع الأنثى عشرين خنزيراً، لا نمانة فيها ولا بركة⁽³⁷⁾.

وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل البركة في بهيمة الأنعام من الإبل والبقر والضأن والمعز، لينتفع بها الإنسان من لحمها وألبانها، وغير ذلك.

المبحث الثاني: الاعتقاد في البركة والوسائل المشروعة لتحصيلها

المطلب الأول: الأدلة على الإيمان بالبركة

ورد في كثير من الآيات والأحاديث لفظ «البركة» وما تصرف منها⁽³⁸⁾، قال تعالى:

36 صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم 6068، (59/7).

37 عيون الأخبار، لابن قتيبة الدينوري، (1/169).

38 ألفاظ البركة ومشتقاتها الواردة في القرآن الكريم، هي: الْمُبَارَكَةُ (1) بَارِكْنَا (5) بَرَكَاتٍ (1) بُورِكَ (1) تَبَارَكَ (6) فَتَبَارَكَ (2) مُبَارَكًا (4) مُبَارَكَ (4) مُبَارَكَةٌ (1) مُبَارَكَةٌ (2) وَبَارَكَ (1) وَبَارَكْنَا (1) وَبَرَكَاتٍ (1) وَبَرَكَاتُهُ (1) وَتَبَارَكَ (1). معجم كلمات القرآن، للاستاذ الدكتور محمد زكي محمد، (4/4). طبعة 1426هـ/2005م.

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلْنُزِيَهُ مِنْ أَيْنُنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الإسراء: 1].

وقال تعالى : ﴿ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة هود: 48].

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربها أَلَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا وَقَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [سورة الأعراف: 137].

وقال تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِئَلْنُزِيَهُ مِنْ أَيْنُنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الإسراء: 1].

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَىٰ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرًا وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سورة سبأ: 18].

فهذه بعض الآيات التي ورد فيها ذكر البركة وإنزالها مع نوح عليه السلام ومباركة الله عز وجل في أرض الشام والمسجد الأقصى، ومكة والمدينة، وقرى اليمن ومن ثم إنزال الله البركة على أهل الإيمان والتقوى .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رُؤسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ [سورة فصلت: 10] أي: جعلها مباركة قابلة للخير والبذر والغراس، ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾ ، وهو: ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس“⁽³⁹⁾.

أما الأحاديث فقد تنوعت الأدلة، من الدعاء بالبركة ومباركة النبي صلى الله عليه وسلم على الصبيان، وكذلك ما تقدم من تكثير الطعام وغير ذلك.

فَعَنْ أَنَسٍ⁽⁴⁰⁾ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِالْمَدِينَةِ ضِعْفِي مَا جَعَلْتَ بِمَكَّةَ مِنَ الْبَرَكَاتِ»⁽⁴¹⁾.

39 تفسير القرءان العظيم، لابن كثير (166/7).

40 أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم أبو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين من الرواية عنه مناقبه وفضائله كثيرة مات سنة اثنين وتسعين وقيل ثلاث وتسعين . الإصابة في تمييز الصحابة . لابن حجر - ج 1 / ص 71، 72 .

41 صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل المدينة ، حديث رقم (1885) - (155/7).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضاً - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «الْبِرْكَةُ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ» (42).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (43) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَمُدَّنَا وَاجْعَلْ مَعَ الْبِرْكَةِ بَرَكَتَيْنِ» (44).

أَنَّسُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً) (45).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (46) أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ - شَكَ الْأَعْمَشُ (47) - قَالَ لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ. قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَدْنَتْ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا فَأَكَلْنَا وَادَهْنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «افْعَلُوا». قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ (48) - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظُّهُرُ وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبِرْكَةِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «نَعَمْ». قَالَ فَدَعَا بِنِطْعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ - قَالَ - فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ - قَالَ - وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ - قَالَ - وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ - قَالَ - فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَيْهِ بِالْبِرْكَةِ ثُمَّ قَالَ «خُذُوا فِي أَوْعِيَّتِكُمْ». قَالَ فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَّتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكَوا فِي الْعُسْكَرِ وَعَاءً إِلَّا مَلَأُوهُ - قَالَ - فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضِلَتْ فَضْلَةً فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ لَا

42 المرجع السابق، كتاب الجهاد، حديث رقم (2851) - (268/10).

43 أبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، صحابي مشهور بكنيته، من المكثرين، مات سنة أربع وستين وقيل التي بعدها. الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني - (73/3).

44 الجامع الصحيح للإمام مسلم، كتاب الحج، حديث رقم (3392) - (3/9).

45 صحيح البخاري، كتاب الصوم، حديث رقم 1823، (678/2).

46 أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي، حافظ الصحابة وأكثرهم حديثاً مات سنة 57هـ وقيل التي بعدها. شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي - (63/1).

47 الأعمش سليمان بن مهران، الإمام شيخ الإسلام، شيخ المقرئين والمحدثين، أبو محمد الاسدي، الكاهلي، مولاهم الكوفي الحافظ. روى عنه خلق كثير؛ مات سنة سبع وأربعين ومائة. سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (226/6).

48 أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي. ولد بعد الفيل بثلاث عشرة سنة ت23هـ/644م. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، (588/4).

يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ» (49).

المطلب الثاني: الإيمان بالبركة وشرعيتها

إن الإيمان بالبركة على ضوء الأدلة السابقة موجود عند كل مسلم؛ فقل من ينكر وجودها، لكن اعتقاد الناس فيها متفاوت؛ وهو لا يخرج من أن يكون حقاً، أو يكون باطلاً؛ والحق قد يغفل عنه الإنسان فيذكر. والباطل يقع فيه الإنسان فينصح؛ فهذا الاعتقاد الباطل في البركة قد يكون من قبيل الجهل بها، أو أمراً مبتدعاً في تحصيلها؛ وأعظم من ذلك وأجل أن يكون شركاً مخرجاً من الملة. وإن الاعتقاد الصحيح يتلخص في التالي:

أولاً: البركة من الله تعالى ينزلها على أماكن أو يجعلها في أشخاص أو طعام أو شراب وغير ذلك؛ وهذا هو المعتقد فيها، وكذلك التبرك لأنه طلب البركة وهي ثبوت الخير في الشيء وزيادته - وطلب ثبوت الخير وزيادته إنما يكون ممن يملك ذلك ويقدر عليه وهو الله سبحانه. فهو الذي ينزل البركة ويثبتها.

ثانياً: إن المخلوق لا يقدر على منح البركة وإيجادها ولا على إبقائها وتثبيتها.

ثالثاً: فالتبرك بالأماكن والآثار والأشخاص أحياء وأمواتاً لا يجوز، لأنه إما شرك، إن اعتقد أن ذلك الشيء يمنح البركة؛ أو وسيلة إلى الشرك إن اعتقد أن زيادته وملاسته والتمسح به سبب لحصولها من الله تعالى (50).

رابعاً: جواز قول هذا من بركات فلان أو بركة فلان، وكذلك قول: فلان كله بركة؛ لا بأس به؛ دليل ذلك ما ثبت في الصحيحين في قصة شرعية التيمم، لما ضاع عقد عائشة - رضي الله عنها - وحبس النبي - صلي الله عليه وسلم - الجيش ابتغاءه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، شرع الله التيمم، فقال أُسَيْدُ بْنُ الْحَضَيْرِ⁽⁵¹⁾ رضي الله عنه: (مَا هِيَ بِأَوْلَ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ) (52) ولم ينكر عليهم النبي صلي الله عليه وسلم؛ فدل على الجواز؛ والمعني من البركة

49 صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم 148 ، (42/1).

50 كتاب التوحيد صالح بن فوزان - (159/1) .

51 أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة توفي سنة عشرين وقيل التي بعدها. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (83/1).

52 جزء من حديث طويل رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التيمم، حديث رقم 327 ، (127/1). وصحيح مسلم، كتاب التيمم، حديث رقم 842 ، (191/1).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

التي جعلها الله فيه، وكذلك في التشهد: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، وقوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [سورة هود:73]؛ يدل على أن البركة من الله يجعلها في من يشاء من عباد⁽⁵³⁾.

خامساً: التبرك بما صح وثبت في السنة من جواز التبرك به؛ سواء أكان زماناً أم مكاناً. ومن ذلك:

1- التبرك بالذات، كالتبرك بأبعاض الرسول، وهذا خاص في رسول الله (في حياته).
2- أقوال وأفعال إذا جاء بها العبد حصل له خير وبركة، كقراءة القرآن، والشهادة فهي سبب للمغفرة.

3- هناك بعض الأمكنة مباركة فيطلب الخير بالذهاب إليها، فهذا من التبرك في الأمكنة، كالصلاة في المسجد الحرام أو المسجد النبوي أو المسجد الأقصى، فهذه تضاعف فيها الحسنات.

4- أزمنة مباركة، فتحري هذه الأزمنة وعمل الخير فيها مشروع، كرمضان، وعشر ذي الحجة، وشهر الله المحرم، ويوم الجمعة.

5- أطعمة مباركة، مثل العسل، وزمزم فشربه رجاء الصحة والعافية والشفاء من أمراض معينة هذا جائز. ومثله الحبة السوداء⁽⁵⁴⁾.

ولا يجوز أن تطلب البركة من أحد وإن ظهرت البركة على يديه لأنها من عند الله عز وجل، مثلها كمثل رجل دعا الله تعالى أن ينزل المطر فنزل فلا يقال له أنزل لنا المطر وإنما يطلب منه الدعاء فقط.

وأما الاعتقاد الباطل في البركة فناشئ عن الجهل؛ إما بوجودها وكنهها ومعناها، وإما بالطرق الشرعية في طلبها وتحصيلها، وهذا هو الواقع المشاهد في كثير من عامة المسلمين، في طلب البركة بتبرك غير مشروع وصور ذلك:

1- الطواف بالقباب والقبور وأخذ تربتها، والتمسح بالمشاهد.
2- الذهاب إلى الأماكن والآثار التي يعتقد أنها للأنبياء عليهم السلام أو الأولياء والتمسح، طلباً للبركة.

53 انظر فوائد عبد الله بن عبد العزيز الراجحي - (27/1).

54 المتعصر شرح كتاب التوحيد، للشيخ علي بن خضير الخضير، (49/1).

- 3- سؤال الصالحين إنزال البركة عليهم.
- 4- اعتقاد أن الشيخ أو الولي هو نفسه بركة.
- 5- أخذ آثار الأولياء والتمسح بهاء كبقايا أجسادهم وملابسهم، أو فضل ماء غسلهم ووضوئهم، وأخذ التربة التي مشوا عليها وتقبيل أحذيتهم؛ وغير ذلك من الجهالات التي تقع في التبرك.

المطلب الثالث: الوسائل المشروعة لتحصيل البركة.

إِنَّ الْمَنْحَ الْإِلَهِيَّةَ لَا تَنَالُ إِلَّا بِمَرْضَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وسلوك الطريق المستقيم لذلك قال جل وعلا: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ (سورة الصافات 113-114)، فهؤلاء هم الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ منحهم الله عز وجل البركة وأنزلها عليهم، لأنهم أكمل الخلق تعبدًا وعملاً؛ فكل من سار على نهجهم، فإن بركات الله تنزل عليه بقدر عمله وقربه وتعبدته؛ وبعده عن محارم الله تعالى.

والله تبارك وتعالى أمر عباده بالعبادة؛ وهذا يجب على كل مسلم، من إقامة العبودية لله والتوكل عليه، ولا ينصرف عن ذلك بشواغل الدنيا والأرزاق، كما لا يلقي عصاه بترك فعل الأسباب والعمل والاجتهاد.

قيل إن رجلاً لقي مجنوناً فقال له: قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف، فقال والله لا أبالي ولو حبة بدينار، إن الله تعالى أخذ علينا أن نعبدَه كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق بيديه وأنشأ يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ولا تنام عن اللذات عيناه

شغلت نفسك فيما لست تدركه تقول لله ماذا حين تلقاه (55)

فطبيق البركة حقيقته هو الاشتغال بالعبادة وفعل ما هو مطلوب شرعاً، وترك ما هو منهي عنه شرعاً قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة الأعراف: 96] لآتيناهم بالخير من كل وجه. وقيل: أراد المطر والنبات» (56).

55 عقلاء الجانين، لابن حبيب - (24/1).

56 الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري، تحقيق عبد الرزاق المهدي، (410/1). دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

ونخلص إلى أن تنزّل البركة وإدراكها بفعل الأسباب الآتية:

أولاً: عبادة الله تبارك وتعالى، وهي الغاية التي من أجلها خلق الإنسان كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿ [سورة الذاريات: 56، 57] وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [سورة طه: 132].

ثانياً: صلة الأرحام، فالنصوص التي وردت في فضل صلة الأرحام تشير إلى حصول البركة وزيادة الرزق فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنَسَّأَ لَهُ فِي آثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (57).

وعن علي بن أبي طالب (58) رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ، وَيُوسَعَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُدْفَعَ عَنْهُ مِيتَةُ السُّوءِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ، وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ) (59).

ثالثاً: الإنفاق في سبيل الله عز وجل، كما قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ، وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سورة سبأ: 39]

يقال: أخلف له وأخلف عليه، أي يعطيكم خلفه وبدله، وذلك البذل إما في الدنيا وإما في الآخرة. وهذه إشارة إلى الخلف في الدنيا بمثل المنفق فيها إذا كانت النفقة في طاعة الله تعالى. وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعاء سواء في الإجابة أو التكفير أو

57 صحيح البخاري، كتاب البر والصلة، حديث رقم 5640 ، (2232/5). وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، حديث رقم 6688 ، (8/8).

58 علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ولد قبل البعثة بعشر سنين، أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين، قتل علي في شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، (4/564).

59 المسند للإمام أحمد، مسند علي بن أبي طالب، حديث رقم 1213 ، (387/2).

الادخار، والادخارها هنا مثله في الأجر⁽⁶⁰⁾.

وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا وَأَعْطِ مُمْسِكًا تَلْفًا)⁽⁶¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِي أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ...) ⁽⁶²⁾.

رابعاً: تقوى الله تبارك وتعالى، وهي مخافة الله جل وعلا والبعد عن المعاصي . كما في الآية التي تقدمت : ﴿ وَكَوُنْ أَهْلَ الْقُرَىٰءِ ءَامِنُوْا وَأَتَّقُوْا لَفَنَحْنَا عَلَیْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الأعراف:96]

خامساً: التوكل على عز وجل وهو الثقة بما عند الله ، واليأس عما في أيدي الناس⁽⁶³⁾. وهو كمال الاعتماد على الله عز وجل مع فعل الأسباب قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرِزِقْتُمْ كَمَا تُرْزَقُ الطَّيْرُ تَعْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)⁽⁶⁴⁾.

قال الماوردي⁽⁶⁵⁾: أصول المكاسب؛ الزراعة، والتجارة، والصناعة. وأيها أطيب فيه ثلاثة مذاهب فقيل التجارة أطيب؛ والأشبه عندي أن الزراعة أطيب، لأنها أقرب إلى التوكل. لما روي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)⁽⁶⁶⁾ فالزراعة أطيب المكاسب وأفضلها، لما فيها من التوكل عمل

60 الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، (14/307) ، إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ.

61 صحيح البخاري، كتاب الزكاة، حديث رقم 1374 ، (2/522). وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، حيث رقم 2383، (3/83)

62 صحيح مسلم، كتاب الزكاة، حديث رقم 2356 ، (3/77).

63 التعريفات للجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، (1/23) ، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1405هـ / 1985م.

64 سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد، كتاب الزهد، حديث رقم 2515، (9/147)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة 1998 م .

65 الماوردي: الإمام العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الشافعي صاحب التصانيف، متهم بالاعتزال- توفي سنة 450هـ سير أعلام النبلاء - (18/64).

66 صحيح البخاري، كتاب البيوع ، 1966 ، (2/730).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

وفيها نفعاً عاماً للمسلمين والدواب، ولأنه لا بد في العادة أن يؤكل منه بغير عوض فيحصل له أجره. وقد ثبت عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَرْزُوهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)⁶⁷ ومعنى يرزوه ينقصه وفي رواية: (لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ)⁶⁸.

سادساً: التمسك بسنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ واتباع هديه، وتطبيق سيرته والسير على طريقه. فمن اتباع السنن والواردة في الأذكار والمحافظة عليها، وبها يبعد المسلم الشيطان ويتبرك.

السنن الواردة في الأكل والشرب، مثل قول بسم الله عند بدء الأكل، والاجتماع على الطعام، ولعق الأصابع والصفحة «الصحن» قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَعَقَ الصَّفْحَةَ، وَلَعَقَ أَصَابِعَهُ أَشْبَعَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» وكذلك الأكل من وسط الطعام «إِنَّ الْبُرْكََةَ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ»⁶⁹.

السنن الواردة في التجارة، قال صلى الله عليه وسلم: (رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمَحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى)⁷⁰

فالسماحة في مباشرة المعاملة، وفي القضاء، والاقضاء، يرجى لصاحبها كل خير: ديني ودنيوي، لدخوله تحت هذه الدعوة المباركة التي لا بد من قبولها. وقد شوهد ذلك عياناً. فإنك لا تجد تاجراً بهذا الوصف إلا رأيت وقد صب الله عليه الرزق صباحاً، وأنزل عليه البركة. وعكسه صاحب المعاصرة والتعسير، وإرهاق المعاملين، والجزاء من جنس العمل، فجزاء التيسير التيسير⁽⁷¹⁾.

المبحث الثالث: المخالفات العقدية في البركة

المطلب الأول: الأسباب التي تؤدي إلى زهاب البركة ومحققها

البركة هبةٌ من الله تبارك وتعالى، وهي تتعلق بالتوكل وكمال الاعتماد على الله

67 صحيح مسلم، كتاب المساقاة، حديث رقم 4050، (27/5).

68 المرجع السابق، حديث رقم 4051، (27/5).

69 انظر المجموع، للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، (59/9)، دار الفكر، بيروت، طبعة 1997م.

70 سنن الترمذي، كتاب الأطعمة، حديث رقم (1918) - (177/7).

71 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم 2076، (469/7).

عزَّ وجلَّ وذلك يكون بفعل السبب مع عدم الالتفات إليه. فكلما بعد الإنسان عن الله تعالى وعن الحق كلما قلت البركة، وكذلك كلما التفت الإنسان إلى الأسباب وإلى ما عنده محقت عنه البركة.

وإنَّ من أسباب محق البركة فعل المعصية:

كما جاء في الحديث والأثر عن النبي صلى الله عليه وسلم: (لَا يَزِدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ) (72).

«إنَّ العبد» يعني الإنسان. «ليحرم» بالبناء للمفعول أي: يمنع، وحذف الفاعل في مقام منع الرزق أنسب؛ «الرزق» أي: بعضه يعني ثواب الآخرة، أو نعم الدنيا من نحو صحة ومال بمعنى محق البركة منه؛ «بالذنب يصيبه» وفي رواية بذنبه أي: بشؤم كسبه للذنب، ولو بأن تسقط منزلته من القلوب؛ ويستولي عليه أعداؤه أو ينسى العلم. حتى قال بعضهم إنني لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري. وقال آخر أعرفه من تغير الزمان وجفاء الإخوان.

ولا يقدح فيه ما يرى من أن الكفرة والفسقة أعظم مالا وصحة من العلماء لأنَّ الكلام في مسلم يريد الله رفع درجته في الآخرة فيعقبه من ذنوبه في الدنيا (73).

لا تناقض بينه وبين خبر إنَّ الرزق لا ينقصه المعصية؛ ولهذا وجه بعضهم الخبر بأنَّ لله لطائف يحدثها للمؤمن ليصرف وجهه إليه عن اتباع شهوته، والانهماك في نهيمته، فإذا اشتغل بذلك عن ربه حرم رزقه؛ فيكون زجراً له إليه عمَّا أقبل عليه وتأديباً له أن لا يعود لمثله؛ كطفل دعت أمه فأعرض عنها فيعودو إلى لهو فيعثر فيقوم ويعدو إليها راجعاً (74).

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمَرَ (75) قَالَ أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيْتُمْ بِهِنَّ وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ : لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ

72 بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي - (152/1) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة : الرابعة، 1423هـ .

73 المسند للإمام أحمد، مسند ثوبان، حديث رقم 22413، (95/37). والمستدرك على الصحيحين للحاكم حديث رقم 1768 - (361/4) . والحديث حسنه الألباني وأن الجزية الأخيرة فيه « وإن العبد...» لم تثبت.

74 فيض القدير شرح الجامع الصغير، لعبد الرؤوف المناوي، (332/2). المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى، 1356هـ.

75 فيض القدير، للمناوي (332/2).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونَ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي
أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخْذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَوْنَةِ
وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مَنَعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ وَلَوْلَا
الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا ، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ
غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَمَا لَمْ تَحْكَمْ أَيْمَنَّهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَخْتَارُوا مِمَّا أَنْزَلَ
اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ (76) .

قال أهل العلم: إنَّ من الحوادث ما ظاهره عنف وباطنه لطف، كحرمان الرزق بما
يصيبه من الذنب، فإنَّ العبد إذا أعرض عن ربه واشتغل بما أسبغ عليه وأحب إقباله
عليه حرمه سعة ما بسط له ليخاف فيرتدع ويضيق عليه جهات الرزق فيلجأ إليه
ويقبل بالتضرع إليه، ومن أراد غير ذلك زاده على ذنبه نعماً ليزداد إعراضاً وشغلاً
فإن قيل كيف يحرم الرزق المقسوم؟ قلنا يحرم بركته أو سعته أو الشكر عليه.

ومن أسباب محق البركة الربا:

إن أكل الربا وتعاطيه والتعامل به من أخطر الأسباب إذ هو حرب من الله
تعالى يهدم كل مال نما بالربا، وقد يصل الهدم إلى الأصول من الأموال قال تعالى:
﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [سورة البقرة : 276]
وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٧٨)
فَإِن لَّمْ تَعْمَلُوا فَاذْنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا
تُظْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة : 278، 279] قيل المحق: النقص والذهاب، ومنه محاق
القمر وهو انتقاصه. يعني في الدنيا أي يذهب بركته وإن كان كثيراً⁷⁷. إما بأن يُذهب
بالكلية من يد صاحبه، أو يُحرمه بركة ماله فلا ينتفع به، بل يعذبه به في الدنيا
ويعاقبه عليه يوم القيامة⁷⁸.

وقد سمعت قصة عن رجل كان معه تراكتر- الذي يُحرث به الأرض- خرج به
إلى ضواحي مدينة القضارف في شرق السودان واتفق مع صاحب أرض أن يحرث له

76 عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أمه زينب بنت مطعون الجمحية ولد سنة ثلاث
من المبعث النبوي أحد المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد الزهاد العباد. مات
سنة أربع وثمانين. الإصابة، لابن حجر، (4/181).

77 سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الفتن، حديث
رقم 4155 - (12/175).

78 الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (3/362) .

ويكون الناتج بينهما فحصل على مال كثير واشترى أراضي زراعية ومساكن وعدداً من التراكترات، وجاء الموسم الثاني فاقترض من البنك بفوائد ربوية لكي يزرع أكبر مساحة من الأرض، فأرسل الله تعالى الجراد فاستأجر طائرات لرش الجراد فلم ينجح وخسر كل ما عنده فباع جميع ما يملك ولم يبق له إلا التراكترات الأولى.

ومن أسباب محق البركة الاعتماد على الأسباب:

حيث يظن بعض من يفعل السبب أن الرزق سيحصل لا محالة ويبني على ذلك حسابات وآمالاً كمثل الذي يزرع ويقول بأن الجوال ينتج عشر جوالاً من المحصول. فتمحق البركة ولا ينتج شيئاً.

ومن أسباب محق البركة الشفقة أو عدم كمال الثقة برزق الله تعالى:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْنًا فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا فَيَسْأَلُونَ الْأُدْمَ وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ فَتَعْمِدُ إِلَى الَّذِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهِ لِلنَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَتَجِدُ فِيهِ سَمْنًا فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ فَأَتَتْ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ «عَصَرْتِهَا». قَالَتْ نَعَمْ.

قَالَ «لَوْ تَرَكَتِهَا مَا زَالَ قَائِمًا»⁷⁹.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ⁸⁰: سبب رفع النماء من ذلك عند العصر والكيل -والله أعلم- الالتفات بعين الحرص مع معاينة إدرار نِعَمِ اللَّهِ ومواهب كراماته وكثرة بركاته، والغفلة عن الشكر عليها والثقة بالذي وهبها والميل إلى الأسباب المعتادة عند مشاهدة خرق العادة. ويستفاد منه أن من رُزِقَ شيئاً أو أُكْرِمَ بِكَرَامَةٍ أو لطف به في أمر ما فالمتعین عليه مُوَالاةُ الشُّكْرِ ورؤية المنة لله تعالى، ولا يحدث في تلك الحالة تغييراً والله أعلم⁸¹.

ومثله ما روي عن جابر رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ مِنْهُ وَأَمْرَاتُهُ وَصَيْفُهُمَا

79 تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (1/713).

80 صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم 6084، - (15/182)

81 محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الانصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي: من كبار المفسرين. صالح متعبد، صاحب التصانيف الجامع لأحكام القرآن، والتذكرة بأحوال الموتى، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى؛ توفي سنة 671هـ. الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي، (5/321). دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، 2002م.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ وَلَقَامَ لَكُمْ⁸²»
وهذا لا يتناقض مع ما ورد في الحديث: « كِيلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ »⁸³.

وأجيب بأن الكيل عند المبايعة مطلوب من أجل تعلق حق المُتَبَاعِينَ فهذا القصد يندب، وأمَّا الكيل عند الإنفاق فقد يبعث عليه الشُّح فلذلك كره.

إن من المناسبة في مثل هذا الباب ما نراه في المواصلات العامة، أن بعض المساعدين لسائقي المركبات، يتشددون مع الطلاب في مال زهيد، فيمحق الله البركة، ولقد كنت في حافلة يوماً، وأصر المساعد والسائق على طالبة أن تدفع المبلغ كاملاً أو لتنزلن؛ حتى أكمل المبلغ أحد الركاب، والله ما نزل من هذه الحافلة أحد حتى قاربت إلى المحطة النهائية. إن مثل هذه الشفقة والمطاردة على المحطات الرئيسية، والمحاكاة والمحاصرة مع الركاب مما يذهب البركة.

وما يرى من أصحاب المحلات التجارية، الذين ينظرون في متاجر غيرهم وما معهم من الزبائن والذين يهتفون بالمارة بهم بأن يدخلوا عليهم؛ وكأن هؤلاء لم يرضوا بما قسم الله أو لم يصبروا على أن يأتيهم رزق الله تعالى.

مخالفة السنة وعدم العمل بها:

ومخالفة السنة قد تكون بترك المنسوب، أو فعل المكروه. ففعل السنة ومتابعة النبي صلى الله عليه وسلم، واتباع هديه في فقه المعاملات تحصل به البركة.

وجاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ «الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَنْفَرَقَا -أَوْ قَالَ حَتَّى يَنْفَرَقَا- فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَّا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا»⁸⁴.

لأن شرط محق بركة الاثنين في الحديث هو صدور المخالفة؛ من الاثنين بنص قوله: «وإن كتما وكذبا» فعندها تمحق بركة بيع الاثنين. أما إذا صدرت المخالفة من أحدهما فقط فيعود محق البركة عليه وحده لا على الآخر؛ لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ زَكَاةً وَيَسْتَأْذِنُونَ﴾ [سورة النجم:38] ولأن هذا الحال - غش أحدهما - خارج عن نص

82 فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تعليق ابن باز ومحب الدين الخطيب، (11/281). طبعة دار الفكر، ترقيم وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي.

83 صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم 6085، (7/60).

84 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم 2021، (2/749).

الحديث أصلاً. أما الذي لم يغش فمع أن هذا الحديث لم يصرح بالوعد له بالبركة غير أنه تعود عليه البركة بتوكله على الله في صدقه وإخلاصه⁽⁸⁵⁾.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: (الْحَلْفُ مُنْفَقَةٌ لِلْسُّلْعَةِ مُمَحَقَّةٌ لِلْبَرَكَةِ)⁽⁸⁶⁾.

المطلب الثاني: البدع في البركة:

البدعة في البركة هي: ما كان فيها طلب الخير والنماء من الله تعالى، ولكن بواسطة شيء لم يرد الشرع به.

فطلب البركة بما لم يرد مشروعيته يكون بدعة؛ إذ الواجب على كل مسلم أن يكون وقافاً في جميع شؤونه وتعبده على الكتاب والسنة. فطلب الخير والزيادة بما يسمى بالتبرك ما لم يرد الأمر به أو إقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالتمسح والاحتكاك عليه، لا يفعله المسلم إذ هو بدعة. وأسوته في ذلك أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقد روى عنه أصحاب الصحاح والسنن: «أَنَّه جَاءَ إِلَى الْحَجْرِ الْأَسْوَدِ فَقَبَّلَهُ فَقَالَ إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ، وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ»⁸⁷.

ومن هنا قال أهل العلم إن تتبع آثار النبي صلى الله عليه وسلم المكانية من أجل التبرك بدعة مثل الذهاب إلى غار حراء وغار ثور وجبل الرحمة وغير ذلك.

- من التبرك البدعي التبرك بآثار الصالحين، فلا يُتبرك بذواتهم، ولا آثارهم، ولا مواضع عباداتهم، ولا مكان إقامتهم، ولا بقبورهم، ولا تُشَدُّ الرحال إلى زيارتها، ولا يُصَلَّى عندها، ولا تُطَلَّب الحوائج عند قبورهم، ولا يُتمسح بها، ولا يُعكف عندها، ولا يُتبرك بمواليدهم، وغير ذلك ومن فعل شيئاً من ذلك تقرباً إليهم فقد أشرك بالله شركاً أكبر، إذا اعتقد أنهم يضررون أو ينفعون، أو يعطون أو يمنعون، أمّا من فعل ذلك يرجو البركة من الله بالتبرك بهم فقد ابتدع بدعة نكراء، وعمل عملاً قبيحاً⁸⁸.

85 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم 2082 - (481/7).

86 فيض القدير للمناوي، (132/2).

87 صحيح البخاري، كتاب البيوع، حديث رقم 2087 - (490/7).

88 صحيح البخاري، كتاب الحج، حديث رقم 1520، (579/2). وصحيح مسلم، كتاب الحج، حديث رقم

3126، (66/4).

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

أما التبرك بمجالستهم والاستماع إليهم وما يلقونه من علم ودروس، أو بدعائهم، أو نصيحتهم، فهذا تبرك مشروع.

- ومن التبرك البدعي أيضاً التبرك بما لم ينص على التبرك به وإن كان معظماً، كطلب البركة من الله تعالى بواسطة غلاف الكعبة أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة استلام الحجرة النبوية أو طلب البركة من الله تعالى بواسطة تمر المدينة النبوية، ونحوها مما لم يرد به الكتاب والسنة.

ومن التبرك البدعي: تقبيل المصحف تبركاً لا تعظيماً، أما التعظيم فقد أجازته بعض الفقهاء⁸⁹.

ومن التبرك البدعي: اعتقاد بعض الناس أنه إذا تزوج ليلة الجمعة أو عقد فإنه أبرك، فهذا من البدع، وكذلك العقد في المساجد تبركاً من البدع⁹⁰.

وقد جاء في كتاب التوحيد: باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما. قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنْوَةَ الْآخْرَىٰ﴾ [سورة النجم: 19-20].

عن أبي واقد الليثي⁽⁹¹⁾ - رضي الله عنه- قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حُدُنَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَالْمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا، 89 نور السنة وظلمات البدعة، في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن علي بن وهف القحطاني، (76/1)، مطبعة سفير، الرياض. مؤسسة الجريسي للتوزيع.

90 سئل الابناني عن حكم تقبيل المصحف فأجاب: هذا مما يدخل - في اعتقادنا - في عموم الأحاديث التي منها (إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة)، وفي حديث آخر (كل ضلالة في النار)، فكثير من الناس لهم موقف خاص من مثل هذه الجزئية، يقولون: وماذا في ذلك؟! ما هو إلا إظهار تبجيل وتعظيم القران، ونحن نقول صدقتم ليس فيه إلا تبجيل وتعظيم القران الكريم! ولكن ترى هل هذا التبجيل والتعظيم كان خافياً على الجيل الأول - وهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم- وكذلك أتباعهم وكذلك أتباع التابعين من بعدهم؟ لا شك أن الجواب سيكون كمال قال علماء السلف: لو كان خيراً لسبقونا إليه.

هذا شيء، والشئ الآخر: هل الأصل في تقبيل شيء ما الجواز أم المنع؟ هنا لا بد من إيراد الحديث الذي أخرجه الشيخان في صحيحهما ليتذكر من شاء أن يتذكر، ويعرف بُعد المسلمين اليوم عن سلفهم الصالح، وعن فقهم، وعن معالجتهم للأمور التي قد تحدث لهم

ذاك الحديث هو: عن عباس بن ربيعة قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُقبِل الحجر (يعني: الأسود) ويقول (إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، فلولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبلك ما قبلتُك)، وما معنى هذا الكلام من هذا الفاروق: لولا أنني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبلك ما قبلتُك؟! .

إذاً، لماذا قبل عمر الحجر الأسود، وهو كما جاء في الحديث الصحيح (الحجر الأسود من الجنة)؟! فهل قبله بفلسفة صادرة منه!، كيف يجب علينا أن نفسر القرآن الكريم، للأباني، (17/1).

91 انظر المعتصر شرح كتاب التوحيد، للشيخ علي بن خضير الخضير، (49/1).

وَيُنُوطُونَ بِهَا أَسْلِحَتَهُمْ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ: فَمَرَرْنَا بِالسُّدْرَةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مَجْهَلُونَ ﴿ [سورة الأعراف: 138] لَتَرْكَبُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»⁽⁹²⁾ رواه الترمذي⁽⁹³⁾ وصححه⁽⁹⁴⁾.

وهذا الحديث فيه دلالة بينة على أن كثيراً من الأمور الشركية والبدعية تقع عن طريق التقليد، من غير أن يكون هناك مستنداً من الأدلة الشرعية.

المطلب الثالث: الشرك في البركة

وقد يصل الحال بمن يطلب البركة بغير ما شرع، بالتبرك الممنوع الشرك الأكبر المخرج من الملة؛ وذلك إذا اعتقد المتبرك أن المتبرك به يهب البركة بنفسه استقلالاً عن الله تعالى، حيث صار بفعله هذا كمن يدعوا غير الله تعالى.

التبرك بآثارهم وأماكنهم، وما يضاف إليهم في حياتهم من نحو ثيابهم وحيواناتهم، أو ينسب إليهم بعد مماتهم من مثل تماثيلهم وأبنية قبابهم.

وليس هذا التبرك نفسه شركاً، ولكنه قد يكون ذريعة إليه، كما وقع لقوم نوح في التبرك بصالحيتهم، وللعرب في التبرك بحجارة حرمهم، وتشابهه الباعث على الوثنية في أمتين بينهما آلاف السنين، مما يبعث على الحذر من هذا التبرك، ويقوي الظن في اقتضائه للشرك⁽⁹⁵⁾.

وأمثلة ذلك:

92 أبو واقد الليثي مختلف في اسمه قيل الحارث بن مالك وقيل بن عوف وقيل عوف بن الحرث بن أسيد بن جابر بن عبد مناة، من مسلمة الفتح وقيل أسلم قديماً، واختلف في وفاته فقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون. الإصابة لابن حجر، (455/7).

93 سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق بشار عواد، أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم، 2180، (4/45)، دار الغرب الإسلامي بيروت، طبعة 1998م. بلفظ قريب منه واللفظ عند الطبراني في المعجم الكبير، معجم أبي واقد الليثي، حديث رقم 3216، (3/394).

94 الترمذي الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن سورة السلمى الترمذي الضرير، مصنف الجامع، وكتاب العلل، قيل: مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد، بكى حتى عمي وبقي ضريباً سنين مات سنة تسع وسبعين ومائتين بترمذ. تذكرة الحفاظ للذهبي، (155/2).

95 كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لمحمد التميمي، تحقيق عبد العزيز السعيد، (1/27). طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

طلب البركة من الأولياء، كمن يقول من بركاتك يا شيخ هب لنا الولد، أو الزوج أو غير ذلك.

وهو ما كان فيه طلب الخير والنماء من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله سبحانه، أو أن يعتقد المتبرك [بصيغة اسم الفاعل]: أن المتبرك به غير الله تعالى يعطي الخير والنماء فوق الأسباب العادية، وقد سبق على لسان علماء الحنفية أن من أنواع التبرك: الشرك في التبركات. وهذا النوع من التبرك يرجع إلى عقيدة التصرف في الكون لغير الله سبحانه وتعالى؛ وقد سبق مفصلاً محققاً على لسان علماء الحنفية، أن هذه العقيدة من أعظم أنواع الإشراف بالله تعالى في الربوبية، وأن صاحب هذه العقيدة من أوصاف المشركين⁽⁹⁶⁾.

ولذلك ذكر أهل العلم أن التبرك الشركي ينقسم إلى قسمين:

1- تبرك عبادة، وهذا ينقسم أيضاً إلى قسمين:

أ/ عبادة اعتقادية ب/ عبادة عملية.

أما العبادة الاعتقادية، فهو أن يعتقد بهذا الشيء أنه يعطي البركة، وأنه بركة بذاته، ولو لم يصحب هذا الاعتقاد عمل.

أما العبادة العملية، فهو أن يذبح لها، أو يطلب البركة بالذبح لها، أو دعائها، أو الاعتكاف، أو الطواف لطلب منها البركة، فهذا كله شرك أكبر.

والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الجن: 18] فهو قد صرف شيئاً من العبادات لغير الله، وهذا التبرك يفعله من ابتلى بعبادة غير الله.

2- تبرك و

96 رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الجزائري، (1/148)، دار الراية، الطبعة الأولى، 1422هـ/2001م. تحقيق أبي عبدالرحمن محمود.

سيلة وواسطة: وهي أنه يذبح لله عندها، أو أن يصلي لله لكن عندها، فهذا يعتبر تبرك وسيلة.

وضابطه: أن يعمل عندها عملاً لله تعالى.

ومن تبرك الوسيلة: أن يتمسح بشيء، كمن يتمسح بأعمدة المسجد الحرام أو الكعبة تبركاً، فهذا يدخل تحت الشرك الأصغر⁽¹⁾⁹⁷.

فالتبرك يكون شركاً من وجهين:

الأول: في الربوبية والتصرف في الكون فإذا اعتقد المتبرك أن أحداً غير الله يهب البركة بنفسه فهذا شرك في توحيد الربوبية.

الثاني: في العبادة، حيث طلب المتبرك ودعا غير الله تعالى أن يعطيه البركة، كمن يطلب بالبركة الولد، والزوجة والمال مثل أن يقال يا فلان هب لنا ببركتك ولداً.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث -وبعد هذا التطواف في البركة- والذي أرجوا أن يكون مباركاً ونافعاً، وأن يُعْضَ الطرف عمّا فيه من الخطأ والزلل والقصور، لقصور كاتبه، وأن يقبل ما فيه من الحق والصواب؛ كما أود في خاتمته هذه أن أشير إلى أهم نتائجه:

- 1- أهمية البركة والحاجة إليها، لكل إنسان في هذه الحياة الدنيا، وفي الآخرة أيضاً.
- 2- إن طلب البركة من مطالب الشريعة، فقد حثت على طلبها وتحريها، والبعد عن كل ما يذهبها ويمحقها.
- 3- إن الشواهد الحسية على وجود البركة، واضحة ومشاهدة، ومع ذلك يغفل عنها كثير من الناس.

4- إن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق بركة، على الأمة وعلى جميع من في الكون لقول الله تعالى فيه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: 107].

5- إن الله سبحانه وتعالى بارك في بهيمة الأنعام، الإبل، والبقر، والأغنام، لينتفع

97 جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، شمس الدين الأفغاني، (3/1575). دار الصميعي، الطبعة الأولى، 1416هـ/1996م.

البركة: معناها، ومفهومها، ومدلولها، واعتقاد الناس فيها

الإنسان بها، بدوام ما فيها من الإنعام.

6- إنَّ الله سبحانه جعل أمكنة وأزمنة مباركة، يضاعف فيها العمل، ويعظم فيها الأجر والثواب، وتنزل فيها الخيرات، ويطيب بها المقام.

7- يوجد عند الناس اعتقاد صحيح في البركة، وعند بعضهم اعتقاد باطل، كما يوجد تبرك مشروع، وتبرك ممنوع.

8- الحصول على البركة له وسائل مشروعة؛ قد بيّنت في الكتاب والسنة. وهي مبنية على القوى العبادة لله تبارك وتعالى.

9- إنَّ أسباب محق البركة، يكون بالمعاصي والبعد عن الله عزَّ وجلَّ.

10- إنَّ طلب البركة بغير الطريق الشرعي وما دلت عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم، يؤدي إلى التبرك الشركي أو التبرك البدعي، وهذا من أهم ما ينبه عليه المسلم.

أهم التوصيات:

- إقامة مؤتمرات وندوات علمية وأوراق عمل عن البركة وضرورتها في حياة المسلم.
- تنبيه الناس على أهمية البركة، في برامج دعوية وعقدية على الإعلام من خلال وسائله المرئية والمسموعة والمقروءة.

وأسأل الله جل وعلا أن يبارك في هذا المكتوب وينفع به وأن يجعلنا مباركين أينما كنَّا، وأن يكتب لنا البركة في ديننا، ودنيانا وأهلينا وذرياتنا، وفي آخرتنا.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

(1) المعتصر شرح كتاب التوحيد، للشيخ علي بن خضير الخضير، (1/49)

مظاهر انحراف الشعر العربي عن العقيدة الإسلامية

في العصرين: العباسي والحديث

د.أسامة محمد جمعة داود¹

أهمية البحث:

تكمن أهمية دراسة مظاهر الانحراف في الأدب العربي فيما يلي :

- تعتبر هذه الدراسة من الدراسات الرائدة لكون ظاهرة الانحراف العقدي عموماً من الظواهر التي تحتاج إلى درس يفصل فيها ويكشف عن مخبئها ويبحث عن أسبابها ووسائل علاجها.
- يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في المجال الدعوي وذلك بتمكين الدعاة من معرفة مواطن الانحراف العقدي في الشعر لينأى محبو الأدب عنها ويقل تقديرهم للشعراء الغاوين.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى التعريف بمظاهر الانحراف العقدي في شعر العصرين: العباسي والحديث، وإبراز النشاط الفعال لهؤلاء الشعراء الغاوين والجماعات الأدبية التي تقف وراء ذلك النشاط، كما يهدف البحث إلى تنبيه الشعراء والنقاد والدعاة المسلمين للتصدي لتلك الهجمة الشرسة التي تشن على العقيدة الإسلامية من قبل هؤلاء الشعراء الغاوين، وليس الغرض تفصيل الأمور التي وقعت منهم إنما الغرض أن يفتح باب إلى معرفة الانحراف فيحذر الناس.

أسباب اختيار الموضوع:

لم يكن اختيار الباحث لهذا الموضوع عشوائياً بل هناك عدة عوامل دفعته لتبني هذا الموضوع منها: إنَّ الباحث عضوٌ في رابطة الأدب الإسلامي منذ العام (2003)، وهذه الدراسة تمثل استجابة حقيقية لنداء رابطة الأدب الإسلامي الداعي إلى ضرورة الانتقال من التنظير والتقعيد للأدب الإسلامي إلى التطبيق، بالإضافة إلى النشاط الكثيف الذي أبهرت به الجماعات الشعرية الهدامة بعض الشباب المسلم

1 أستاذ الأدب والنقد المساعد بشعبة اللغة العربية، كلية التربية جامعة القرآن الكريم

حتى أصبح التصدي لها فرض عينٍ على كلِّ من يملك أدوات التصدي. ولأنَّ عقيدة المسلم هي أعزُّ شيءٍ عنده، فهي نجاته وسعادته، فيجب عليه أن يحرص على تجنب ما يسيء إليها أو يمسه من الشراكيات والخرافات والبدع، لتبقى صافية مضيئة، وذلك بالتزام الكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح.

كما ينبغي على الأديب الناقد وجوباً شرعياً أن ينبه على الخطر العقدي الناجم عن أقوال أيِّ شاعر، ولا بأس أن يعلم الجانب الأدبي عند الشعراء المنحرفين حتى يكون قوي الحجة في الرد عليهم، لكن ينبغي عليه في المقام الأول أن ينبه على أغلاط هؤلاء، وعلى ما اقترفته أيديهم في دين الله تبارك وتعالى.

فقد أصبح لزاماً على الأديب الناقد أن يقوم بدوره كاملاً لا سيما وهناك عدد من الشعراء قد شاع في شعرهم الاتكاء على الأساطير والوثنيات كإطار مرجعي وتعبيري للصورة، والدلالة، بل والفكر.

مشكلة البحث:

يحاول الباحث الإجابة على عدة تساؤلات تدور في ذهنه وهي :

- ما أبرز مظاهر الانحراف العقدي في الشعر العربي في العصر العباسي؟.
- ما أبرز مظاهر الانحراف في الشعر العربي في العصر الحديث؟.
- هل هناك جماعات شعرية تقف خلف هؤلاء الشعراء الغاوين وتشد من أزرهم؟.
- ما الأصل في الشعر العربي: الالتزام بالعقيدة الإسلامية أم الانحراف عنها؟.

فرضيات البحث:

- يفترض الباحث أنَّ ظاهرة الانحراف العقدي انتشرت على نطاق ضيق في الشعر العربي، ويمكن لمجموعة بحثية متخصصة إحصاء كل الانحرافات العقدية في الشعر العربي.
- مظاهر الانحراف العقدي في الشعر العربي، مع قلتها، بالمقارنة مع الشعر الملتمزم إلا أنها أشد خطراً على المجتمع، وأعمق أثراً على الشباب منه.

حدود البحث:

يتناول البحث: (مظاهر انحراف الشعر العربي عن العقيدة الإسلامية في

العصرين: العباسي والعصر الحديث)، وذلك يعني أن البحث يتناول هذه المظاهر في حدود زمانية تشمل العصر العباسي والحديث من تاريخ الأدب العربي وحدود مكانية تتضمن مواطن انتشار الشعراء المستهدفين في الوطن العربي.

الدراسات السابقة:

يمكن القول: هناك القليل من الدراسات التي ركزت على عدم الالتزام في الشعر العربي، فكان التركيز غالباً على الانحراف بنوعيه الأخلاقي والعقدي ونذكر من هذه الدراسات على سبيل المثال لا الحصر رسالة دكتوراه بعنوان: (المخالفات الشرعية في الأشعار العربية من صدر الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية)، إعداد: عبد المنعم عبد الله صبير، إشراف أ.د.: محمد بيلو أحمد، في عام 1999م.

وقد توصل مُعد الدراسة إلى عدة نتائج منها: قلة المخالفات الشرعية في فترة صدر الإسلام بالمقارنة مع العصر الأموي، وكثرة المخالفات في جانب الأخلاق وانعدام شعر الغلاميات في صدر الإسلام. أمّا دراسة الباحث فهي تركز الانحراف العقدي في الشعر العربي في فترة زمنية تشمل العصرين العباسي والحديث، وهي فترة لم تتناولها الدراسة السابقة، وتتميز بتركيزها على النص باعتباره خلاصة فكر الشاعر للتعرف على اتجاهاته الدينية ومدى انحراف الشاعر عن العقيدة الإسلامية، كما تتميز بتركيزها على المخالفات العقدية فقط وترك المخالفات الأخلاقية ليتصدى لها دارس آخر.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الدراسة أن يتخذ الباحث منهجاً تاريخياً وصفيّاً لمناسبته لهذه الدراسة.

هيكل البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يقسم إلى مبحثين، يتناول المبحث الأول مظاهر الانحراف العقدي في الشعر العباسي، ويتناول المبحث الثاني مظاهر الانحراف العقدي في الشعر الحديث.

المبحث الأول: مظاهر الانحراف العقدي في الشعر العباسي

الانحراف العقدي في الشعر باب كبير ولج فيه عدد من الشعراء وقد تجاهل

النقاد المنوط بهم التصدي لهذا الأمر واجبهام الديني تجاه هذا الانحراف إلا القليل منهم، فقد ركز معظمهم على تناول الإبداع بالنقد وكان لزاماً عليهم الرد على كل أشعار أولئك المخالفين وتفنيدهم مزامهم، وإبطال شبههم وافتراءاتهم حفاظاً على عقيدة المسلمين من الانحراف، "إذ أي خلل في مسألة من مسائل الاعتقاد" قد يقرب كثيراً من الأمور الاعتقادية، ويميل بها عن جانب الصواب"⁽²⁾، ولاشك أن المخرج من دوامة الضياع ومزالق الضلال الأدبي، هو العمل على مقاومة الانحراف والانحلال والمادية والإلحاد.

ولقد تباينت الأشعار المنحرفة عن النهج القويم في الشعر العباسي بين الكفر، والفسوق، والمعصية، والخطأ، وقد قسمت ما أحصيته من انحرافات عقديّة في الشعر العباسي على النحو التالي:

1 / التعدي على مقام الربوبية:

مقام الربوبية والألوهية يقتضي التعظيم والتنزيه والتفرد، وعدم إضافة خصائص الخالق إلى المخلوقين فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقرر للأمة أنه مرسل من الله ليس له من مقام الربوبية شيء وليس هو بملك إنما يتبع أمر ربه ووحيه. ولكن مما يلاحظ جلياً في بعض الشعر العربي عدم تعظيم بعض الشعراء لمقام الربوبية: "فقد كان أبو الطيب المتنبي أكثر الناس غلواً، وأبعدهم فيه همة، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى"⁽³⁾، كقوله⁽⁴⁾:

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

"هذه ألفاظ فيها قلة ورع وامتهان للدين"⁽⁵⁾ كما تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة وقوله: أحلى من التوحيد: يحتمل وجهين: أحدهما أن يكون وصف التوحيد بالحلاوة في فمه، وجعل الرشفات أحلى منه على وجه المبالغة، كما

- 2 شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ) (العرش)، تحقيق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1424هـ/2003م، ج 1 ص 419.
- 3 أبو الطيب المتنبي (ديوانه)، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983م، ص 19.
- 4 العمدة في محاسن الشعر مصدر سابق، ج 2 ص 63.
- 5 الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (المتوفى: 393هـ)، (المنصف للسارق والمسروق منه) حققه وقدم له: عمر خليفة بن إدريس، جامعة قاريونس، بنغازي، الطبعة: الأولى، 1994م، ص 255.

يقال: هو أحلى من الضرب، لأن الضرب معروف بالحلاوة. والآخر أن يكون جعل التوحيد غير موصوف بالحلاوة⁽⁶⁾.

وقد حمل بعض شراح ديوان المتنبي قوله (أحلى من التوحيد) بأنه يقصد أبا حيان التوحيدي: علي بن محمد التوحيدي البغدادي صاحب كتاب الإمتاع والمؤانسة وكتاب البصائر والذخائر والصديق والصدّاقة، الذي توفي سنة ثلاثمائة وثمانين والتوحيدي نسبة للتوحيد صنف من التمر⁽⁷⁾.

وقد جاوز حد الإساءة في قوله⁽⁸⁾:

أَيَّ مَحَلٍّ أَزْتَقِي؟ ... أَيَّ عَظِيمٍ أَتَّقِي؟
وَكُلُّ مَا قَدْ خَلَقَ ... اللهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقِ
مُحْتَقِرٌ فِي هِمَّتِي ... كَشَعْرَةٍ فِي مَفْرِقِي

وهذه أبيات فيها قلة ورع واحتقار لما خلق الله عز وجل وقد خلق الله الأنبياء والملائكة والصالحين وخلق الجن والملوك والجبارين وهذا تجاوز في العجب الغاية ويزيد على النهاية وقد تهاون بما خلق وما لم يخلق فكأنه لا يستعظم شيئاً مما خلق الله عز وجل الذي جميعه عنده كشعرة في مفرقه⁽⁹⁾.

2/ إنكار حياة ما بعد الموت:

ونجد في بعض الشعر العربي إنكاراً لحياة ما بعد الموت وتكذيباً بيوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء وثواب وعقاب في الحياة الآخرة، وإنكاراً للبعث واستبعاداً لإحياء الموتى وتكذيباً للبارئ.

وقد كان المشركون، وعبدة الأصنام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يجادلون

6 : أبو العلاء أحمد بن عبد الله المعري (363 - 449 هـ) (اللامع العزيزي شرح ديوان المتنبي)، تحقيق: محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008م، ص391.

7 نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الألوسي (جلاء العينين في محاكمة الأحمدين)، قدم له: علي السيد صباح المدني - رحمه الله -، مطبعة المدني، 1401 هـ - 1981 م، ص162.

8 أبو الطيب المتنبي (ديوانه)، ص20.

9 الحسن بن علي الضبي التنيسي أبو محمد، المعروف بابن وكيع (المنصف للسارق والمسروق منه)، ج1 ص317.

بالبعث: ويقولون: ﴿أءَاذًا كُنَّا عِظْمًا نَخْرَةً﴾ (١١) قَالُوا لَتَك إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٠﴾ وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (١١). ومن مجادلتهم: ﴿أَعِدُّكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرَجُونَ﴾ (٢٥) هَيَّاتِ هَيَّاتِ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿١٢﴾ إلى غير ذلك من مقالاتهم.

وقد ورد في شعرهم ما يؤيد هذا الانحراف المتمثل في إنكار البعث والنشور مثل أبيات أبو بكر بن الأسود بن شعوب الليثي، وهو شذاد ابن الأسود (١٣):

وَمَاذَا بِالْقَلْبِ قَلِيبِ بَدْرِ مِنْ الشَّيْزَى تَزِيئُ بِالسَّنَامِ
وَمَاذَا بِالْقَلِيبِ، قَلِيبِ بَدْرِ مِنْ الْقَيْنَاتِ وَالشَّرْبِ الْكِرَامِ
تُحْيِينَا بِالسَّلَامَةِ أُمُّ بَكْرِ وَهَلْ لِي بَعْدَ قَوْمِي مِنْ سَلَامِ
يُحَدِّثُنَا الرَّسُولُ بِأَنْ سَنَحْيَا وَكَيْفَ حَيَاةُ أَصْدَاءِ وَهَامِ

أما في العصر العباسي فقد كانت هذه الظاهرة أكثر وضوحاً فقد قال أبو نواس (١٤):

يَا عَاذِلِي فِي الدَّهْرِ ذَا هَجْرٍ ... لَا قَدْرُ صَحِّ وَلَا جَبْرُ
مَا صَحَّ عِنْدِي مِنْ جَمِيعِ الذِّي ... يُذَكِّرُ إِلَّا الْمَوْتَ وَالْقَبْرُ
فَأَشْرَبُ عَلَى الدَّهْرِ وَأَيَامِهِ ... فَإِنَّمَا يُهْلِكُنَا الدَّهْرُ

وهي كلمات قالها في سكره ومجونه وهذيانه، فقد ذكر الخطيب في "تاريخه" (١٥)

بإسناده عن الحسن بن أبي المنذر قال: كان أبو نواس يشرب عند ابن أبي المنذر، فبات ليلة، ثم قال: قوموا، فقمنا ودخلنا حانة خمار قد كان يعرفه، ومعه غلام قد كان أفسده على أبيه وغيبه عنهما زماناً، ونحن في أطيب موضع، فذكرنا الجنة

10 [النازعات: 11-12]

11 [يس: 78]

12 [المؤمنون: 35، 36]

13 أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، 1323 هـ، انظر حديث رقم 3921. ج 6 ص 226.

14 أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ) (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد الجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص 63.

15 أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 46هـ)، (تاريخ بغداد) تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، ج ٧ ص ٤٤١.

وطيبتها، والمعاصي وما يحول عنه منهما، وهو ساكت، فقال⁽¹⁶⁾:

يا ناظراً في الدين ما الأمر... لا قَدَرُ صَحَّ ولا جَبْرُ
ما صَحَّ عندي من جميع الذي... تذكره إلا الموت والقبرُ

فامتعضنا من قوله، وأطلنا توبيخه، وأعلمناه أننا نتخوف صحبته، فقال: ويلكم
والله إنني لأعلم بما تقولون، ولكن المجون يفرط علي، وأرجو أن أتوب ويرحمني
الله، ثم قال⁽¹⁷⁾:

لله دُرُّ الشيب من واعظٍ... وناصحٍ لو حَذِرَ الناصحُ
يأبى الفتى إلا اتباع الهوى... ومنهج الحق له واضحُ
فاعمد بعينيك إلى نسوةٍ... مهورهن العملُ الصالح
لا يجتلي العذراء من خدرها... إلا امرؤٌ ميزانه راجحُ
مَنْ اتَّقَى الله فذاك الذي... سيق إليه المتجر الرابحُ
فاغد فما في الدين أغلوطة... ورح بما أنت له رائح

وقال أيضاً⁽¹⁸⁾:

بَاحَ لِسَانِي بِمُضْمَرِ السَّرِّ... وَذَكَ أَنْيَّ أَقُولُ بِالذَّهْرِ
بَيْنَ رِيَاضِ السَّرورِ لِي شَيْعٍ... كَافِرَةٌ بِالْحِسَابِ وَالْحَشْرِ
مُوقِنَةٌ بِالْمَمَاتِ جَاحِدَةٌ... لِمَا رَوَّهَ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ
وَلَيْسَ بَعْدَ الْمَمَاتِ مُنْقَلَبٌ... وَإِنَّمَا الْمَوْتُ بَيْضَةُ الْعَقْرِ

16 أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (المتوفى: 392هـ) (الوساطة بين المنتبى وخصومه)، ص 63

17 أبو نواس الحسن ابن هاني (ديوانه)، تحقيق بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، ط1، 2010م، ص 710.

18 أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (الوساطة بين المنتبى وخصومه)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص 63. وقد ذكر أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي نواس في كتابه (سمط اللآلي في شرح أمالي القالي) (المتوفى: 487هـ) نسخته وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج 1 ص 523 نشوان بن سعيد الحميري اليميني (المتوفى: 573 هـ) (الحوار العيني) تحقيق: كمال مصطفى مكتبة الخانجي - القاهرة، 1948 م، ص 192

وَبَثَّتْ الشَّيْءَ وَالخَبْرَ: نشرته، ضغط الشيء: ضيقه أو عذابه بيضة العقر: معناه: بيضة الديك، وذلك أن الديك يبيض بيضة واحدة لا ثانية لها. فيضرب هذا مثلاً لكل من فعل فعلة واحدة، لم يصف إليها مثلها“⁽¹⁹⁾.

وهو هنا يعتقد بمعتقد الدهرية فقد أنكروا الخالق والرسالة والبعث والإعادة، وهم الذين أخبر عنهم القرآن الكريم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾⁽²⁰⁾.

وقال ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي⁽²¹⁾:

أَتْرَكَ لَذَّةَ الصَّهْبَاءِ نَقْدًا... لِمَا وَعَدُوهُ مِنْ لَبِنٍ وَخَمَرٍ
حَيَاةً ثُمَّ مَوْتُ ثُمَّ بَعْتُ... حَدِيثُ خُرَافَةٍ يَا أُمَّ عَمْرٍو

وهنا يشك في المعاد والثواب والعقاب، ويصرح بذلك، ويدعو الناس إلى استباحة المحرمات.

وقال أبو نواس⁽²²⁾:

فَدَعِ المَلَامَ فَقَدْ أَطَعْتُ غَوَايَتِي... وَنَبَذْتُ مَوْعِظَتِي وَرَاءَ جِدَارِي
وَرَأَيْتُ إِثَارَ اللَّذَاذَةِ وَالهِوَى... وَتَمَتَّعًا مِنْ طَيْبِ هَذَا الدِّيَارِ
أَحْرَى وَأَحْزَمُ مِنْ تَنْظُرِ أَجَلٍ... ظَنَّنِي بِهِ رَجْمٌ مِنَ الأَخْبَارِ
إِنِّي بَعَا جَلِ مَا تَرِينِ مَوْكِلٍ... وَسِوَاهُ إِرْجَافٍ مِنَ الأَثَارِ
مَا جَاءَنَا أَحَدٌ يُخْبِرُ أَنَّهُ... فِي جَنَّةٍ مَذْمُومَاتٍ أَوْ فِي النَّارِ
وَالتَّرَقُّبُ: تنتظر الشيء وتوقعه، الغواية: الضلالة الإرجاف: الإتيان بخبر لا أصل له. خبرٌ كاذبٌ مثير للفتن والاضطراب.

وقال ديك الجن⁽²³⁾:

19 محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (الزاهر في معاني كلمات الناس)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1412 هـ - م 1992م، ص 473

20 سورة الجاثية، الآية: 24

21 ديك الجن (ديوانه)، جمعه وشرحه عبد المعين الملوحي ومحي الدين الدرويش، مطبعة الفجر، ط1، 1960م، ص 47.

22 أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (الوساطة)، ص 64

23 ديك الجن أبو محمد عبد السلام بن رغبان (ديوانه)، ص 66

هِيَ الدُّنْيَا وَقَدْ نَعِمُوا بِأُخْرَى... وَتَسْوِيفٌ⁽²⁴⁾ النَّفُوسِ مِنَ السَّوَابِغِ
فَإِنْ كَذَبُوا أَمِنْتُ وَإِنْ أَصَابُوا... فَإِنَّ الْمُبْتَلِيكَ هُوَ الْمُعْصِي
وَأَصْدُقُ مَا أَبْتُكُ أَنْ قَلْبِي... بِتَصْدِيقِ الْقِيَامَةِ غَيْرِ صَافِي

إن هؤلاء الشعراء الذين ينكرون حياة ما بعد الموت ”ويجهلون عظمة الله، وقدرته، وعلمه، وحكمته، وأنهم لا يبصرون في أنفسهم، فهم أنفسهم أدل الدلائل، وأقوى الحجج على نفى ما ينكرونه من البعث، فالله أحياهم أولاً وأماتهم ثانياً، ولا تزال القدرة الصالحة لإحيائهم مرة، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة“⁽²⁵⁾، ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾⁽²⁶⁾.

الشاعر ديك الجن أَخَذَ إِلَى شَهَوَاتِ الدُّنْيَا حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَرَى تَأْخِيرَ تَعَاظِيهَا مِنَ الْمُهْلَكَاتِ، فَقَدْ كَانَ مَغْمُورًا فِي لَذَّةِ نَفْسِهِ مِنَ الدُّنْيَا، غَيْرَ وَرِعٍ وَلَا تَقِيٍّ، فَاتَّبَعَ مَرَادَهُ وَلَمْ يَسْلِكْ مَسَالِكَ الْاِقْتِدَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ يَزْعَمُ أَنَّهُ عَلَىٰ حَقٍّ وَإِنْ كَانَ مَخْطِئًا فِي سُلُوكِهِ فَإِنَّ اللَّهَ الَّذِي ابْتَلَاهُ سَيَغْفِرُ لَهُ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْهُ. لَكِنْ مَنْ لَمْ يَبِيعْ مِنَ اللَّهِ حَيَاتِهِ الْفَانِيَّةَ وَشَهَوَاتِهِ الزَّائِلَةَ، كَيْفَ يَعْشَىٰ مَعَ اللَّهِ تَعَالَىٰ؟ وَكَيْفَ يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً؟.

3 / دُعَاءُ غَيْرِ اللَّهِ :

من الغرور اعتقاد أن استجابة الدعاء المحرم مثل دعاء غير الله واستغاثة غير الله والتوسل بما لا يحب أن يتوسل به إليه كتوسل المشركين بأوثانهم إلى الله، أو الدعاء عند قبر أو تمثال، وقد أفصح القرآن في مواضع بالنهاي عن دعاء غير الله كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽²⁷⁾ وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾⁽²⁸⁾؛ لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية لأنهما متلازمان، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير، لأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يجلب الخير إلا هو وهذا النوع من الانحراف موجود بكثرة في الشعر

24 التسويف : التأخير من قولك نحو سوف أعمل كذا.

25 سيد سابق (المتوفى: 1420هـ) (العقائد الإسلامية)، دار الكتاب العربي - بيروت، ص272.

26 سورة الروم - الآية 27.

27 سورة يونس : الآية 106.

28 سورة يونس : الآية 107.

العربي القديم ومن أمثلته في العصر العباسي ما نسب إلى عباس بن الأحنف وهو يزعم أنه إذا خدرت رجله فذكر أحب الناس إليه ذهب عنه الخدر؛⁽²⁹⁾

يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ يَا مَنْ لَا أَسْمِيَهُ يَا مَنْ إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي أُنَادِيهِ

وقال بشار بن برد⁽³⁰⁾.

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي شَفَيْتُ بِذِكْرِهَا... إِذَاهَا فَأَهْفُوا بِاسْمِهَا حِينَ تَنْكَبُ

4 / التمرّد على الحق :

وهو من أعمال الشياطين فهي تتجه دائماً إلى التمرد على الله، وإلى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، ووصل ما أمر الله به أن يقطع، فما من شر في الأرض ولا فساد في الوجود، إلا ولهم به صلة. وهم الذين زينوا للأمم السابقة سوء العمل، وحسنوا لهم الكفر والمعاصي، ودعوهم إلى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر الله، ولا تزال هذه أعمالهم، وقد أحصيت عدداً من الأعمال الشعرية في العصر العباسي اتجه أصحابها منحي التمرد على الله تعالى:

قال أبو نواس⁽³¹⁾:

يَا أَحْمَدَ الْمُرْتَجَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ... قُمْ سَيِّدِي نَعِصْ جَبَّارَ السَّمَاوَاتِ

غضب الفضل بن الربيع على أبي نواس، فسأل جماعة الفقهاء عنه فأفتوا بحل دمه، فقال أبو نواس إن كنتم قلتم ذلك من عقولكم فقبحاً لها وتخميناً، فما أبعدكم من العقل هل للسماء من جبر أو كان بها كسر فاحتيج إلى أن تجبر. فقال هذا كلام زنديق وأمر الفضل بن الربيع بحبسه فحبسه وتناساه زماناً فأظهر التوبة فأطلقه ولما أطلق من حبسه كتب إلى الفضل يشكره على جميل فعله⁽³²⁾.

وعندما سمع أحمد بن أبي دواد أنه ذكر هذا البيت، فتفرّع له وجعل يقول:

29 عباس بن الأحنف (ديوانه)، دار الكتب، مطبعة الكتب المصرية، ط1، 1956م، ص284.

30 بشار بن برد (ديوانه)، تحقيق محمد الطاهر عاشور، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص313.

31 أبو نواس (ديوانه)، ص75.

32 أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهرسه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص63.

لعنه الله، لعنه الله! (33). ومثل هذا كثير في ديوانه، ولا نشك في أنه كان ينظمه أثناء معاقرته للخمر هزلاً وفكاهة. وأيضاً لا بد أن نلاحظ شيئاً آخر هو كثرة ما حمل عليه من شعر الخمر والمجون (34).

4 / الغلو في المدح :

الغلو في المدح مذموم لقوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ (35). وقوله صلى الله عليه وسلم: ”لَا تَطْرُونِي كَمَا أَطْرَى عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ“ (36)، والواجب أن يُعرف للأشخاص قدرهم اللائق بهم، فيعرف للرسول رسالتهم، ويعرف للصالحين صلاحهم، ويعرف للعلماء علمهم، مع الحذر من الإطراء وهو الغلو في المدح ومن أمثلة الغلو في المدح في الشعر العربي في العصر العباسي قول المتنبي (37):

يا أيُّها الملك المُصَفَّى جَوْهراً... مِنْ ذَاتِ نِي الْمَلَكُوتِ أَسْمَى مِنْ سَمَا
نُورٌ تَظَاهَرَ فِيكَ لِأَهْوَتِيَّةٍ... فَتَكَادُ تَعْلَمُ مَا لَنْ يُعْلَمَ

هذا مدح متجاوز فيه قلة ورع وترك للحفاظ لأنه جعله من ذات الباربي وذكر أنه قد حل فيه نور لاهوتي ثم قال بعد هذا كله فيكاد يعلم فأتى بلفظ المقاربة ولم يطلق عليه علم الغيب (38).

وقال أبو نواس يمدح محمد الأمين أحد خلفاء بني العباس (39):

تَنَازَعَ الْأَحْمَدَانِ الشَّبَهَ فَاشْتَبَهَا... خَلْقاً وَخَلْقاً كَمَا قَدَّ الشَّرَاكِنِ
سَبَّهَانَ لَا فَرَقَ فِي الْمَعْقُولِ بَيْنَهُمَا... مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ وَالْعَدُّ اثْنَانِ

33 أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزبان (الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء)، 339

34 أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (الفن ومذاهبه في الشعر العربي)، دار المعارف بمصر، الطبعة: الثانية عشرة، ص160.

35 [النساء: 171].

36 محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ، ج8 ص138. حديث رقم 6830.

37 أبو الطيب المتنبي (ديوانه)، شرح البرقوق، دار الأرقم، دمشق، 1995م، ج2 ص289.

38 أبو نواس (ديوانه)، ص355.

39 أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) (الصناعتين) تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، 1419هـ، ص116.

فزعم أنّ محمّد الأمين ابن زبيدة مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُلُقِهِ وَخُلُقِهِ. فلا بأس أنّ يشبهه في هيئته أو شكله فقد كان بعض الصحابة يشبهون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهم: جعفر بن أبي طالب والحسن بن علي وقثم بن العباس وأبو سفيان بن الحارث والسائب بن عبيد بن عبد نوفل بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف. ولكنه يفرط في المدح ويقول «قولاً عظيماً لا يتكلّم بمثله مسلم»⁽⁴⁰⁾ حين يزعم أنّ محمّد الأمين ابن زبيدة مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خُلُقِهِ وَخُلُقِهِ.

ومن المديح المفرط قول منصور النمري في هارون⁽⁴¹⁾:

إذا ما عددت الناس بعد محمد... فليس لهارون الإمام نظير

فضله على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وهذا مكروه جداً.

ومنه قول المتنبي في مدح سيف الدولة⁽⁴²⁾:

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهي ... إلى قول قوم أنت بالغيب عالم

فعلم الغيب مما استأثر الله به، فالزعم بأن إنساناً كائناً من كان يعلم الغيب إفراط في الغلو وانحراف في العقيدة.

5/ التزام العقائد الفاسدة :

تضمن الشعر العربي في العصر العباسي بعض العقائد الفاسدة كالغلو في الجبرية، والاعتزاز بالقدر عند كلّ جليل وحقير وانتهاك أصناف المعاصي والتعذر بالقدر.

قال بشار بن برد⁽⁴³⁾:

**خلقت على ما في غيرٍ مَحَيَّرٍ... هَوَايَ وَلَوْ خُيِّرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا
أُرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُطَى وَلَمْ أُرْدُ... وَقَصَّرَ عِلْمِي أَنْ أَنَالَ الْمَعْيَبَا**

40 أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى المرزباني (المتوفى: 384هـ) (الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء)، ص229.

41 أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ) (ديوان المعاني)، دار الجيل - بيروت، ص58.

42 أبو الطيب المتنبي (ديوانه)، ص387.

43 بشار بن برد (ديوانه)، ص269.

وترد المسألة في شعر أبي العتاهية حين يقول⁽⁴⁴⁾:

يُقَدَّرُ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ أَمْرًا وَيَأْبَاهُ عَلَيْهِ الْقَضَا

ويقول⁽⁴⁵⁾:

الْحَمْدُ لِلَّهِ يَقْضِي مَا يَشَاءُ، وَلَا يَقْضِي عَلَيْهِ، وَمَا لِلْخَلْقِ مَا شَاءُوا

أما أبو نواس فقد كان في زهده جبرياً لذا نراه يقول⁽⁴⁶⁾:

**لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا... مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرَ
لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدْبِيرٌ... بَلِ اللَّهُ الْمُدَبِّرُ**

ونجد للعباس بن الأحنف بيتين يثيران حفيظة أبي الهذيل العلاف وكان أبو الهذيل يبغضه ويلعنه لقوله⁽⁴⁷⁾ :

**إِذَا أُرِدْتُ سَلْوًا كَانَ نَاصِرَكُمْ ... قَلْبِي وَمَا أَنَا مِنْ قَلْبِي بِمَنْتَصِرٍ
فَأَكْثَرُوا أَوْ أَقَلُّوا مِنْ إِسَاءَتِكُمْ ... فَكُلُّ ذَلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى الْقَدْرِ**

يعتقد بعض هؤلاء الشعراء أن المؤثر في الأفعال الاختيارية للعباد هي قدرة الله تعالى بلا قدرة من العباد أصلاً أي ليس للعبد قدرة أصلاً وهذا مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة فأما فهم يرون الجبر والقدر.

وفي خلاصة هذا المبحث نقول: لا يخلو عصر من عصور الأدب العربي من الانحرافات العقيدية وما ذكرناه جزء يسير من الانحرافات العقيدية في الشعر العباسي إذ لا يعدم المتتبع للعصر العباسي من العثور على كثير من هذه الانحرافات الأخرى، وربما لا تقل خطورة عن ما أوردناه فهي واضحة لا لبس فيها ويتحمل وزرها قائلوها وحدهم.

المبحث الثاني : مظاهر الانحراف العقدي في الشعر الحديث

الهجمة الشرسة على العقيدة الدينية التي تبناها الشعراء الغاؤون من أنصار

44 أبو العتاهية (ديوانه)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1986م، ص21.

45 أبو العتاهية (ديوانه)، ص11.

46 أبو نواس (ديوانه)، ص711.

47 عباس بن الأحنف (ديوانه)، ص118-119

الحدثاثة⁽⁴⁸⁾ أمثال: أدونيس، وكمال أبو ديب، وعبد الله الغزالي، بدأت بالدعوة إلى اعتماد لغة الكلام (العامة) لغة أدبية وإعلان الحرب على اللغة العربية الفصيحة: لغة القرآن الكريم، ولغة السُّنة النبوية، ولغة التراث الإسلامي بشكل عام. فإذا ما هُزمت تسهل هزيمة ما تحويه من تراث مشرف. ثم أعلنوا الحرب ضد الأدب الإسلامي وذلك بأن ضربوا حوله أسواراً من الحصار الإعلامي تخنقه... فلم يسمحوا بنشره.. ولم يتحدثوا عنه أو يشيروا إليه، ولم يشيدوا به في منتدياتهم ومؤلفاتهم ولم يتوانوا لحظة في تشكيك الناس فيه، وتشويه صورة من يتبناه، أو يدعو إليه! وأخذت الهجمة على العقيدة الإسلامية في أشعارهم عدة أشكال أبرزها ما يلي :

1/ التمرد على الحق ورفض الانقياد لله تعالى :

عدم الانقياد لحكم الله وشريعته وإرادته الإلهية، يعد من أعظم عثرات بعض الحدثائين فقد شهدت عليهم أشعارهم بالتعدي على حدود الله، والإباق عن الانقياد له وقد كان نزار قباني من هؤلاء الشعراء الذين اختاروا التمرد على الحق، ورفضوا الانقياد لله وتركوا الامتثال لأمره في نتاجهم الأدبي وقد صرح بذلك، في قوله⁽⁴⁹⁾ :

**متمردان على السماء.. على قميص المنعم
صنمان إنّي أعبدُ الأصنامَ رغم تأثمي**

وهو يتحدث عن نهدين متمردين على السماء مشبهاً لهما بصنمين كالجبت والطاغوت أو كالسجة والبجة أو إساف ونائلة أو كالات والعزى أو ععب وقرّة أو الشارق والشريق، ويصرح بأنه يعبد الأصنام رغم التقصير أي أنه لم يقدّم بواجبه تجاهها.

يقول أدونيس في قصيدة (طرف العالم)⁽⁵⁰⁾ :

**نمضي ولا نُصغي لذلك الإله
تُقنا إلى ربٍ جديدٍ سواه**

ويقول صلاح عبد الصبور على لسان ذلك الصوفي المتمرد، موجهاً الخطاب إليه

48 مصطلح أُطلق على عدد من الحركات الفكرية الداعية إلى التجديد والتأثرة على القديم في الآداب الغربية وكان لها صداها في الأدب العربي الحديث خاصة بعد الحرب العالمية الثانية «يميل كثير من المبدعين الآن إلى الحدثاثة باسم التجديد وتارة الصدق الفني».

49 نزار قباني (الأعمال السياسية الكاملة)، منشورات نزار قباني، بيروت، ط2، 1999م، ج1، ص72-73

50 أدونيس: علي أحمد سعيد (الأعمال الكاملة)، دار العودة، بيروت، لبنان، 1960م، ج1 ص304.

-سبحانه وتعالى⁽⁵¹⁾:

يا رب اشهد
هـذا ثوبك
وشعارُ عبوديتنا لك
وأنا أجفـوهُ
أخلعه في مرضاتك
يا رب اشهد

وهو كلام غير مفهوم وغير مقبول عندنا نحن المسلمين، إذ كيف يتقرب العبد إلى ربه -عز وجل- بخلع دليل عبوديته له.

2 / وصف الله بصفات المخلوقين:

تعتمد بعض شعراء الحداثة وصف الله تعالى بصفات المخلوقين، وادعاء التغيير والتبديل في خصائصه التي ذكرها في القرآن الكريم : فقد وصف نفسه أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وكذلك جاء في وصفه إنه لا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي الذي لا يفنى... لكن انظر ماذا يقول الحداثيون؟
يقول أودنيس⁽⁵²⁾ :

كَاهِنَةُ الْأَجْيَالِ قُوِي لَنَا شَيْئاً عَنِ اللَّهِ الَّذِي يُوَلِّدُ..
قُوِي أَيْ عَيْنِيهِ مَا يُعْبَدُ..

يقول نزار قباني في رسالة حب كتبها قال⁽⁵³⁾:

يحدث شيء غير عادي..

في تقاليد السماء...

يصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب...

ويتزوج الله حبيبته..

51 صلاح عبد الصبور (مأساة العلاج)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الاسكندرية، 2000م، ص34

52 أودنيس : علي أحمد سعيد (الأعمال الشعرية الكاملة)، دار المدى للثقافة والنشر، ط1، 1996م، ص94-95.

53 مؤمن المحمدي (الأعمال الكاملة لنزار قباني)، ص423

فهو يزعم أن الملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون، وحياتهم في الجنة مجرد فرح وسرور وسلام قد خرجوا عن تقاليد السماء حين تحرروا من هذه القيود وتركوا تنسكهم ومارسوا الحب، وأن الله سبحانه وتعالى الذي ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ (٣) ولم يكن له كفواً أحدٌ ﴿٥٤﴾ قد خرج أيضاً عن تقاليد السماء واتخذ زوجة وحبيبة تعالى الله عن قوله علواً كبيراً.

وقال أيضاً⁽⁵⁵⁾:

إني بأشعاري خرجت على تعاليم السماء
من قال إنَّ الحب عدوان على شرف السماء
إنَّ السماء صديقتي.. وتزيد أنجمها بريقاً..
إن أنا يوماً عشقت
ماذا إذا غنيت باسم حبيبتي

وزرعتها في كل عاصمة كغابة كستناء⁽⁵⁶⁾.

ونزار في الأبيات أعلاه يصرُّ على انحرافه ويبرر أفاعيله المنحرفة عن التصور الإسلامي فهو لا يرى ضرراً في تغنيه باسم محبوبته، ويصف الدعاة والنقاد الذين ينتقدون تصرفه بالأغبياء، فهو كما زعم لم يخرج عن تعاليم السماء لأن السماء لم ترفض مثل هذا المجون الذي أوغل فيه.

ويقول ذلك أدونيس في مجموعته الشعرية⁽⁵⁷⁾:

يَا أَرْضَنَا يَا زَوْجَةَ الإِلهِ وَالطُّغَاةِ

ويقول نزار قباني⁽⁵⁸⁾ :

لا تسافري.. لأن الله - منذ رحلت - دخل في نوبة بكاء عصبية
وأضرب عن الطعام!!

54 سورة الإخلاص، الآيتان، (3-4)

55 مؤمن المحمدي (الأعمال الكاملة لنزار قباني)، ص32.

56 يقصد شجرة الكستنة «ثمرتها مسكرة: معقدة بالسُّكَّر أو محفوظة به»، لونها بُنيٌّ مائل للحُمْرة.

57 أدونيس: علي أحمد سعيد (الأعمال الشعرية الكاملة)، دار العودة، بيروت، لبنان، 1960م، ج3 ص150.

58 مؤمن المحمدي (الأعمال الكاملة لنزار قباني)، ص482.

ويقول عبد الوهاب البياتي في ديوانه (كلمات لا تموت)⁽⁵⁹⁾

الله في مدينتي يبيعه اليهود... الله في مدينتي مشرد طريد
ومن فلسطين: يقول محمد درويش في قصيدته (إلهي لماذا تخليت عني)⁽⁶⁰⁾:

إلهي لماذا تخليت عني؟ لماذا تزوجت مريم
أطلقتني؟ أم ذهبت لتُشفي سواي عدوي من المقصلة⁽⁶¹⁾
أمن حق من هي مثلي أن تطلب الله زوجاً وأن تسأله إلهي لماذا
تخليت عني

إلهي إلهي لماذا تخليت عني
ويقول: معين بسيسو في قصيدته (إلى سائحة)⁽⁶²⁾ :

وأخر ديك قد صاح ذبحناه...
لم يبق سوى الله..
يعدو كغزال أخضر
تتبعه كل كلاب الصيد...

ويتبعه الكذب على فرس شهباء سنطارده..
سنصيد له الله) !!

ويقول في قصيدة (عيون مليكة المراكشية)⁽⁶³⁾:

(والله كان يلعب الشطرنج كل ليلة مع الملائكة)

يقول صلاح عبد الصبور⁽⁶⁴⁾:

ورقصنا وإلهي للضحى خدًا لخد..
ثمُّ نمنا وإلهي بين أمواجٍ وورْد..

ويقول أيضاً⁽⁶⁵⁾:

- 59 عبد الوهاب البياتي (كلمات لا تموت)، 1960م، لبنان، بيروت، ج 2 ص 526.
60 محمود درويش (الأعمال الشعرية الكاملة)، اعداد علي مولى، مكتبة الاسكندرية، ص 898
61 مَقْصَلَةٌ [مفرد]: ج مَقْصَلَاتٍ وَمَقْاصِلٌ: اسم آلة من قَصَلَ: وهي آلة يقطع بها رأس المحكوم عليه بالإعدام «شاع استعمال المَقْصَلَةِ في الثَّورَةِ الفرنسيَّة». 62 مجلة البيان، العدد 125، 1418هـ، ص 70.
63 مجلة البيان، العدد 125، 1418هـ، ص 70.
64 صلاح عبد الصبور (ديوانه)، دار العودة، 1972م، ص 34.
65 المصدر نفسه، ص 47

كان لي يوماً إلهٌ وملاذي كان بيته..
قال لي إن طريق الورد وعزُّ فازتقيته..

3/ التعدي على مقام الربوبية والتطاول على الذات العليّة :

أكثر بعض الحداثيين من التعدي على مقام الربوبية في مقالاتهم وأشعارهم ومن أشهر هؤلاء أدونيس إذ يقول : ”الله في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتة متعالية، منفصلة عن الإنسان، لكن التصوف على مذهب الحلاج طبعاً ذوّب ثبات الألوهية.. أزال الحاجز بينه وبين الإنسان، وبهذا المعنى قتله أي الله وأعطى للإنسان طاقاته“⁽⁶⁶⁾

وقال نزار قباني⁽⁶⁷⁾:

مَلِكٌ أَنَا... لَوْ تُصْبِحِينَ حَبِيبَتِي
لَا تُخْجَلِي مِنِّي... فَهَذِي فُرْصَتِي
أَغْزُو الشَّمُوسَ مَرَاكِبًا وَخُبُولًا
لَأَكُونَنَّ رَبًّا، أَوْ أَكُونَنَّ رَسُولًا

فهو هنا يمارس الكذب والعصيان والتعدي على مقام الربوبية في تودده للنساء فيقول لإحداهنّ لو تصبحين حبيبتني سأصبح ملك في الكون بعد أن أغزو السماء فأحل محل الإله أو أكون رسولا له. ولقد قال فرعون قبله: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾⁽⁶⁸⁾ وقال ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾⁽⁶⁹⁾.

ويقول (بلند الحيدري) في قصيدة عنوانها (لو مرّة نمت معي)⁽⁷⁰⁾:

” يا سيدي..

لن نوقد الشموع كي تعودُ

لن نغسل الدروب بالدموع كي تعودُ

ولن نحبّ ربك المسلول مثل الجوع.. كي تعودُ

عد مثلما نريدُ

66 أدونيس : علي أحمد سعيد (مقدمة للشعر العربي)، دار العودة، 1971م، ص 131

67 مؤمن المحمدي (الأعمال الشعرية الكاملة لنزار قباني)، ص552.

68 سورة النازعات: 24.

69 سورة القصص: 38.

70 مجلة مواقف»، العدد 4، أيار - حزيران، 1969، ص 73.

ككل شيء كاذب يضحك ملء دارنا
ككذبة الصباح في تحية لجارنا
لأننا نريد أن نعرف في الخطيئة الإنسان
لأننا نريد أن نعبد فيك الله والشيطان“
ويقول نزار قباني⁽⁷¹⁾:

وطنٌ بدونِ نوافذٍ
هَرَبْتُ شوارعه.. مآذنه.. كنائسه..
وَقَرَّ اللهُ مذعورًا
وَقَرَّ جميعُ الأنبياء.

/4 / التناول على الأنبياء :

إنَّ الحدائثيين لم يتفوهوا بالترهات ضد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فحسب، ولم يتناولوا عليه وحده بل تناولوا على جميع رسل الله السابقين وأنبيائه والمرسلين، ورددوا العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات عليهم. يقول نزار قباني⁽⁷²⁾:

شكرًا لِحُبِّكَ.. فهو مَرُوحَةٌ.. وغمامة وريّة..
وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء.
ويقول أيضًا⁽⁷³⁾:

سأظل احترف المحبة مثل كل الأنبياء
وأظل احترف الطفولة والبراءة والنقاء
وأظل اكتب عن شؤون حبيبتي..
حتى أذوّب شعرها الذهبي في ذهب المساء
وهو يعتمد في هذا النص أن يدخل الأنبياء ويدعى أنه يتأسى بهم في الحب، وكلنا نعرف ما الحب الذي يعنيه نزار، فهو هنا يمارس الكذب وينسب للأنبياء ما لم يفعلوه حتى يقلل من قدرهم.

71 قصيدة «هل تسمعين سهيل أحزاني» (ص 188).

72 «مؤمن المحمدي (الأعمال الكاملة للشاعر نزار قباني)، ص 291.

73 مؤمن المحمدي (الأعمال الكاملة للشاعر نزار قباني)، ص 33

5 / التشكيك في يوم القيامة:

اتخذ بعض الشعراء الحداثيين موقفاً مناهضاً للإيمان بيوم القيامة وتعدد الزوجات ومن هؤلاء نزار قباني حين يقول⁽⁷⁴⁾:

يتعرى الشرقُ من كل من كلِّ كرامة ونضال
فالملايين التي تركض من غير نعالٍ
والتي تؤمن في أربع زوجاتٍ
وفي يوم القيامة
الملايينُ التي تلتقي بالخبز إلا في الخيال
والتي تسكن في الليل بيوتاً من سعال
أبدأ ما عرفت شكل الدواء

6 / التشكيك في وجود الله تعالى :

لا شك أنّ النفوس مفضولة على اعتقاد وجود الله عز وجل وربوبيته، ومن شأن ذلك أن يسوق إلى بقية فروع الإيمان، وآيات الآفاق والأنفس تؤكد ذلك، ولكن الشبهات والأهواء تغلب على بعض الناس حتى يرتابوا فيتبعوا أهوائهم كما حدث ذلك لكثير من الحداثيين ومنهم الشاعرة الفلسطينية (فدوى طوقان) التي تقول في قصيدتها (مرثاة إلى نمر)⁽⁷⁵⁾:

وأنت يا من قيل عنه إنه هُناك
حانٍ لطيفٍ بالعباد
حانٍ لطيفٍ بالعباد؟ أين أنت؟
لأأراك

دعني أراك.. كي أقول إنه هُناك

وإيليا أبو ماضي في قصيدته (الطلاسم) والتي تحمل تساؤلات كثيرة، وإن كانت يسيرة يجيب عليها كل مؤمن ذي فطرة سليمة، لم يخالطها زيف ولا باطل، وهي قصيدة مشهورة إلى حد أن وضعت في مناهج النصوص في كثير من الدول العربية

74 المصدر نفسه، ص16.

75 فدوى طوقان (الأعمال الشعرية الكاملة)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، دار الفارس للتوزيع والنشر، عمان، ط1، 1993م، ص321.

مع ما فيها من انحراف وإلحاد فهو يقول في قصيدته تلك⁽⁷⁶⁾:

جِئْتُ لَا أَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ وَلَكِنِّي أَتَيْتُ
ولقد أبصرت قُدَّامِي طريقاً فمَشَيْتُ
وسأبقى سائراً إِنْ شِئْتَ هذا أم أبيتُ
كيف جِئْتُ كَيْفَ أَبصرتُ طريقي؟!
لستُ أدري

وقد نظم سعود حامد الصاعدي رداً عليها يقول⁽⁷⁷⁾:

أَنْتَ حَيٌّ قَدْ بَرَّكَ اللهُ فِي هَذَا الوجودِ
أَنْتَ حُرٌّ غَيْرَ أَنْ اللهُ أعطاك الحدودِ
فتبصر في طريقِ دربه فيه السعودِ
لو سمعت الحق يوماً فتنبتعت كلامه

7 / الثورة على القديم :

كان لعلي أحمد سعيد (أدونيس)⁽⁷⁸⁾ دور مرسوم في حركة الحداثة وتمكينها على أساس ما دعاه من الثبات والتحول فقال: "لا يمكن أن تنهض الحياة العربية ويبدع الإنسان العربي إذا لم تتهدم البنية التقليدية السائدة في الفكر العربي والتخلص من المبنى الديني التقليدي الإبتاعي"⁽⁷⁹⁾ يقول في كتابه فن الشعر⁽⁸⁰⁾: "إن فن القصيدة أو المسرحية أو القصة التي يحتاج إليها الجمهور العربي ليست تلك التي تسليه أو تقدم له مادة استهلاكية، وليست تلك التي تسايهه في حياته الجادة، وإنما هي التي تعارض هذه الحياة! أي تصدمه، وتخرجه من سباته، تفرغه من موروثه وتقذفه خارج نفسه، إنها التي تجابه السياسة ومؤسساتها، الدين ومؤسساته، العائلة ومؤسساتها، التراث ومؤسساته، وبنية المجتمع القائم. كلها بجميع مظاهرها ومؤسساتها، وذلك من أجل تهديمها كلها! أي من أجل خلق الإنسان العربي الجديد، يلزمننا تحطيم الموروث الثابت، فهنا يكمن العدو الأول للثورة والإنسان".

76 إيليا أبو ماضي (ديوانه)، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، ص191.

77 سعود حامد الصاعدي (قاصمة الطلاس)، مجلة البيان، العدد 71، ص106.

78 هو قطب الحداثيين العرب وشيخهم علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس.

79 الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، ط4، 1420هـ، ج2 ص871.

80 نفس المصدر والصفحة.

فقد وجه أودنيس ثورته إلى المقدس محاولاً تحطيم كل ما ينتمي إلى القديم بحجة التجديد، وكان يرى حتمية الهدم من أجل إعادة البناء، كانت دعوته الأولى: حرق التراث قبل محاولة البدء بإنشاء مشروعه المعاصر يقول في قصيدة «لغة الخطيئة»⁽⁸¹⁾

أحرق ميراثي أقول: أرضي

بكر ولا قبور في ثيابي

أعبر فوق الله والشيطان

دربي أنا من دروب الإله والشيطان

أدونيس في ثورته على المقدس يصرح بأنه يعبر فوق الله وقد ذمَّ الله المُشركين حَيْثُ يَجْعَلُونَ أَنفُسَهُمْ فَوْقَهُ عِزًّا.

ويقول أودنيس في ثورته على المقدس إنَّ دربه من دروب الإله والشيطان ويقول تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾⁽⁸²⁾، فطريق الله هو الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ وصرط الله هو الصراط الْمُبِينُ وَمَنْ زَلَّ عَنْهَا وَحَادَ وَقَعَ فِي طَرِيقِ الشَّيْطَانِ وَلَا يَمُكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ.

يقول منصور التريكي "إن أدونيس يؤكد في هذين المقطعين على فكرة الانعتاق من كل تشكيل أيديولوجي سابق إلهياً كان أم شيطانياً. إنه يخلق لنفسه أيديولوجيا خاصة تؤكد فكرة الخصوصية والتفرد التي دندن حولها كثيراً. إنه رفض للدين والأيديولوجيا برمتها"⁽⁸³⁾

وأخيراً هذه بعض نماذج الانحراف العقدي في الشعر العربي وليس كلها ولكنها تكفي للوقوف على مظاهره وأشكاله في العصرين العباسي والحديث ومدى خطورة التسامح مع سالقيه.

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ نَبِيِّنَا

81 أودنيس : علي أحمد سعيد(الأعمال الكاملة)، دار العودة، الطبعة الأولى، 1971م، بيروت، ج1، ص413

82 سورة الأنعام: 153

83 إبراهيم بن منصور التركي (دراسات أدبية أدونيس... علامات التراجع!)، مجلة البيان، العدد 90، 1416هـ، الصفحة 56.

مُحَمَّدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.. وَبَعْدَ، فَقَدْ وَقَفْتُ فِي هَذَا الْبَحْثِ عَلَى مَظَاهِرِ الْانْحِرَافِ فِي الشَّعْرِ الْعَرَبِيِّ حَدِيثَهُ وَقَدِيمَهُ وَقَدْ انْتَهَيْتُ - بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ - مِنْ إِتْمَامِهِ وَإِكْمَالِهِ، وَيُمْكِنُ أَنْ أَجْمَلَ أَهْمَ النَّتَائِجِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا فِي الْأُمُورِ التَّالِيَةِ:

- 1 - ظهر من خلال البحث أهمية الكشف عن مظاهر الانحراف العقدي في الشعر العربي، والتحذير منها، والحفاظ على العقيدة الصحيحة، لكونها أساس الدين وقاعدته التي يقوم عليها
- 2 - تبين من خلال البحث أن انحراف الشعر العربي عن العقيدة الإسلامية في العصر العباسي كان قوياً وظاهراً للعيان يمكن تلمسه دون جهد أو عناء ومن الممكن إحصاء كل الانحرافات العقدية في الشعر العربي العباسي والتصدي لها، وذلك بتمكين مجموعة من الباحثين ودفعهم للنهوض بهذا العمل.
- 3 - لاحظ الباحث أن الانحراف العقدي في الشعر الحديث له تيارات ترعاه وجماعات شعرية تتبناه ونقاد يبررون ما يقولوا من شعرائه وأبرز تلك التيارات ما يسمى بالحدائث.
- 4 - تبين من خلال البحث أن انحراف الشعر العربي عن العقيدة الإسلامية في العصرين : العباسي والحديث قد اتخذ أشكالاً وطرقاً متعددة بُغِيَةَ النِيلِ مِنَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَإِنَّ أْبْرَزَ تِلْكَ الْأَشْكَالِ هِيَ: التَّمَرْدُ عَلَى الْحَقِّ وَرَفْضُ الْإِنْقِيَادِ لَهُ، وَوَصْفُ اللَّهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَالتَّعَدِّيُّ عَلَى مَقَامِ الرَّبُوبِيَّةِ، وَالتَّطَاوُلُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَالتَّشْكِيكُ فِي حَيَاةِ مَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالتَّشْكِيكُ فِي وَجُودِ اللَّهِ، وَالثُّورَةُ عَلَى الْقَدِيمِ، وَالتَّزَامُ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ، وَالاسْتِهْتَارُ بِالْقِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالغُلُوُّ فِي الْمَدْحِ، وَالتَّوْجُّهُ بِالِدَعَاءِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

جدال القرآن الكريم لغير المسلمين (الأساليب والخصائص)

د.صلاح إبراهيم عيسى أحمد¹

أهمية البحث :

يتعرض الإسلام لهجمة شرسة من الملحدّين والمشرّكين؛ قديماً وحديثاً؛ للطعن في ثوابته العقديّة؛ وأحكامه الفقهيّة؛ والأخلاقيّة؛ ومنهجه لأسلوب الحياة؛ ونظرته للكون والخلق؛ والحكمة من وجود الإنسان؛ وعاقبة أمره؛ ونهاية الحياة الدنياء؛ والانتقال للحياة الآخرة في الجنة أو في النار. ولذلك كان لابد من مجابهة تلك الهجمة بأسلوب القرآن الكريم في جدال هؤلاء؛ وسوق الأدلة والبراهين التي لا يقوون على التصدي لها؛ أو مجابتهها. وهذا ما تناوله هذا البحث.

أهداف البحث :

- 1- معرفة أساليب غير المسلمين في محاولتهم التعرض لأصول وقواعد الدين.
- 2- معرفة أساليب القرآن الكريم في مواجهة حججهم وأدلتهم؛ ودحضها.
- 3- بيان انهيارهم فكرهم الضالّ أما براهين القرآن الكريم.
- 4- بيان أن القرآن الكريم لا يعول على مجرد الانتصار وهزيمة المجادل؛ بقدر ما يحرص على هدايته.

مشكلة البحث:

تتلخّص في جدال القرآن الكريم للملحدّين والمشرّكين والمشكّكين؛ لكي يثبت لهم صحة قضايا العقيدة والكون والحياة؛ من خلال آيات محكمة يستحيل تطرق الشك إليها؛ أو مجابتهها؛ أو دحضها. متحدياً لهم أن يأتيوا بمثل القرآن؛ أو بما جاء فيه من أدلة وبراهين. وقد سلك في ذلك مسالك لا يقوى نظار الفلسفة والكلام على مثلها. مع اختصارها ووضوحها.

1 أستاذ مشارك، كلية القرآن الكريم، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة

منهج البحث :

اعتمدت في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي؛ حيث قمت بعرض القضايا محل الجدل؛ ومن ثم أسرد الآيات من القرآن التي تناولت تلك القضايا؛ وأقوم بتحليلها وفق قواعد منطقية.

وقمت بعزو الآيات والأحاديث إلى مواقعها.

الدراسات السابقة:

ما برح كثير من الباحثين والمؤلفين يتناولون قضية الجدل القرآني مع غير المسلمين في بحوثهم وكتابتاتهم؛ مع التطويل أحياناً؛ ومع الاختصار في بعضها؛ إلا أنني سلكت في هذه الورقة مسلكاً وسطاً بين التطويل والاختصار؛ فمن الدراسات السابقة في هذا الموضوع:

كتاب قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، لنديم الجسر؛ وهو عبارة عن حوار مطول بين شاب متشكك في وجود الله وبين عالم شرعي، فهو شبيه بالعمل الروائي في انسياب مشاهدته وأفكاره. يعد هذا الكتاب من أقوى الكتب التي عرضت الأدلة العقلية والفلسفية على وجود الله، وكشفت عن مواطن الخلل المنهجي في الفكرة الإلحادية.

وكتاب الفيزياء ووجود الله، لجعفر شيخ إدريس؛ طبعته: مجلة البيان. وهو يتميز بالتركيز على أكثر أسئلة الإلحاد العلمية إلحاحاً على الشباب المسلم. وقد خص المؤلف قضية الفيزياء ووجود الله بفصل خاص، وتناول الموضوع من عدة جهات.

عقائد المفكرين في القرن العشرين، لعباس العقاد وكتاب الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان. طبعته: مؤسسة الرسالة، تقوم فكرة الكتاب على إثبات أحقية الدين أمام الفكر المادي الجديد عن طريق الاعتماد على نفس الأدلة التي يسلكها الفكر الإلحادي في نقد الدين وهي الاستدلال بالنظريات العلمية الحديثة.

وكتاب وجود الله، ليووسف القرضاوي؛ طبعته: مكتبة المعارف، الكتاب مختصر جداً، وناقش عدداً من أسئلة الإلحاد. وهو سهل العبارة أيضاً.

وكتاب براهين وأدلة إيمانية، لعبد الرحمن حسن حبنكة؛ طبعته: دار القلم -

دمشق؛ وهو يتحدث عن طريقة القرآن في تأسيس الإيمان بوجود الله.

وكتاب رحلتي من الشك إلى اليقين، لمصطفى محمود؛ طبعته: دار المعارف. محمود العقاد. طبعته: مكتبة الأنجلو المصرية. نقد المؤلف تفسيرات الملاحدة لنشأة الدين وبين وجه الغلط فيها.

هيكل البحث:

المبحث الأول: أساليب الجدل القرآني مع غير المسلمين

المبحث الثاني : خصائص الجدل في القرآن الكريم مع غير المسلمين

خاتمة : وتشمل النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: أساليب الجدل القرآني مع غير المسلمين

المطلب الأول: قياس الخلف:

وهو إثبات الأمر بإبطال نقيضه؛ لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ وهذا ثابت عقلا؛ مثل المقابلة بين الوجود والعدم؛ والحياة والموت؛ والباطل والحق؛ قال تعالى. أبطل الله تعالى النقيض الباطل ليثبت النقيض الحق؛ فذلك كلاستدلال على التوحيد بإبطال الشرك؛ فالحس يثبت أن الكون في غاية الإتقان؛ وكمال الصنعة؛ وإحكام النظام؛ دل ذلك على أن خالقه واحد لا شريك له؛ وهذا ما يعرف بدليل التمانع في الخلق والإيجاد؛ وهو يعني أنه إذا امتنع بالحس اختلال نظام الكون؛ وثبت بالحس دقة صنعه؛ امتنع أن يكون له أكثر من خالق؛ لأن تعدد الخالقين يقتضي المغالبة والمنازعة؛ فيظهر اختلال النظام؛ وفساد الإتقان؛ وذلك ملاحظ بين الحكام في عالمنا².

يقول الباري جل وعلا: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذَى لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ [سورة المؤمنون؛ الآية 91]. وهذا مثال يبين أن القرآن الكريم لو كان من عند غير الله لحدث فيه اختلاف كثير؛ فإذا ثبت أنه لا اختلاف فيه؛ ثبت أنه من عند الله تعالى؛

2 الفيزياء ووجود الله، مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين؛ لجعفر شيخ إدريس؛ طبعته: مجلة البيان؛ ط1/2001م؛ ص16.

وليس من عند غيره ؛ ولا في مقدور أحد من الخلق أن يأتي بمثله. وإنما لا نرضى الاختلاف والاختلال في كلامنا ؛ فكيف نرضه لكلامه جل وعلا.

المطلب الثاني: قياس التمثيل:

وهو أن يقيس المستدل الأمر الذي يدعيه على أمر معلوم عند من يخاطبه؛ أو على أمر بدهي لا تنكره العقول ؛ وبين الجهة الجامعة بينهما؛ أو بين الأمر المدعى وبين الأمر المعلوم.³

قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أُنْتَمَ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [سورة يس؛ الآيات 78-81]. يتبين من الآيات المقابلة بين ما لا يمكن إنكاره من المشاهدات والمعلومات كالنشأة الأولى؛ وخروج النار من الشجر الأخضر ؛ وخلق السنوات والأرض ؛ وبين إنكار البعث. وأن الخالق لكل ذلك واحد ؛ فالقادر على خلق المقدم ؛ قادر على خلق التالي؛ وهو النشأة الثانية؛ وهي أهون عليه؛ ولذلك لا يحكم على كل ما لا يقع في دائرة الحواس بأنه غير موجود؛ وأن عدم العلم بالشيء ليس علما بالعدم؛ ولذلك يخاطب الله تعالى منكري البعث يوم القيامة بقوله جل شأنه: ﴿ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الطور الآيات 14-15].

وقياس التمثيل يشمل جل أدلة القرآن الكريم على البعث والحياة بعد الموت؛ ويضاف إليه أيضاً قياس الغائب على الشاهد بالمقابلة بينهما⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: المناقضة:

قال تعالى ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدُ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ

3 الإتيان في علوم القرآن ؛ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي؛ ضبطه وصححه وخرج آياته محمد سالم هاشم؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت - لبنان؛ ران؛ 2/357. وانظر أيضاً كتاب معترك الأقران في إعجاز القرآن؛ (إعجاز القرآن ومعترك الأقران)؛ عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت- لبنان؛ ط1/1988م؛ 1/461-460.

4 الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان؛ لوحي الدين خان؛ تعريب: دكتور ظفر الإسلام خان؛ مراجعة: دكتور عبد الصبور شاهين؛ طبعته: مؤسسة الرسالة؛ ص39.

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿سورة آل عمران؛ الآية 183﴾. في الآية الكريمة مثال لأسلوب المناقضة؛ فالعلة التي توجب الأيمان بالرسول قد وجدت؛ إذن فعلام يعمدون إلى قتلهم!! فدل ذلك على أن ما ذكره غير صحيح؛ فهو نقض وارد على معنى كلامهم؛ وبذا يتحقق ما يهدم كلام الخصم على أي وجه كان.⁽²⁾⁵

المطلب الرابع: القول الموجب:

وهو رد كلام الخصم من فحوى كلامه. بأن تقع صفة في كلام الخصم كناية عن شيء يريده؛ فتكون حجة عليه؛ وعلى خلاف ما يريده؛ فالأعز وقعت في كلام المنافقين يريدون فريقهم؛ والأذل عن فريق المؤمنين؛ فأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة؛ فرد الله تعالى ذلك عليهم؛ وأثبت صفة العزة لغير المنافقين؛ وأنها لله ولرسوله وللمؤمنين؛ فيقرر لهم بأنه صحيح ما ذكرتم؛ ليخرجن الأعز منها الأذل؛ ولكن أنتم الأذل الذين ستخرجون؛ والله ورسوله والمؤمنون هم من سيخرجونكم⁽⁶⁾. يقول الباري جل وعلا: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَبِّعِنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا مِنَ الْأَعْرُ مِّنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون؛ الآية 8].

المطلب الخامس: مجازاة الخصم:

وذلك بأن يسلم للخصم بعض مقدماته؛ مع الإشارة إلى أنها لا تنتج ما يريده ويقصده؛ بل تؤدي إلى ما يريده المستدل عليه⁽⁷⁾. قال تعالى ﴿قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَنِّي اللَّهُ شَأْنٌ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَنِ مَّيْمِينِ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رَسُولُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلَكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَنِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [سورة إبراهيم؛ الآيات 10-11]. فالرسول اعترفوا لهم ببشريتهم؛ فكانهم سلموا لهم بانتفاء الرسالة عن أنفسهم؛ وهو ليس مرادهم؛ إنما

5 استخراج الجدل من القرآن الكريم؛ عبد الرحمن بن نجم بن عبد الوهاب الجزري السعدي العبادي؛ أبو الفرج؛ ناصح الدين ابن الحنبلي؛ تحقيق: الدكتور زاهر بن عواض الألعلي؛ مطابع الفرزدق التجارية؛ ط2/1401هـ؛ ص15.

6 معترك الأقران؛ 1/461-462.

7 معترك الأقران؛ 1/463؛ الإتيان؛ 1/361؛ مناهج الجدل في القرآن الكريم؛ الدكتور زاهر عواض الألعلي؛ ط/1404هـ؛ مكتبة نور؛ ص77.

أرادوا أن يجاروا الخصم لبيان ما واقع فيه من خطأ بالتسليم لدليلة؛ مع امتناع الدلالة؛ فالبشرية لا تنافي الرسالة؛ وقد اقتضت سنة الله تعالى أن يكون الرسل من جنس من أرسل إليهم⁽⁸⁾. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۗ ﴾ [سورة الإسراء؛ الآيات 94-95].

المطلب السادس: إظهار تشهي الخصم وتحكمه:

ألا يكون للخصم حجة غير مجرد التشهي والتحكم؛ فإن جاءه ما يوافق هواه قبله؛ وإلا أعرض عنه؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۗ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ۖ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ ۖ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۗ ﴾ [سورة البقرة؛ الآية 87]. وكذلك قد يأخذ الخصم من كتاب الله بما يوافق هواه ويتفق مع مشتهاه؛ ويترك ما عداه؛ وقد غفل حينما أخذ ببعض الكتاب أنه قد أوقع على نفسه الحجة؛ ولزمه الإيمان به جميعاً أو تركه جميعاً إن لا يجوز التفريق بين بعض أجزائه؛ قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَّ لَوْلَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَفْذَرُوهُمْ وَهُوَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِخْرَاجُهُمْ أَفْثَمُ مُنُونٍ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۖ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۗ ﴾ [سورة البقرة؛ الآية 85]. قال ابن قيم الجوزية: (فهذا هو الذي تسميه النظائر والفقهاء التشهي والتحكم؛ فيقول أحدهم لصاحبه لا حجة لك على ما ادعيت سوى التشهي والتحكم الباطل؛ فإن جاءك ما لا تشتهيه دفعته ورددته وإن كان القول موافقاً لما تهواه وتشتهيه؛ إما من تقليد من تعظمه أو موافقة ما تريده قبلته وأجزته؛ فترد ما خالف هواك وتقبل ما وافق هواك)⁽⁹⁾.

8 عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، لعبد الله نعمة؛ طبعته: مؤسسة عز الدين؛ 2/ 1983؛ ص 300.

9 بدائع الفوائد؛ ابن قيم الجوزية؛ محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي؛ أبو عبد الله شمس الدين؛ تحقيق: علي بن محمد العمران؛ طبعة مجمع الفقه الإسلامي - جدة؛ دار عالم الفوائد؛ 144/4.

المطلب السابع: التحدي:

وهو إظهار عجز الخصم؛ وبيان أن ما يدعيه مجرد مكابرة؛ وهو لا يملك عليه برهاناً ولا حجة؛ فتحدهاهم الله تعالى أن يأتوا بمثله؛ وهم أهل اللغة والفصاحة والبيان؛ أو أن يأتوا بعشر سور؛ وذلك حينما زعموا أن القرآن من قول البشر؛ قال تعالى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾. [سورة المدثر؛ الآية 25]. فيقول الباري جل وعلا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوبُ مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة هود؛ الآية 13]. ويقول أيضاً: ﴿قُلْ لِيْنَ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [سورة الإسراء؛ الآية 88].

ثم أنهم خافوا من تحدي الدخول في المباهلة في شأن عيسى عليه السلام؛ لكيلا يفتضح أمرهم؛ وتبطل حجبتهم؛ وتذل أقدامهم أمام الحق؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران؛ الآية 61]. إذن يتبين دعواهم بأن القرآن من عند بشر وليس من عند الله باطلة؛ وقول مردود. لا حجة ولا برهان عليه.

المطلب الثامن: التسليم:

قال تعالى: ﴿مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون؛ الآية 91]. الآية الكريمة تقرر أن ليس لله ولد؛ وليس معه إله؛ فلو كان معه إله آخر لانفرد كل إله بخلقه؛ ولعلا بعضهم على بعض؛ فلا نفذ في العالم حكم؛ ولا جاز أمر؛ ولا انتظم نظام؛ ولفسد العالم؛ وعالم الحس والمشاهدة يبطل ذلك؛ إذن فهو محال؛ وبالتالي يستحيل وجود إلهين أو أكثر؛ فإذا ثبت استحالة النتيجة؛ فالمقدمة أيضاً مستحيلة. وهذا ما يعرف بدليل التسليم؛ وهو أن يفرض المحال إما منفيّاً أو مشروطاً بحرف الامتناع ليكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه؛ ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً؛ ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه⁽¹⁰⁾. وهذا النوع قريب من قياس الخلف؛ إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلي الوارد في الخيال لا في الواقع.

10 الإتقان 2/360. ومعتك الأقران 1/462-463.

المطلب التاسع: الانتقال:

وهو أن ينتقل المستدل إلى دليل آخر لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الدليل الأول؛ أو أنه فهمها لكنه قصد المعاندة والمغالطة؛ فيأتيه المستدل بدليل آخر لا يملك الخصم أمامه إلا الإذعان والرضوخ⁽¹¹⁾؛ وهو مثل مناظرة إبراهيم عليه السلام مع ذلك الذي حاجه في الله تعالى؛ يقول الباري عز وجل: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة البقرة؛ الآية 258]. قال ابن الحنبلي: (فلا يخلو حال نمرود؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا فَهَمَ حَقِيقَةَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ؛ أَوْ فَهَمَ، إِلَّا أَنَّهُ قَصَدَ الْمَصَادِمَةَ وَالْمِبَاهِتَةَ؛ وَكِلَاهُمَا يُوجِبُ الْعُدُولَ إِلَى دَلِيلٍ يَفْضَحُ مَعَارَضَتَهُ؛ وَيَقْطَعُ حِجَابَهُ؛ وَمَتَى كَانَ الْخَصْمُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ جَازَ لَخَصْمِهِ الْإِنْتِقَالَ إِلَى دَلِيلٍ آخَرَ أَقْرَبَ إِلَى الْفَهْمِ وَأَفْلَحَ لِلْحُجَّةِ)⁽¹²⁾.

المبحث الثاني: خصائص الجدل في القرآن الكريم مع غير المسلمين

المطلب الأول: الإعجاز في الجدل القرآني:

القرآن الكريم معجزة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام الخالدة إلى يوم القيامة؛ وبعد يوم القيامة. (عن أبي داود الحفري بفتح الحاء المهملة والفاء نسبة إلى حفر موضع بالكوفة ثقة عابد وأبي نعيم اسمه الفضل بن دكين عن زر هو ابن حبيش قوله: يقال أي ثم دخول الجنة لصاحب القرآن أي من يلازمه بالتلاوة والعمل وارق أمر من رقي يرقى أي أصعد إلى درجات الجنة يقال رقي الجبل وفيه وإليه رقيا ورقيا أي صعد وفي رواية أبي داود اقرأ وارتق ورتل أي اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة كما كنت ترتل في الدنيا من تجويد الحروف ومعرفة الوقوف فإن منزلتك ثم آخر آية تقرأها قال المنذري في الترغيب قال الخطابي جاء في الأثر أن عدد أي القرآن على قدر درج الجنة في الآخرة فيقال للقاري ارق في الدرج على قدر ما كنت تقرأ من أي القرآن فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى درج الجنة في الآخرة ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه في الدرج على قدر ذلك فيكون منتهى الثواب ثم منتهى

11 وجود الله، ليوسف القرضاوي؛ طبعته: مكتبة المعارف؛ ص8.

12 استخراج الجدل؛ 67-68.

القراءة. قوله هذا حديث حسن صحيح وأخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه⁽¹³⁾. فالقرآن معجز بلاغة ونظما وعلما؛ وهو يعلو فوق كلام أئمة الفلسفة؛ وعباقره البيان. وهو أيضا معجز في جداله للملحدين وأهل الأهواء والملل والنحل؛ وقد سلك في ذلك كل أركان الجدل؛ وأتى بأرقى البراهين والأدلة التي لا يتطرق إليها شك. قال أبو بكر الباقلاني: (إنَّ المعاني التي تضمنها القرآن في أصل وضع الشريعة والأحكام؛ والاحتجاجات في أصل الدين؛ والرد على الملحدين؛ على تلك الألفاظ البديعة؛ وموافقة بعضها بعضا في اللطف والبراعة مما يتعذر على البشر ويمتنع)⁽¹⁴⁾. والفرق بين القرآن وكلام البشر؛ كالفرق بين الخالق والمخلوق⁽¹⁵⁾. وما يتضمنه الجدل القرآني من الحجج والبراهين يستحيل مغالبتها؛ لأنها من كلام الله المعجز؛ الذي تفيض له أعين غير المستكبرين من النصارى؛ يقول البارى جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ [سورة المائدة؛ الآية 83]. وإذا سمعه المستكبرون والجاحدون؛ قال الله في شأنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة فصلت؛ الآية 26]. وإذا سمعه الجن؛ قال الله على لسانهم: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن؛ الآية 1].

المطلب الثاني: القرآن الكريم منهج هداية:

الجدل في القرآن الكريم لا يعتمد إلى الانتصار على الخصم وإفحامه؛ بل يتجه إلى إرشاده ونصحه؛ وهدايته إلى الحق؛ والأخذ بيده إلى الصواب من خلال دعوته إلى النظر لما حوله من مظاهر صنع الله في الكون⁽¹⁶⁾؛ فهو كتاب هداية لما حوى من جدال المعاندين والملحدين؛ وهو منهج حماية للمؤمنين لدفع شبهات الملحدين والمشركين والكافرين والمنافقين؛ لدفع شبهاتهم وضلالاتهم التي ينسجونها ضد الإسلام والمسلمين؛ ومقارعتهم الحجة بالحجة؛ والبرهان بالبرهان؛ للهداية وإخراج الناس من ظلمات الضلال والجهل إلى نور الإيمان والعلم؛ وهو يختلف

13 تحفة الأوزي؛ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري؛ أبو العلا؛ دار الكتب العلمية - بيروت؛ بدون؛ 187/8.

14 إعجاز القرآن للباقلاني؛ أبو بكر الباقلاني؛ محمد بن الطيب؛ تحقيق: السيد أحمد صقر؛ دار المعارف - مصر؛ ط5/ 1997م؛ ص42.

15 المعجزة الكبرى؛ م. عدنان الرفاعي؛ دار الخير؛ سوريا - دمشق؛ ط1/ 2006. ص343.

16 المعجزة الكبرى؛ محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد؛ أبو زهرة؛ دار الفكر العربي؛ 1394هـ؛ ص381.

عن مناهج البشر من الفلاسفة والمناطقة؛ التي تتسم بطابع التشفي وإشباع غريزة الانتصار على الخصم؛ وهو يقر أحياناً بما لدى الخصم من حجج أو حقائق؛ في أدب رفيع؛ يجاريه فيها؛ إلى أن يوصله إلى الإيمان والصواب.

أقر الله تعالى في القرآن بما قالته ملكة سبأ؛ باعتبار أن ما قالته حق وصواب؛ قال تعالى: ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ (٣٣) قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَءَ أَهْلِهَا أَذْلةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة النمل؛ الآيات 33-34]. فقد أقر القرآن الكريم بقول الخصم؛ وهو أن من عادة الملوك إذا دخلوا مصرًا من الأمصار غازين وفاتحين فإنهم يفعلون في ذلك المصر ما قالت؛ وهي إنما تقرر حقيقة وفق ناموس البشر؛ فأقرها القرآن على ما قررت؛ وذلك قبل أن تعلم أن غزو المؤمنين إنما يجعل أذلة أهل مصر أعزة؛ ويفك أسرهم؛ ويدعوهم إلى التوجه للخالق وليس للمخلوق (17).

وقد نجد القرآن الكريم أحياناً يخاطب الخصم باعتباره نداً للخصيم في بدئ جداله له؛ يقول تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة سبأ؛ الآية 24]. يسأل الخصم في أدب مقرونا بالتحدي: من الذي يتفضل عليكم بالرزق؟. وعند الإجابة ينبغي أن تعلموا أن أحدنا هو المصيب؛ وبالتالي هو الذي يكون على هدى؛ وأن الآخر هو المخطئ؛ وبالتالي هو الذي على ضلال. وهذا الأسلوب كثيراً ما يستنكف عنه البشر؛ ويحسون أنه يشعرهم بالضعف والهزيمة إذا مارسوا هذا الأسلوب أثناء جدالهم. ولذا فإنَّ الجدل في القرآن يتسم باللين؛ وبالتالي هي أحسن؛ يقول الله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِلَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [سورة النحل؛ الآية 125]. إلا أنَّ الجدل في القرآن أحياناً قد يتصف بشيء من الغلظة؛ خاصة مع المكابرين والمعاندين من أهل الكتاب؛ كاليهود. قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَأَمْنَا بِالَّذِي نُنزِلُ إِلَيْنَا وَأَنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت؛ الآية 46]. استثنى الله تعالى الذين ظلموا من الكتاب من الجدل والتي هي أحسن؛ إذ لا يفيد معهم إلا الغلظة في الجدل؛ ولكن ليس بهدف قهرهم؛ وإظهار

17 الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، لمحمد علي يوسف؛ طبعته؛ منشورات دار مكتبة الحياة؛ 1966م؛ ص42.

الانتصار عليهم؛ وإنما بهدف هدايتهم؛ وانتشالهم من براثن الشرك إلى نور الإيمان. فالقرآن الكريم منهج هداية؛ وكتاب خير وصلاح للكافر والضال والمنافق والجاهل.

المطلب الثالث: حجية القرآن الكريم تفيد اليقين المطلق:

قال أبو عبد الله الرازي؛ وهو أحد أقطاب الفلسفة والكلام: (لقد تأملت الطرق الكلامية؛ والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا؛ ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن؛ اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه؛ الآية 5]. واقرأ في النفي: ﴿فَاطْرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنْ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى؛ الآية 11]. ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي⁽¹⁸⁾. وهو يعني بذلك أن حجية القرآن الكريم قطعية في النفي وفي الإثبات. وما دام القرآن الكريم ثابت قطعاً أنه كلام الباري جل وعلا؛ وثابت وروده إلينا بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإن كل ما جاء فيه من أدلة وبراهين فهي تفيد اليقين المطلق؛ وكل ما ورد فيه من حجج لدحض دعاوى الخصوم فهي أيضا تفيد اليقين المطلق الذي لا يتطرق إليه شك. فأدلة القرآن قطعية الدلالة لأن مرادها تثبيت القواعد العقدية؛ ولما كان الأمر كذلك أدلة القرآن الكريم وبراهينه في جدال الخصوم واضحة المعاني؛ سلسلة الأسلوب؛ بينة المقاصد؛ قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء؛ الآية 82]. كما أن حجج القرآن لا يستطيع أحد دحضها أو إنكارها إلا إذا كان معاندا ضالا؛ قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِنْتُ عَزِيْزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت؛ الآيات 41-42].

المطلب الرابع: حجية القرآن الكريم تحتكم إلى العقل والوجدان معا:

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء؛ الآية 22]. نلاحظ دقة التصوير البياني؛ وعمق المقدمات؛ وأنها بدرجة من اليقين يعجز عن مثله أهل الفلسفة والمنطق؛ وقد يستخدمون جمل

18 درء تعارض العقل والنقل؛ ابن تيمية؛ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي؛ أبو العباس؛ بقي الدين ابن تيمية؛ تحقيق: محمد رشاد سالم؛ ط2/1991م؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية؛ الرياض؛ 1/160.

طويلة؛ ونظريات معقدة جداً؛ ثم لا يصلون إلى ما وصل القرآن من وضوح الحجة؛ ودقة اللفظ؛ ووضوح الدلالة. قال ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي: (ولكن فيه تطويل كثير متعب فهو مع أنه لا ينفع في العلم؛ فيه إتعاب الأذهان؛ وتضييع الزمان؛ وكثرة الهديان)⁽¹⁹⁾.

وكذلك نلاحظ كيف ترد البراهين والحجج من خلال قصة يوسف عليه السلام؛ وكيف أورد القرآن العظات منها؛ حيث قوبلت أسباب الغواية من حبس؛ وغلق الأبواب؛ وأنها امرأة العزيز وهو خادم عندها؛ قوبلت بالعفاف؛ والاعتصام بالله؛ وحفظ الأمانة؛ واتقاء الظلم؛ كل ذلك في مشهد يصور انتصار جند الرحمن على جند الشيطان؛ وكيف صور القرآن الكريم انتصار العفاف والفضيلة السليمة؛ على نداء الغريزة والشهوة؛ قال تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتِ الْأَبْرَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهِنَّ رَبِّهٖءَ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ السُّوءُ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَتْ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة يوسف؛ الآيات 23-27].

والقرآن الكريم يأتي بالحجج والبراهين التي تخاطب العقل؛ وتتغلغل في الوجدان؛ فتوتر فيهما معا في لحظة واحدة؛ وهو ما يتعدى على النظائر والمفكرين والفلاسفة؛ فإذا ظهرت عندهم واحدة توارت واطمحت الأخرى؛ أما كلام الله تعالى يجمع بينهم في نظم محكم؛ وعقد مترابط؛ لا يتطرق إليه شك؛ ولا يأتيه باطل لا من بين يديه؛ ولا من خلفه؛ فقد أحكمت آياته من لدن حكيم خبير قال تعالى: ﴿الرَّكَدْبُ أَحْكَمَتْ ءَابْنَهُ ثُمَّ فَضِلَّتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [سورة هود؛ الآية 1]. فهو لا يتعارض مع نتائج العقل إذا كانت صحيحة؛ بل إنه يحث على إعمال العقل والتفكير والتدبر.. قال تعالى: ﴿كُتِبَ أَنْزَلَتْهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِيَدَّبُرُوا ءَابْنَتَهُ وَيَسْتَذَكَّرُوا لَوْلَا أَلَّا لَبَّ﴾ [سورة ص؛ الآية 29].

المطلب الخامس: شمول حجة القرآن الكريم :

شمول حجة القرآن الكريم؛ يكمن في صدق تلك الحجة؛ وقوتها؛ وهي وإن كانت

19 الرد على المنطقيين؛ ابن تيمية؛ دار المعرفة؛ دار ترجمان السنة؛ باكستان؛ 1976م؛ ص 248.

قد خاطبت أمم بعينها؛ في عصور غابرة؛ إلا أنّها ما زالت تخاطب كل الناس عبر كل العصور؛ وذلك هو الإعجاز في شمول حجة القرآن؛ وهو ما يؤدي إلى بقائها؛ فكل ما كان حجة ودليلاً وبرهاناً لقوم في زمان؛ فهو كذلك لكل قوم عبر الأزمان إلى قيام الساعة؛ ويستحيل دحضها أو إثبات بطلانها؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)⁽³⁾²⁰. ولذلك لا يتجرأ أحد في أي زمان على أن يحاول التشكيك فيما جاء في القرآن الكريم من حجج وأدلة وبراهين؛ مهما أوتي من علم؛ وقد لاحظ الكثير من الملحدين والمشرّكين ثبوت ما جاء في القرآن الكريم؛ من خلال علمهم واكتشافاتهم في الكون؛ مما دعا بعضهم للإيمان والدخول في الإسلام؛ يقول الباري عز وجل:

﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: 53].

الخاتمة:

نتائج البحث:

- 1-الأدلة والبراهين القرآنية على المسائل الغيبية تكون بقياس التمثيل كقياس الغائب على الحاضر.
- 2-اهتمام القرآن الكريم بالاستدلال العقلي؛ ويتجلى ذلك في جدال الملحدين والمشكّكين الذين يقللون من شأن الدين.
- 3-الحجة القرآنية تخاطب العقل والوجدان معاً.
- 4-الحجة القرآنية قطعية الدلالة؛ لا يتطرق إليها الشك أو الظن.
- 5-الحجة القرآنية تتصف بالشمول والدوام؛ وتصلح لكل زمان ومكان.
- 6-جدال القرآن الكريم لغير المسلمين يهدف بالأساس إلى هدايتهم وليس لمجرد الانتصار عليهم.
- 7-غير المسلمين جبلوا على العناد والمكابرة في الجدل؛ ولو سلكوا مسلك العلم والعقل لأدعنوا لحجج وأدلة القرآن الكريم.

20 صحیح البخاری؛ محمد بن إسماعیل أبو عبد الله البخاری الجعفی؛ ط3/ 1987م؛ دار ابن کثیر - بیروت؛ تحقیق: د. مصطفى ديب البغا؛ کتاب فضائل القرآن؛ باب کیف نزول الوحی؛ 4/ 1905. رقم 4696.

التوصيات:

- 1-أوصي باستنباط جميع أنواع الأدلة والبراهين من القرآن الكريم في جدال غير المسلمين.
- 2-جدال غير المسلمين ينبغي أن يكون بالحكمة والموعظة الحسنة.
- 3-أوصي باتباع الأساليب العلمية والعقلية في جدال الملحدين والمنكرين.
- 4-ينبغي الحرص على هداية غير المسلمين عند مجادلتهم؛ وألا يكون همُّ المجادل هو التشفي والانتصار عليهم.
- 5-الحرص على التدرج في الجدل كما فعل إبراهيم عليه السلام.
- 6-أوصي بالصبر والاحتمال عند مجادلة غير المسلمين؛ وعدم اليأس من إقناعهم؛ ومن ثم دعوتهم للهداية.

توجيهات لفظية ومعنوية في سورة السجدة المكية

أ. د. ابتسام بنت بدر الجابري¹

مُقَدِّمَةٌ :

القرآن الكريم هو كلام الله رب العالمين وصفة من صفاته، وهو المعجزة العظمى، وقد ظهر إعجازه من جوانب كثيرة، ومن أبرزها جانب الإبداع البياني في ألفاظه وتعبيراته، وقد تحدى الله الخلق بالإتيان بحديث مثله (فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (34)) [سورة الطور]، أو بسورة من مثله، ومن جوانب هذا الإعجاز البياني جانب التشابه اللفظي في آياته، ذلك السرّ العظيم من أسرار إعجازه، التي كانت مطعناً لبعض الملحدّين الطاعنين فيه، أو مجالاً لم يُتدبر من بعض الغافلين عنه.

ومن هذا الباب كان اختياري للكتابة في هذا الموضوع، لإظهار هذا الجانب البلاغي العظيم، والدعوة للتأمل في آيات الكتاب الكريم، وقد اخترت سورة السجدة لدراسة هذا الموضوع من خلالها، ولقد وجدت فيها العديد من صور التشابه اللفظي رغم قلة عدد آياتها، وهذه السورة تحوي الكثير من الجوانب البلاغية والأدبية، وكذا الموضوعات المتنوعة من عقديّة وتعبديّة وخلقية، لذا آثرت التطرق لجميع تلك الجوانب التي تبرز من خلال دراسة السياق القرآني للسورة، ومن خلال ذلك يتبين أثر ذلك في توجيه التشابه اللفظي في آياته.

وقد سلكت في ذلك النهج الآتي:

قسمت السورة إلى تسعة فصول كل فصل يشمل مقطع من السورة، ووضعت لكل مقطع عنواناً يبين موضوعه، ثم جعلت تحت كل فصل مباحث على النحو الآتي:

- 1 - المعنى العام للآيات.
- 2 - الإبداع البياني.
- 3 - توجيه التشابه اللفظي في الآيات ودرء موهم التعارض فيها.
- 4 - مباحث موضوعية.

1 أستاذ التفسير وعلوم القرآن الكريم، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد والبصيرة، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد:

اسمها: سورة السجدة ، وهو أشهر أسماء السورة ، وأخصرها ، وبه سميت في المصاحف وكتب التفسير ، وذكرها الترمذي في جامعه فيما ترجمته لهذه السورة .⁽²⁾

وتسمى (ألم تنزيل) تسمية لها بمطلعها .⁽³⁾

وعنون لها البخاري في صحيحه بسورة (تنزيل السجدة)⁽⁴⁾.

ولها أسماء أخرى عديدة أشهرها ما سبق.

فضائل السورة:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة: ألم تنزيل السجدة ، وهل أتى على الإنسان.⁽⁵⁾
- عن جابر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل، وتبارك⁽⁶⁾.

سبب النزول:

- عن معاذ بن جبل - رضي الله عنه- قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر، فتفرق القوم، فنظرت فإذا رسول الله ﷺ أقربهم مني، فدنوت منه، فقلت: يا رسول الله، أنبأني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار. قال: ”لقد سألت عن عظيم، وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي

2 جامع الترمذي كتاب التفسير (366/5).

3 كما سيذكر في الأحاديث الواردة في فضلها.

4 صحيح البخاري كتاب التفسير(319/6).

5 أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة 2/340 حديث 891، وأخرجه

مسلم كتاب الجمعة باب ما يقرأ في يوم الجمعة 2/65

6 أخرجه الإمام أحمد 3/340، وأخرجه الترمذي في فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الملك

152/5 حديث 2892 ، وأورده الألباني في الأحاديث الصحيحة 585.

الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير كلها.“ قال: قلت: أجل، يا رسول الله، قال: ”الصوم جنة، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله تعالى“، قال: ثم قرأ هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) (7)

- عن أنس بن مالك عن هذه الآية (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ) نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.⁽⁸⁾

- نزولها هي مكية، كما أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنه، وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير رضي الله عنه مثله.⁽⁹⁾

- فالسورة مكية بالاتفاق، سوى ثلاث آيات؛ فإنها مدنية (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ ﴿٢٠﴾)⁽¹⁰⁾

وهذا القول مستند على أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (قال الوليد بن عقبة بن أبي معيط لعلي بن أبي طالب أنا أحد منك سنانا وأبسط منك لسانا وأملاً للكتيبة منك؛ فقال له علي: اسكت فإنما أنت فاسق؛ فنزلت أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون) ⁽¹¹⁾ يعني بالفاسق عقبة، وبالمؤمن علي رضي الله عنه.

وهو أثر لا يصح، وعلى فرض صحته فليس فيه ما يدل على وقوعه بعد

7 أخرجه النسائي في الصوم (4/166) وأخرجه الحاكم في المستدرک 2/412 وصححه ووافقه الذهبي ومن طريق أبي وائل أخرجه الترمذي في الإيمان (2616) بتمامه وقال حسن صحيح، والنسائي في التفسير (414) و ابن ماجه في الفتن (3973) والامام احمد (5/231) بتمامه. وكذا قال ايمن شعبان حسن صحيح في كتاب أسباب النزول للواحدي 292، أسباب نزول القرآن الواحدي تحقيق محمد بسيوني زغلول دار الكتب العلمية 1411 ص362.

8 هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه ابن جرير 12/100، وقال ابن كثير في تفسيره سند جيد، الصحيح المسند من أسباب النزول 183 مقبل الوادي- دار ابن حزم 1413.

9 دلائل النبوة 7/142-143، فضائل القرآن لابن الضريس 34، الدر المنثور 6/534، فتح القدير 324/4

10 البيان للداني 207.

11 أخرجه ابن عدي في الكامل قي ضعفاء الرجال 6/2131

الهجرة ، بل قد يكون وقع قبل الهجرة .⁽¹²⁾

- عدد آياتها: تسع وعشرون عند البصريين ، وثلاثون عند الباقرين .
- كلماتها: ثلاثمائة وثلاثون .
- حروفها: ألف وخمسمائة وتسع وتسعون.⁽¹³⁾

مقصودها:

محور سورة السجدة هو العقيدة، وإثبات الألوهية والرسالة واليوم الآخر . وقد اشتملت على مواضيع شتى مثل: تنزيل القرآن، إنذار الكفار، خلق السماء والأرض، خلق الخلائق، تخصيص الإنسان من بينهم، تسليط ملك الموت على قبض الأرواح، تعذيب العاصين، ملء جهنم من أهل الإنكار والضلالة، وذكر حال المتقين في جوف الليالي ، إخبارهم بما ادخر لهم في العقبي من أنواع الكرامة، الدعوة للإخبات وترك الاستكبار، والتفريق بين الفاسقين والصادقين في الجزاء والثواب في يوم المآب ، وتسليية النبي ﷺ بتقرير أحوال الأنبياء الماضيين، وتقرير حجة المنكرين للوحدانية، وأمر الرسول ﷺ بالإعراض عن مكافأة أهل الكفر، وأمره بانتظار النصر⁽¹⁴⁾.

الفصل الأول

قضية الوحي وصدق الرسالة

(الر ١) تَزِيلُ الْكِتَابَ لَأَرْبَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّبَهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مَن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ [سورة السجدة].

المعنى العام:

إنَّ هذا القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع ولا هو مما افتراه محمد عليه الصلاة والسلام من عند نفسه، وقد كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين قالوا عنه أنه أساطير الأولين، وقول الذين قالوا إنَّ هذا إفك، فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون بل هو الحق والصدق من عند الله أنزله إلى نبيه

12 المكي والمدني من السور والآيات 226

13 بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز 373/1

14 بصائر ذوي التمييز 373/1، نظم الدرر 42/6

عليه الصلاة والسلام لينذر قوماً أن يحل بهم العذاب على كفرهم به، قوماً ما أتاهم من نذير من قبل ليتبينوا سبيل الحق فيعرفوه ويؤمنوا به.

وقد جاءت هذه الآيات على أسلوب بديع الإحكام إذ أثبت أن الكتاب تنزيل من رب العالمين، وأنه يحق أن لا يرتاب فيه مرتاب، ثم انتقل إلى الإنكار من الذين جزموا بأن النبي عليه السلام مفتر به على الله، ثم رد عليهم بإثبات أنه الحق الكامل من الله، وبين أن ما فيه إنما هو تذكرة لهم وهداية.

الإبداع البياني في الآيات:

(تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَأرَبِّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾) [سورة السجدة]، هذه الجملة تحوي جمالات بيانية عديدة منها:

- 1 - افتتاح الكلام بالجملة الاسمية، وفيها دلالة على الدوام والثبات.
- 2 - المجيء بالمسند إليه معروفاً بالإضافة لإطالته ليحصل بتطويله، ثم تعقيبه بالجملة المعترضة، التشويق إلى معرفة الخبر، وهو قوله: (مَنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ولم تأت بصياغة: قرآن منزل من رب العالمين أو نحو ذلك.

وإنما عدل عن أسلوب قوله: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)) [سورة البقرة]، لأن تلك السورة نازلة بين ظهрани المسلمين، ومن يرجى إسلامهم من أهل الكتاب وهم (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4)) [سورة البقرة]؛ وأما هذه السورة فقد كانت لمجابهة الله المشركين الذين لا يؤمنون بالإله الواحد ولا يوقنون بالآخرة.

- 3 - استخدام أسلوب الإضافة بوصف (رَبِّ الْعَالَمِينَ) دون الاسم العلم وغيره من أسماء الله وصفاته، مما فيه من إيماء إلى عموم الشريعة، وكون كتابها منزلاً للناس كلهم، بخلاف ما سبق من الكتب الإلهية⁽¹⁵⁾.

- 4 - (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3)) [سورة السجدة] (أم) هذه تقرير، وقد يستفهم بأم، وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك ويقولون، وقال أم بمعنى بل في مثل هذا الموضع⁽¹⁶⁾.

15 التحرير 21/141-142

16 تفسير الطبري 21/57

توجيه المتشابه اللفظي في الآيات (1-2):

الم: في القرآن الكريم تسع وعشرون سورة افتتحت بحروف التهجي منها السبع المعروفة بآل حم أو الحواميم.

وقد اختلف المفسرون في المراد بها على أقوال: أسلمها تفويض العلم إلى الله سبحانه وتعالى قال ابن كثير: (قد اختلف المفسرون في الحروف المقطعة التي في أوائل السور، فمنهم من قال: هي مما استأثر الله بعلمه فردوا علمها إلى الله، ولم يفسروها، حكاه القرطبي في تفسيره عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود- رضي الله عنهم أجمعين- وقاله عامر الشعبي وسفيان الثوري والربيع بن خيثم، واختاره أبو حاتم...)⁽¹⁷⁾

وجميع السور المفتحة بالحروف، لا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته، وهذا معلوم بالاستقراء، وهو الواقع في تسع وعشرين سورة⁽¹⁸⁾

وقد افتتحت ست سور بـ (الم) وهي: [البقرة، آل عمران، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة].

- 1- (الم) (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) [سورة البقرة].
- 2- (الم) (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ (3) [سورة آل عمران].
- 3- (الم) (1) أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) [سورة العنكبوت].
- 4- (الم) (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) [سورة الروم].
- 5- (الم) (1) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (2) [سورة لقمان].
- 6- (الم) (1) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2) [سورة السجدة].

وبالنسبة للسور الست المفتحة بـ (الم) قال الكرمانى: (قوله تعالى: (الم) هذه الآية تتكرر في أوائل ست سور، والموجب لذكره أول (البقرة) من القسم

17 تفسير ابن كثير 1/109

18 تفسير ابن كثير 1/113

وغيره، هو بعينه الموجب لذكره في أوائل السور المبدوءة به⁽¹⁹⁾.

والموجب لذكره في سورة البقرة إقامة الدليل على أن هذا الكتاب هدى، ليتبع في كل ما حكم، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب، و الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث، الذي دلت عليه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب، فلذلك سميت بها السورة⁽²⁰⁾.

- إبدال جملة بجملة:

في قوله تعالى: (الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2)) [سورة البقرة]، وقوله: (الم (1) تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)) [سورة السجدة].

في سورة البقرة (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) وفي سورة السجدة (تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، في البقرة (لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) هي سورة مدنية، والحديث فيها عن أصناف الناس الثلاثة.

بينما في السجدة (لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هي مكية، والحديث فيها حول إثبات كون القرآن من عند الله تعالى.

وكلمة (مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) فيه إيماء إلى عموم الشريعة، وكون كتابها منزلاً للناس كلهم، بخلاف ما سبق من الكتب الإلهية.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (3):

(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (38)) [سورة يونس]

1 - (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (13)) [سورة هود].

2 - (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ (35)) [سورة هود]

3 - (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3)) [سورة السجدة].

4 - (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (8)) [سورة الأحقاف].

- إبدال جملة بجملة:

وأكثرها تشابهاً آيتي هود (13) ويونس (38) معاً، وآية الأحقاف (8) و هود (35) معاً، ثم آية السجدة (3) وهي تشبههم في بدايتها فحسب (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) ثم اختلفت الجملة فيما بعد، ففي جميع السور جاءت الجملة بعدها مصدرية بقوله (قل) أي يا محمد، بينما في سورة السجدة جاء قوله (بل) مباشرة غير مسبوق بقل زيادة في توكيد أنّ القرآن من عند الله، وهو مناسب لسياق السورة بأسرها إذ هي في إثبات صدق الكتاب وتقرير لهذه الحقيقة، وأما تفصيل اختيار الجمل فهو كما يلي:

في سورة يونس (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) «بسورة» فقيل لهم: إذا كان مفترى كما تزعمون فما المانع لكم عن معارضته فائتوا بسورة مماثلة للقرآن، فالمراد هنا نفي كلام مماثل للقرآن وإقامة الحجة عليهم بعجزهم عن ذلك. وقد روعي فيه الإيجاز لمناسبته.

وفي سورة هود «بعشر سور» فإنه -والله أعلم- لما قيل هنا مفتريات فوسع عليهم ناسبه التوسعة في العدد المطلوب لأنّ الكلام المفترى أسهل فناسبته التوسعة؛ أمّا الوارد في السورة السابقة (يونس) لم يذكر لهم فيها أن يكون مفترى بل السابق من الآية المماثلة مطلقاً، فلذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال، فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة، وحيث التوسعة بعشر سور، وهذه مناسبة جلية.⁽²¹⁾

آية هود: قال ابن القيم (ليس المراد مجرد الإخبار بأنه أنزله - وهو معلوم له، كما يعلم سائر الأشياء، فإن كل شيء معلوم له من حق وباطل- وإنما المعنى: أنزله مشتقاً على علمه، فنزوله مشتقاً على علمه: هو آية كونه من عنده، وأنه حق وصدق)⁽²²⁾

قال الغرناطي: (ولما كان ظاهر هاتين الآيتين المماثلة مطلقاً، قيل بعد ذلك: انتوا بكلام مفترى على سهولة مالا يتقيد بسوى الفصاحة وجاء ذلك من طلبهم بالتدرّج، فأولاً بالمماثلة من غير ذكر: مفترى، ثم قيل لهم: جيئوا بمفترى فلم يبق لهم عذر إلا العناد)⁽²³⁾.

21 ملاك التأويل 184/185

22 مدارج السالكين 3/471

23 ملاك التأويل 1/185

آية السجدة: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) فإن قولهم هذا مفترى إنكار لأن يكون من رب العالمين، أي فالأنسب أن يكون نفي الريب عما أنكره وهو كونه من رب العالمين، (بَلْ هُوَ الْحَقُّ) فإنه تقرير لما قبله فقد أثبت سبحانه أولاً أنه تنزيله، وأن ذلك لا ريب فيه أي: لا مدخل للريب في أنه تنزيل من الله، ثم أضرب سبحانه عن ذلك إلى قوله (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) لأنَّ (أم) المنقطعة بمعنى بل ، والهمزة إنكاراً لقولهم وتعجباً منه لظهور عجز بلغائهم عن مثل أقصر سورة منه.⁽²⁴⁾

و(أم) في (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) هي المنقطعة التي بمعنى بل ، أي بل أيقولون هو مفترى افتعله واختلقه ؟.

ثم أضرب عن معتقدتهم إلى بيان ما هو الحق في شأن الكتاب فقال (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) فكذبهم سبحانه في دعوى الافتراء، ثم بين العلة التي كان التنزيل لأجلها فقال: (لِنُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ) وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم رسول وقيل: قريش خاصة.

(لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) رجاء أن يهتدوا، أو كي يهتدوا.⁽²⁵⁾

آية الأحقاف: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ) إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحراً إلى ذكر قولهم إنَّ محمداً افتراه، ومعنى الهمزة في أم الإنكار والتعجب كأنه قيل: دع هذا، واسمع قولهم المستنكر، المقضي منه العجب؛ وذلك أن محمداً كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتره على الله؛ ولو قدر عليه دون أمة العرب، لكانت قدرته عليه معجزة، لخرقها العادة، وإذا كانت معجزة، كانت تصديقاً من الله له، فلا يكون مفترياً.

والضمير للحق والمراد به الآيات (قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ) على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرين على كفه عن معاجلتي، ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتره وأتعرض لعقابه؟⁽²⁶⁾

بعض المباحث الموضوعية:

التأدب مع المصحف:

لا بد من احترام المصحف والتأدب معه وهو أمر مجمع عليه بين المسلمين كما

24 روح المعاني 21/ 117

25 فتح القدير 4/ 325-326

26 الكشاف الزمخشري 1009

ذكره النووي⁽²⁷⁾.

ومما يلحظ الآن تهاون الناس في هذا الأمر سواء في طريقة حملهم للمصحف أو وضعهم له أو الكتابة فيه أو تقليب صفحاته.

وللمصحف آداب ينبغي التأدب بها؛ منها:

1- تحاشي التصغير في اسمه ورسومه وحجمه، ويُطالب من يكتبه بتحسين خطه وتجميله، وأن يكتبه على ورق يليق بمقامه.

قال الحكيم الترمذي⁽²⁸⁾: (ومن حرّمته أن تُجَلَّلَ تخطيطه إذا خطّطه. وعن أبي حُكيمة: أنَّه كان يكتب المصاحف بالكوفة، فمَرَّ علي - رضي الله عنه - فنظر إلى كتابه فقال له: أَجِلُّ قلمك، فأخذت القلم فقططت - قطعه عرضاً - من طرفه قطعاً، ثم كتبتُ، وعلي قائم ينظر إلى كتابتي؛ فقال: هكذا، نُورَه كما نُورَه الله تعالى)⁽²⁹⁾.

وقال القرطبي معللاً وجوب العناية بكتابة المصحف: (وذلك أشبه بالإجلال والتعظيم)⁽³⁰⁾.

2- الحذر من إضافة شيء إليه أو كتابته بالأعجمية.

3- الحذر من استدباره، أو توسده، أو رميه عند وضعه أو مناولته، أو مد الرجلين إليه، أو التروح به، أو استعمال الشمال في تناوله وأخذه، أو تصغير اسمه.

4- الحذر من وضع شيء فوقه، أو بين أوراقه، أو حمله حال دخول الأماكن المتهنة، أو تعريضه لأي نوع من أنواع الأقدار، أو تعريضه لمظان امتهانته أو النيل من قدسيته، كأن يُمَكَّن منه الصغار أو المجانين أو الكفار.

القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، وصفة من صفاته، ومن أراد الهدى والشفاء والنور، والسعادة والفلاح والفوز، اتبع هداه وآمن به، وعمل بما فيه.

27 التبيان في آداب حملة القرآن 174.

28 هو أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي ت/320.

29 نوارد الأصول في أحاديث الرسول 3/255-256.

30 التذكار في أفضل الأذكار 117 محمد القرطبي ط2 1420، تحقيق فواز زمولي، دار الكتاب العربي.

وقد بعث الله محمد ﷺ بكتابه الذي هو الهدى، وجعله أحسن الحديث وأحسن القصص، وجعله الصراط المستقيم. والمعتمدون به علماء وحالاً، وتلاوة وسماعاً، باطناً وظاهراً، هم المسلمون حقاً وهم أهل الله وخاصته.

وليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تأمل القرآن وتدبر معانيه، والعمل بأوامره ونواهيه (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)) [سورة الإسراء].

والقرآن بصيرة و تبصرة، وهدى وشفاء، ورحمة بمعنى عام، وبمعنى خاص؛ ولهذا يذكر الله سبحانه هذا وهذا، فهو هدى للعالمين، وهدى للمتقين، وشفاء للعالمين، وشفاء للمؤمنين، وموعظة للعالمين، وموعظة للمتقين، فهو في نفسه هدى ورحمة، وشفاء وموعظة، وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه، وطريق الوصول إليه، وماله من الكرامة إذا قدم عليه.

وتعرفه في مقابل ذلك ثلاثة أخرى: ما يدعو إليه الشيطان، والطريق الموصلة إليه، وما للمستجيب لدعوته من الإهانة والعذاب بعد الوصول إليه.⁽³¹⁾

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

أرسل الله الرسل من أولهم إلى خاتمهم - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - أرسلوا بالدعوة إلى الله، وبيان الطريق الموصل إليه، وبيان حال المدعويين بعد وصولهم إليه. ولقد بعث محمداً ﷺ إلى الخلق على فترة من الرسل، والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب: إما مبدل أو مبدل منسوخ، ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمة من عربي وعجمي، مقبل على عبادة ما استحسنته، وظن أنه ينفعه: من نجم أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك.

والناس في جاهلية جهلاء فهدى الله ببركة نبوة محمد ﷺ وبما جاء من البيئات والهدى هداية جلت عن وصف الواصفين، حتى حصل لأمة المؤمنين عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً، من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعته حكمة سائر الأمم، علماء وعملاً، الخالصة من كل شوب، إلى الحكمة التي بعث بها لتفاوتها تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما⁽³²⁾.

31 إغاثة اللفهان 2/169، مدارج السالكين 1/451

32 اقتضاء الصراط المستقيم 1/75

والله عزوجل يُحدث في كل وقت دالة على صدق رسوله ما يقيم به الحجة،
ويزيل به العذر، ويحكم له ولأتباعه بما وعدهم به من العز والنجاة والظفر.

ويحكم على أعدائه ومكذبيه بما توعدهم به: من الخزي والنكال والعقوبات
المعجلة الدالة على تحقيق العقوبات المؤجلة (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا (28)) [سورة الفتح]، فيظهره
ظهورين : ظهوراً بالحجة والبيان والدلالة، وظهوراً بالنصر والغلبة⁽³³⁾.

الفصل الثاني

إثبات الألوهية

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ
فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ
مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ رَسَدْنَاهُ وَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَا لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾) [سورة السجدة].

المعنى العام:

لما كان الركن الأعظم من أركان هدي الكتاب هو إثبات الوجدانية للإله وإبطال
الشرك عقب الثناء على الكتاب بإثبات هذا الركن.

واستدل على ذلك بخلقه السموات والأرض واستواءه على العرش وأن لا شفيع
ولا ولي دونه. وفرع على هذا الدليل الإنكار على عدم تدبرهم في ذلك، وإهمالهم النظر
والتذكر بقوله: (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) ثم ذكر سبحانه تدبيره الأمر وسعة علمه وعظيم قدرته
في خلق الإنسان؛ مما يستلزم توحيده وإفراده بالعبادة والشكر، فعرفهم كمال قدرته
ليسمعوا كلامه ويتأملوه ويعملوا به.

الإبداع البياني في الآيات:

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ
مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) [سورة السجدة].

جاء باسم الجلالة مبتدأ لإحضاره في الأذهان بالاسم المختص به قطعاً لدابر عقيدة الشريك في الإلهية، وجاء باسم الموصول للإيماء إلى وجه بناء الخبر وأنه الانفراد بالربوبية لجميع الخلائق⁽³⁴⁾.

(ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6)) [سورة السجدة].

جاء بالإشارة إلى اسم الجلالة بعدما أجري عليه من أوصاف التصرف بخلق الكائنات وتدبير أمورهما؛ للتنبيه على أن المشار إليه باسم الإشارة حقيق بما يرد بعد اسم الإشارة من أجل تلك الصفات المتقدمة⁽³⁵⁾.

(الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) خبر آخر عن اسم الإشارة أو وصف آخر ل (عَالِمُ الْغَيْبِ) وهو ارتقاء في الاستدلال مشوب بامتنان على الناس أن أحسن خلقهم. وقوله (وَجَعَلَ لَكُمْ) انتقال من الغيبة إلى الخطاب وفيه التفات إلى المخاطبين من أفراد الناس، وجعل السمع والأبصار والأفئدة للناس كلهم غير خاص بالمخاطبين.

والعدول عن أن يقال: وجعلكم سامعين مبصرين عالمين إلى (جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) لأن ذلك أعرق في الفصاحة، ولما تؤذون به اللام من زيادة المنة في هذا الجعل أو كان جعلاً لفائدتهم.

كلمة الأفئدة أجمع من كلمة عاقلين لأن الفؤاد يشمل الحواس الباطنة كلها والعقل بعض منها.

وأفرد السمع لأنه مصدر لا يجمع وتقديم السمع والأبصار على الأفئدة هنا على عكس آية البقرة لأنه روعي هنا ترتيب حصولها في الوجود فإنه يكتب المسموعات والمبصرات قبل اكتساب التعقل.⁽³⁶⁾

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (4):

1- (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)) [سورة الأعراف].

34 التحرير 141-142/21

35 التحرير 149/21

36 التحرير 215-218/21

2 - (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3) [سورة يونس].

3 - (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)) [سورة الفرقان].

4 - (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)) [سورة الحديد].

5 - (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4)) [سورة السجدة]

6 - (اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)) [سورة الرعد]

في جميع ما سبق ذكر سبحانه خلقه السماوات والأرض واستواءه على العرش في تقريره سبحانه لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وإثبات الرسالة والرد على المشركين.

- إبدال جملة بجملة:

- آية الأعراف: جاءت بعد إعذار الله إلى المشركين بإرسال الرسل إليهم بالكتاب الذي جاء به الرسول ﷺ، ثم أخبر أنه خلق السماوات والأرض، واستوى على العرش، وله الملك والتصرف، والجميع تحت مشيئته وتسخيره سبحانه.

- آية يونس: جاءت بعد إنكار الله لمن تعجب من الكفار من إرسال الرسل من البشر، فأخبر سبحانه أنه رب العالم جميعه، وأنه خلق السماوات والأرض، واستوى على العرش، وأن بيده تدبير الأمر، فأفردوه بالعبادة وحده.

- آية الفرقان: جاءت بعد إخبار الله عن جهل المشركين في عبادتهم غير الله من الأصنام التي لا تملك لهم ضراً ولا نفعاً، بلا دليل يقودهم إلى ذلك، ولا حجة

تؤديهم إليه، بل بمجرد الأهواء والآراء الباطلة.

ثم أخبر سبحانه أنه خلق السماوات والأرض، واستوى على العرش، فهو خالق كل شيء وربّه ومليكه.

- آية الحديد: جاءت بعد ذكر الله أن كل ما في السماوات والأرض يسبح له، وأنه هو المالك المتصرف في خلقه.

ثم ذكر سبحانه خلق السماوات والأرض واستواءه على العرش، ثم أمر بالإيمان به وبرسوله على الوجه الأكمل.

- آيات السجدة: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4) يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5) ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (6)) يتضمن أبطال قول المعطلة والجهمية الذين يقولون: ليس على العرش شيء سوى العدم، وإن الله ليس مستوياً على عرشه، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا يصعد إليه الكلم الطيب، ولا رفع المسيح عليه السلام إليه، ولا عرج برسوله محمد ﷺ، ولا تعرج الملائكة والروح إليه، ولا يراه المؤمنون في الدار الآخرة عياناً بأبصارهم من فوقهم... قال شيخ الإسلام: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه، مثل قوله تعالى: (مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)) [سورة فاطر]

(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ...) سورة السجدة (4-6) قال ابن قيم: (وتأمل ما في هذه الآيات من الرد على طوائف المعطلين والمشركين فقله: (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وأن الله سبحانه لم يخلقه بقدرته ومشيتته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أولاً وأبداً غير مخلوق، كما هو قول الملاحدة الجاحدين لما

اتفقت عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام والكتب وشهدت به العقول والفطر⁽³⁷⁾.

توجيه موهم التعارض في الآية (5):

1 - (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (5)) [سورة السجدة].

2 - (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)) [سورة المعارج].

3 - (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (47)) [سورة الحج].

ذكر أن المراد به هنا: ما ينزل به الملك من السماء ثم يصعد إليها، ويكون السماء هنا عبارة عن جهة سدرة المنتهى لا من سماء الدنيا.

والمراد بآية الحج إن عذاب المعذب في جهنم يوماً واحداً بقدر عذاب المعذب ألف سنة لأنه جاء بعد قوله (يَسْتَعْجِلُونَكَ) والمراد بآية المعارج: يوم القيامة لما فيه من الأهوال والشدائد.

وقوله (في يَوْمٍ) راجع إلى قوله (بِعَذَابٍ وَاقِعٍ) أي واقع ليس له دافع في يوم كان مقداره (سَأَلُ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (1) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (2) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (3) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4))

وقيل المراد به: نزول الملك من سدرة المنتهى وعوده إليها، وإن مقدار ذلك على سير أهل الدنيا (خمسون ألف سنة)⁽³⁸⁾.

وذكر الإسكافي ثلاثة أوجه:

جواب أول: في سورة المعارج أي: تصعد الملائكة وجبريل عليهم السلام إلى حيث يعطي الله تعالى فيه الثواب أهل طاعته، ويحل فيه العقاب بأهل معصيته، وإن ذلك في يوم هو يوم القيامة، ويفعل الله تعالى فيه من محاسبة عباده وتبليغ كل منهم حقه ما لا يكون مثله في الدنيا إلا في خمسين ألف سنة.

37 اجتماع الجيوش 48

38 كشف المعاني 298

جواب ثان: وهو أنه يجوز أن يكون يوم القيامة يوماً بلا آخر ، وفيه أوقات مختلفة طولاً وقصراً كما في أيام الدنيا، كما كان في الوقت بين صلاة الفجر وصلاة الظهر أطول مما بين الظهر والعصر، وكما كان ذلك بين صلاتي العشاء الأولى والعشاء الآخرة، فبعضها ألف سنة، وبعضها خمسون ألف سنة.

جواب ثالث: وهو أن يكون اليوم الذي أخبر الله تعالى عنه في السجدة والحج هما من الأيام التي عند الله وأما في سورة سأل سائل فإنَّ المراد به أنه لثقله على الكافرين واستطالتهم له وصعوبته وهوله عليهم يصير كخمسين ألف سنة.⁽³⁹⁾

وقال الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب، قول من قال معنى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بالتنزيل.

وقال مجاهد وقتادة والضحاك: النزول من الملك في مسيرة خمسمائة عام، وصعوده في مسيرة خمسمائة عام، ولكنه يقطعها في طرفة عين ولهذا قال تعالى (في يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)⁽⁴⁰⁾
وهذا القول هو الصواب والله أعلم.

بعض المباحث الموضوعية:

الاستواء على العرش:

ذكر الاستواء على العرش في سبع آيات من القرآن وهو حقيقة عند جميع فرق الأمة إلا الجهمية ومن وافقهم؛ فإنهم قالوا: هو مجاز، ثم اختلفوا في مجازة؛ والمشهور عنهم ما حكاه الأشعري عنهم وبدعهم وضللتهم فيه: بمعنى استولى، أي: ملك وقهر. وقالت فرقة منهم: بل معناه قصد وأقبل على خلق العرش.

وقالت فرقة أخرى: بل هو مجمل في مجازاته يحتمل خمسة عشر وجهاً، كلها لا يعلم أيها المراد، إلا أننا نعلم انتفاء الحقيقة عنه بالعقل. وهذا الذي قالوه باطل من وجوه عدة أهمها:

39 درج التنزيل 648-649

40 ابن كثير 6/383

أن لفظ الاستواء في كلام العرب الذي خاطبنا الله تعالى بلغتهم وأنزل بها كلامه نوعان مطلق ومقيد.

فالمطلق: ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (14)) [سورة القصص]، وهذا معناه: كمل وتم، يقال: استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فتلاثة أضرب:

أحدها: مقيد بإلى كقوله: (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ) واستوى فلان إلى السطح وإلى الغرفة، وقد ذكر سبحانه هذا المعنى بإلى في موضعين من كتابه: في البقرة في قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (29)) [سورة البقرة]، والثاني في سورة فصلت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُحَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)) وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

والثاني: مقيد بعلى كقوله: (لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13)) [سورة الزخرف]، (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلِي فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ (40)) [سورة هود] وهذا أيضاً معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة.

الثالث: المقرون بواو (مع) التي عدي الفعل إلى المفعول معه نحو استوى الماء والخشبة بمعنى: ساواها.

وهذه معاني الاستواء المعقولة⁽⁴¹⁾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والتابعين، وكلام سائر الأئمة مملوء مما هو نص أو ظاهر في: أن الله سبحانه فوق كل شيء وأنه فوق العرش، فوق السماوات، مستو على عرشه⁽⁴²⁾.

41 مختصر الصواعق 2/126

42 اجتماع الجيوش الإسلامية 28

مجموع أيام الخلق:

مجموع أيام خلق السماوات والأرض ستة كما ذكر في سبعة مواضع من القرآن، أربعة منها بلفظ: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (54)) [سورة الأعراف]، (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3)) [سورة يونس] (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)) [سورة هود] (هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)) [سورة الحديد]

وفي موضعين بلفظ: (الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا (59)) [سورة الفرقان] (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (4)) [سورة السجدة]، وفيهما زيادة خلق ما بينهما. ومثله ما في قوله تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (38)) [سورة ق].

فيحمل ما سكت عنه في الآيات الأربع على ما ذكر بعدها، أي أنّ السماوات والأرض وما بينهما، كل ذلك كان في ستة أيام.

قال ابن عباس - رضي الله عنه - (فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام وخلق السماوات في يومين)⁽⁴³⁾.

أنواع الشفاعة:

الشفاعة لا يُراد بها معونة الله - سبحانه - في شيء مما شُفِعَ فيه، فهذا ممتنع ولكن يُقصد بها أمران هما:

1 - إكرام الشافع.

2 - نفع المشفوع له.

والشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر. واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة. مثال جلب المنفعة: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها. مثال دفع المضرة: شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار أن لا يدخلها. وقد قسم أهل العلم رحمهم الله الشفاعة إلى قسمين رئيسيين، هما:

القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي من المقام المحمود الذي وعده الله، فإنّ الناس يلحقهم يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم من الغم والكرب ما لا يطيقونه، «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذَّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَهَسَّ مِنْهَا نَهَسَةً ثُمَّ قَالَ، "أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ يُجْمَعُ النَّاسُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصْرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسُ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ النَّاسُ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ عَلَيْكُمْ بِأَدَمَ فَيَأْتُونَ أَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ. وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغْنَا فَيَقُولُ أَدَمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، انْهَبُوا إِلَى عَيْرِي، انْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ يَا نُوحُ إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي انْهَبُوا إِلَى عَيْرِي، انْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي

قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ - فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي،
 اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ
 اللَّهِ، فَضَلَّكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا
 نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ
 بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى
 غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
 أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلِمَتِ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا اشْفَعْ لَنَا أَلَا تَرَى إِلَى مَا
 نَحْنُ فِيهِ فَيَقُولُ عِيسَى إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ
 يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ - وَلَمْ يَذْكَرْ ذَنْبًا - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا
 إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُونَ يَا
 مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا
 تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ
 سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ
 يَفْتَحْهُ عَلَيَّ أَحَدٌ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلِّ تَعْطَلْهُ، وَاشْفَعْ تُشْفَعْ،
 فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ فَيَقَالُ يَا مُحَمَّدُ ادْخُلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ
 لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى
 ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمَصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ
 الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحَمِيرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى .“

الثاني: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها. لأنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها
 وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب
 الجنة لأهلها. وفي صحيح مسلم ”أنا أول شفيع في الجنة“،⁽⁴⁴⁾
 ويشير إليه قوله تعالى: (وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا
 وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طُبْتُمْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ (73))
 [سورة الزمر].

الثالث: شفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب⁽⁴⁵⁾.

44 أخرجه مسلم كتاب الجنة باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنا أول الناس يشفع في الجنة) 196.

45 أخرجه البخاري كتاب الفضائل باب قصة أبي طالب 3/363، مسلم، كتاب الإيمان باب شفاعته النبي

ز لأبي طالب 1/194

القسم الثاني: الشفاعة العامة له ولجميع المؤمنين، وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وهذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً؛ إلا شفّعهم الله فيه)⁽⁴⁶⁾.

النوع الثاني: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

النوع الثالث: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين، وهذه تؤخذ من دعاء المؤمنين بعضهم لبعض كما قال صلى الله عليه وسلم في أبي سلمة: (اللهم اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المهديين، وأفسح له في قبره، ونور له فيه، واخلفه في عقبه)⁽⁴⁷⁾.⁽⁴⁸⁾

الفصل الثالث

إثبات البعث

(وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)
قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)) [سورة السجدة]

المعنى العام:

إخبار الله عن المشركين استبعادهم المعاد بعد تمزق أجسامهم وتفرقتها في أجزاء الأرض، ثم إثباته قدرته على البعث، وبين أن هذا بعيد بالنسبة إلى قدرتهم العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الذي بدأهم وخلقهم من العدم، الذي إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

الإبداع البياني في الآيات:

1 - قوله تعالى: (وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)) [سورة السجدة]

في هذه الآية (استفهام إنكاري) غرضه الاستهزاء والتكذيب، يقول المشركون

46 أخرجه مسلم كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون 382.

47 أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت 370.

48 القول المفيد على كتاب التوحيد 1/329-334، شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن

الجوزي، ط1، 1421

المستهزئون بدين الله: هل إذا هلكننا وصرنا تراباً ، مختلطاً بتراب الأرض، سنرجع إلى الحياة مرة ثانية بعد أن نغيب في جوفها؟ وهو استبعاد للبعث مع السخرية والاستهزاء ولذا قال تعالى بعده (بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ) أي بل هنالك ما هو أبلغ وأشنع من الاستهزاء، وهو كفرهم وجودهم للقاء الله بعد الموت⁽⁴⁹⁾.

[وفائدة الاستفهام الإنكاري: الإنكار ومعنى الاستفهام حينئذ معنى النفي، وما بعده منفي ولعل السر في جمال أسلوب الاستفهام هنا، والعدول إليه عن أسلوب النفي، هو أن الاستفهام في أصل وضعه يتطلب جواباً يحتاج إلى تفكير، يقع به هذا الجواب في موضعه، ولما كان المسئول يجيب بعد تفكير وروية عن هذه الأسئلة بالنفي، كان في توجيه السؤال إليه حملاً له على الإقرار بهذا النفي وهو أفضل من النفي ابتداء⁽⁵⁰⁾].

توجيه موهم التعارض في الآية (11):

1 - (قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)) [سورة السجدة].

2 - (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42)) [سورة الزمر].

3 - (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61)) [سورة الأنعام].

4 - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)) [سورة الأنعام].

الجامع للآيات أن ملك الموت أعوانا من الملائكة يعالجون الروح حتى تنتهي إلى الحلقوم فيقبضها هو.

فالمراد هنا: قبضه لها عند انتهائها إلى الحلقوم، والمراد بآية الأنعام: هو وأعوانه. وبآية

49 الإبداع البياني في القرآن العظيم 253 محمد الصابوني، المكتبة العصرية ط 1 1426
50 من بلاغة القرآن 126، أحمد أحمد بدوي، نهضة مصر 2004

الزمر: الله تعالى وقضائه بذلك وقيل المراد: بقوله: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ) ويقوله (يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ) أي يستوفي عدد أرواحكم، من قولهم: توفيت الدين إذا استوفيته أجمع.⁽⁵¹⁾

آية (61) الأنعام وآية (93) الأنعام: أي: استوفت روحه، وهم ملك الموت وأعوانه⁽⁵²⁾.

وآية السجدة أي ملك الموت.

آية الزمر: ذكر سبحانه نوعاً من أنواع قدرته البالغة وصنعتة العجيبة فقال: (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ) أي يقبضها عند حضور أجلها ويخرجها من الأبدان. فهنا الحديث عن قدرة الله وعجيب صنعه فقال (اللَّهُ يَتَوَفَّى) ولم يقل ملك الموت أو أعوانه⁽⁵³⁾.

المباحث الموضوعية:

شبهات منكري البعث والرد عليهم:

هناك العديد من الشبهات الواهية لدى منكري البعث؛ ولعل من أهمها أن تفتت العظام وتحلل الجسد إلى ذرات ترابية واختلاط هذه الذرات بعضها ببعض، وضياعها في الأرض مع ما يطرأ على الأرض من تغيرات بالأمطار وغيرها كل ذلك موضع بعد واستغراب من الكفار.

والجواب عن ذلك:

1 - ما ذكره قبل هذه الآية من خلق الإنسان من الطين وتطويره من قطرة ماء إلى أن يصير إنساناً أكبر دليل على أن إعادته ممكنة ليس في ذلك أدنى ريب، فلا يحتاج بعد هذه الأدلة إلى كبير توكيد.

2 - أن الإعادة أسهل من الابتداء في منطق العقل.

3 - علمه المحيط بكل شيء، فإنه يستلزم أن لا يشتبه عليه أي جزء من أحد بأجزاء الآخرين لكمال علمه وإحاطته بجميع الذرات وما تحلل منها (يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)) [سورة سبأ]⁽⁵⁴⁾.

51 كشف المعاني 299 بدر الدين بن جماعة

52 الكشاف الزمخشري 331

53 فتح القدير 611/4

54 لمسات بيانية في نصوص من التنزيل 117,116 فاضل السامرائي، دار عمار ط1، 1427

الفصل الرابع

مشهد من مشاهد القيامة

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هَدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14)) [سورة السجدة].

المعنى العام:

يذكر الله في هذه الآية حال المشركين يوم القيامة وحالهم حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله عزوجل، حقيرين ذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي من الحياء والخجل يقولون: (رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا) أي نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة، ويطلبون العودة إلى دار الدنيا للعمل الصالح، ولكن هيهات لهم فالיום يوم جزاء وحساب، ثم يُقال لهم على سبيل التقرير والتوبيخ: ذوقوا هذا العذاب بسبب تكذيبكم به واستبعادكم وقوعه وتناسيكم له.

الإبداع البياني في الآيات:

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)) [سورة السجدة].

جواب (لو) حذف للتهويل و تفضيع الأمر، أي لرأيت أمراً مهولاً مفزعاً، ترتعد له القلوب وتطيش من هوله الأحلام.

(وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)) [سورة السجدة].

هذا خبر حذف جوابه، والتقدير: لو رأيت حالة المجرمين وهم مطرقو رؤوسهم أمام ربهم، من شدة الندم والخجل، لرأيت أمراً فظيعاً هائلاً، ترتعد له الفرائص، وهذا النوع يسمى (الإيجاز بالحذف) حذف جواب (لو) للتهويل وشدة الأمر⁽⁵⁵⁾.

(إِنَّا نَسِينَاكُمْ): أي سنعاملكم معاملة الناسي، لأنه تعالى لا ينسى شيئاً ولا يضل عنه شيء، بل من باب المقابلة⁽⁵⁶⁾.

55 الإبداع البياني في القرآن العظيم، 253 محمد الصابوني، المكتبة العصرية ط 1 1426

56 تفسير ابن كثير / 428

وجيء في تصوير حال المجرمين بطريقة حذف جواب (لو) حذفاً يرادفه أن تذهب نفس السامع كل مذهب في تصوير فظاعة حالهم وهول موقفهم بين يدي ربهم، وبتوجيه الخطاب إلى غير معين لإفادة تناهي حالهم في الظهور حتى لا يختص به مخاطب. والمعنى: لو ترى أيها الرائي لرأيت أمراً عظيماً⁽⁵⁷⁾.

ويجوز أن يكون خطاباً لرسول الله ﷺ ويراد به التمني كأنه قال "وليتك ترى" كقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة: لو نظرت إليها. والتمني لرسول الله ﷺ كما كان الترجي له في لعلمهم يهتدون لأنه تجرع منهم الغصص، فجعل الله له تمني أن يراهم على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم، وأن تكون لو الإمتناعية، قد حذف جوابها وهو لرأيت أمراً فظيماً أو لرأيت أسوأ حال ترى⁽⁵⁸⁾.

(فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (14))) [سورة السجدة].

في هذه الآية ما يسمى بالمشاكلة وهو الاتفاق باللفظ مع الاختلاف في المعنى، فإن النسيان من الله مستحيل لا يتصور (قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (52))) [سورة طه] (وَمَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (64))) [سورة مريم] وهو غير النسيان من الكفار، لأن النسيان منهم: الترك للأوامر، وعدم الإيمان بقاء الله، وأما قوله (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) فالمراد منه: نترككم في العذاب ترك الشيء المنسي، سمي نسياناً من باب المشاكلة⁽⁵⁹⁾.

فقد سمي عقاب الله لهم (نسياناً) ليشاكل نسيان الكفار، زيادة في روعتهم، ومبالغة في تعنيفهم، وأن الجزاء سيكون في غاية الشدة وفيه مجاز مرسل لعلاقة السببية أيضاً⁽⁶⁰⁾.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (12):

1 - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ

57 التحرير 154/21

58 الكشاف الزمخشري 843

59 253 الابداع البياني في القرآن العظيم، محمد الصابوني، المكتبة العصرية ط1 1426

60 79 البديع في ضوء أساليب القرآن، عبد الفتاح لاشين - دار الفكر 1422

بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (93)) [سورة الأنعام].

2 - (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)) [سورة السجدة].

3 - (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)) [سورة سبأ].

- إبدال جملة بجملة:

آية السجدة: يخبر تعالى عن حال المشركين يوم القيامة، وحالهم ومآلهم جميعاً عاينوا البعث، وقاموا بين يدي الله حقيرين وذليلين، ناكسي رؤوسهم، أي: من الحياء والخجل، يقولون: ربنا أبصرنا وسمعنا، أي: نحن الآن نسمع قولك ونطيع أمرك، كما قال تعالى: (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (38)) [سورة مريم]، وكذلك يعودون على أنفسهم بالملامة إذا دخلوا النار بقولهم: (وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (10)) [سورة الملك].⁽⁶¹⁾

آية الأنعام: هذا خطاب لهم عند الموت، وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون، ولو تأخر عنهم ذلك إلى انقضاء الدنيا، لما صح أن يقال لهم: اليوم تجزون.⁽⁶²⁾

(وَلَوْ تَرَىٰ): جوابه محذوف أي لرأيت أمراً عظيماً (إِذِ الظَّالِمُونَ) (فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ) شدائده وسكراته، وأصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ) يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم، وهذه عبارة عن العنف في السياق، والإلحاح والتشديد في الإرهاق من غير تنفيس وإمهال، وأنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة

61 تفسير ابن كثير 6/385

62 الروح 92

ولا يمهله. وقيل: معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب.⁽⁶³⁾

بعض المباحث الموضوعية:

السمع:

يراد به إدراك الصوت، ويراد به فهم المعنى، ويراد به القبول والإجابة. والثلاثة في القرآن:

فمن الأول قوله: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)) [سورة المجادلة]. وهذا أصرح ما يكون في إثبات صفة السمع لله.

والثاني: سمع الفهم؛ كقوله: (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ) أي: لأفهمهم (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23)) [سورة الأنفال]، لما في قلوبهم من الكبر والإعراض عن قبول الحق، ففيهم آفتان، إحداهما: أنهم لا يفهمون الحق لجهلهم، ولو فهموه لتولوا عنه وهم معرضون عنه لتكبرهم، وهذا غاية النقص والعيب.

والثالث: سمع القبول والإجابة كقوله تعالى: (لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47)) [سورة التوبة]، أي قابلون مستجيبون، ومنه قوله: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَظْهَرِ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (41)) [سورة المائدة] أي قابلون له مستجيبون لأمله⁽⁶⁴⁾.

وفي مقارنة بين السمع والبصر نذكر كلام ابن تيمية حيث قال: التحقيق أن السمع له مزية، والبصر له مزية: فمزية السمع العموم والشمول، ومزية البصر كمال الإدراك وتمامه، فالسمع أعم وأشمل، والبصر أتم وأكمل، فهذا أفضل من جهة شمول إدراكه وعمومه وهذا أفضل من جهة كمال إدراكه وتمامه⁽⁶⁵⁾.

63 الكشاف الزمخشري 337

64 البدائع في علوم القرآن 321-322، ابن قيم الجوزية

65 بدائع الفوائد 3/164

ولتقديم السمع وجوه ذكرت في المنهج الحديث: أن السمع في الإنسان متقدم في الوقوع والوجود، لأن الوليد يكتمل تمييزه بسمعه قبل بصره.

ومنها: أن المسموعات من جميع الجهات، والمرثيات من الجهة المقابلة. ومنها أن الانتفاع بالسمع في مقام الهدايا والنبوات أكثر من الانتفاع بالبصر، وإغلاق السمع عن سماع الهدى أساس كل ضلال وإنحراف⁽⁶⁶⁾.

وقوله عزوجل: (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (67)) [سورة يونس]، (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (23)) [سورة الروم] فيه دلالة أخرى أن المرء يعتبر بالسمع أكثر إذ أن لكل واحد الخيار في الرؤية وعدمها، لوجود ما يُغلق العين ويفتحها فلا تقع الرؤية من الجميع في نفس الوقت، بل تتعدد الرؤية من الجميع في نفس الوقت، بل تتعدد الرؤية لأن كل واحد يرى في الوقت الذي يختاره، بخلاف السمع فإن الجميع يسمعون ذات الصوت⁽⁶⁷⁾.

أنواع الهداية:

قال تعالى: (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (3)) [سورة السجدة]

لقد أمرنا الله بالهداية، وحثنا على طلب الهداية في سورة الفاتحة (اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6)) التي نقرأها في كل ركعة من كل صلاة، وبين لنا في سورة النساء أن الصراط المستقيم هو صراط النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقال سبحانه: (وَاهْدِنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (68)) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا (69)) [سورة النساء]

وقد ذكر ابن القيم في شفاء العليل مراتب الهدى فقال - رحمه الله - إن مراتب الهدى أربعة:

- 1 - الهدى العام: وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها وهذا أعم مراتبه.
- 2 - الهدى بمعنى البيان والدلالة والتعليم والدعوة إلى مصالح العبد في معاده:

66 المنهج الحديث في تفسير أحسن الحديث / 83 - د. عبدالغني الراجحي - ط المعرفة سنة 1383-1963

67 القضاء والقدر - متولي الشعراوي - دار الشروق، ط 1975

وهذا خاص بالمكلفين، وهذه المرتبة أخص من المرتبة الأولى وأعم من الثالثة.

3 - **الهداية المستلزمة للاهتداء:** وهي هداية التوفيق، ومشية الله لعبده الهداية، وخلقه دواعي الهدى، وإرادته والقدرة يوم المعاد إلى طريق الجنة والنار. وهذه المرتبة أخص من التي قبلها، وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها.

وهذه المرتبة تستلزم أمرين: أحدهما فعل الرب تعالى وهو الهدى، والثاني فعل العبد وهو الإهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي. قال تعالى (وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكَمًّا وَصَمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97)) [سورة الإسراء]، وقال أهل الجنة (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)) [سورة الأعراف].

وأمر سبحانه عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم، كل يوم وليلة في الصلوات الخمس، وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط والهداية فيه، كما أن الضلال نوعان: ضلال عن الصراط فلا يهتدي إليه، وضلال فيه، فالأول ضلال عن معرفته والثاني ضلال عن تفاصيله أو بعضها، والعبد محتاج في كل حال ومفتقر للهداية.

وقد أخبر سبحانه أن إتباع ما يكرهه يصرفه عن العلم والهدى، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَتُودُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)) [سورة الصف] (وَنَقَلْبُ أَفْبَدْتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أُولَٰئِكَ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (110)) [سورة الأنعام] والعلم النافع الذي تحصل به النجاة من النار، ويسعد به العباد، هو الحاصل بإتباع الكتاب والسنة، قال تعالى: (قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (38)) [سورة البقرة]، (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (123)) [سورة طه]، ولا بد من العمل به، فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون العمل فقد ضل⁽⁶⁸⁾.

68 شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر ابن القيم- دار التراث 141-172، تحقيق الحساني حسن- الفتاوي 13/245-247

الفصل الخامس

حال المؤمنين في الدنيا

(إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16)) [سورة السجدة].

المعنى العام:

إنَّ الذي يصدق بحجج الله وآيات كتابه، إنَّما هم القوم الذي إذا ذكروا بها وعظوا وخرروا سجداً تذلاًً له واستكانة لعظمته، وإقراراً له بالعبودية وسبحوا بحمده وهم لا يستكبرون، وهم كذلك تتنحى جنوبهم عن مضاجعهم التي يضطجعون عليها لنامهم، ويقومون يذكرون الله ويصلون له ويدعون خَوْفًا وَطَمَعًا في عفوه عنهم وتفضله عليهم برحمته ومغفرته، ومما رزقهم ينفقون في سبيله ويؤدون منه حقوقه التي أوجبها عليهم فيه، فيجمعون بذلك بين فعل القربات اللازمة والمتعدية⁽⁶⁹⁾.

الإبداع البياني في الآيات:

(تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16)) [سورة السجدة].

فيها كناية لطيفة عن ترك النوم والانقطاع للعبادة والصلاة⁽⁷⁰⁾.

الكناية والاستعارة في سورة السجدة:

الكناية اللطيفة في قوله: (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (16)) [سورة السجدة] كنى به عن كثرة الصلاة والعبادة، لأنَّ التجافي معناه ترك النوم للتفرغ للصلاة وذكر الله، وهو من الكنايات البديعة⁽⁷¹⁾، وقال ابن قيم: وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم، حين يقومون إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة⁽⁷²⁾.

69 تفسير الطبري، 62-63، تفسير ابن كثير / 429

70 الإبداع البياني في القرآن العظيم 252، محمد الصابوني، المكتبة العصرية ط 1 1426

71 الإبداع البياني في القرآن العظيم 254، محمد الصابوني، المكتبة العصرية ط 1 1426

72 حادي الأرواح 223

بعض المباحث الموضوعية:

نعيم الجنة وأكثر أهلها:

إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِنَ النِّعَمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَقَدْ قَالَ ﷺ: قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ⁽⁷³⁾.

وإِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرٍ يَسِيرُ الرَّكَّابُ فِي ظِلِّهَا مِثْلَ سَنَةِ لَا يَقْطَعُهَا.

فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجْرَةً يَسِيرُ الرَّكَّابُ الْجَوَادِ الْمَضْمَرِ السَّرِيعِ، مِائَةً عَامًا، مَا يَقْطَعُهَا)⁽⁷⁴⁾

وَمَا أَنَّهُ يَحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُ اللَّهِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ أَبَدًا.

فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَقُولُونَ لِبَيْتِكَ، رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرِ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضَيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى؟ يَا رَبِّ! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: أَلَا أَعْطَيْتُكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ! وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحَلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا⁽⁷⁵⁾

وَمَا أَنَّهُمْ يَرِزْقُونَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ (22) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ (23)) [سورة القيامة]، (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26)) [سورة يونس].

وَمَنْ نَعِيمُهُمْ كَذَلِكَ فِي الْجَنَّةِ خِيَامٌ مِنْ لَوْلُؤٍ، فَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخِيْمَةً مِنْ لَوْلُؤٍ وَاحِدَةً مَجْوُفَةً، طَوْلُهَا سِتُونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا)⁽⁷⁶⁾.

وَهُمْ فِي هَذَا النَّعِيمِ عَلَى الدَّوَامِ قَالَ تَعَالَى: (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَتَّكُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)) [سورة الأعراف].

73 رواه مسلم، كتاب الجنة، باب صفة الجنة 228

74 رواه مسلم، كتاب الجنة، باب إن في الجنة شجرة، 1429

75 رواه مسلم، كتاب الجنة، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة 1429.

76 رواه مسلم، كتاب الجنة، باب في صفة خيام الجنة 1233

وعن النبي ﷺ: "من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه".
وقال: "ينادي مناد: إنَّ لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإنَّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإنَّ لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً"،⁽⁷⁷⁾.
وأكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ فعن عبدالله بن مسعود- رضي الله عنه- قال:
كنا مع رسول الله ﷺ في قُبَّة فقال: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» قلنا: نعم.
قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قلنا: نعم. قال: «أترضون أن تكونوا
شطر أهل الجنة؟» قلنا: نعم. قال: «والذي نفس محمد بيده، إنني لأرجو أن تكونوا
نصف أهل الجنة؛ وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا
كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر»⁽⁷⁸⁾.
وفي حديث آخر قال ﷺ: "يقول الله يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في
يديك! قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسع مائة
وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها.. " فاشتد
ذلك عليهم، فقالوا: يارسول الله، أين ذلك الرجل؟ قال: "أبشروا، فإن من يأجوج
ومأجوج ألفاً، ومنكم رجل"، ثم قال: "والذي نفسي في يده، إنني لأطمع أن تكونوا
شطر أهل الجنة، إنَّ مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو
الرقمة في ذراع الحمار"⁽⁷⁹⁾.

قيام الليل:

قيام الليل كان من أول ما أمر به نبينا ﷺ حيث قال له سبحانه (يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ
(1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2)) [سورة المزمل].
وهنا بين له مقدار ما يقوم (نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ
الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (4)) [سورة المزمل].
أي أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك في
ذلك.⁽⁸⁰⁾

77 رواه مسلم، كتاب الجنة، باب في دوام نعيم أهل الجنة 1232

78 رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر 1163 حديث 132

79 رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب قوله عز وجل (إن زلزلة الساعة) 1164 حديث 133

80 تفسير ابن كثير 392

وقيام الليل من النوافل المطلقة، وهو سنة مؤكدة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة. وذكر الله من صفات المتقين، قيام الليل، وبين جزاؤهم، قال تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (15) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (16) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (17) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (18)) [سورة الذاريات].

وشهد لهم بالإيمان بآياته، قال تعالى: (إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا حَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (15) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)) [سورة السجدة].

ووصفهم بالعلم، ورفع مكانتهم على غيرهم، قال تعالى: (أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)) [سورة الزمر].

وفي آخر الليل ينزل الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ”ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟“ (81)

وهي أفضل الصلاة بعد الفريضة قال رسول الله ﷺ: ”...وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل“ (82).

والنبي ﷺ كان حريصاً على قيام الليل، عن عائشة رضي الله عنها ”إن نبي الله كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يارسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: ”أفلا أكون عبداً شكوراً“ (83)

وهناك أسباب عديدة تعين على قيام الليل منها: النية الصادقة والعزيمة، معرفة فضله، والحرص على النوم مبكراً، وعدم كثرة الأكل، وسلامة القلب وغيرها.

81 أخرجه البخاري كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل 200

82 أخرجه مسلم كتاب صلاة المسافرين باب الحث على صلاة وإن قلت 316

83 أخرجه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب قوله (ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر) 44/6

الفصل السادس

ما أعدّه الله للمؤمنين والمجرمين في الآخرة

(فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (19) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20) وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة]

المعنى العام:

يذكر الله في هذه الآيات ما أعدّه سبحانه وتعالى للمؤمنين من النعيم الذي تقر به أعينهم، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وعن النبي ﷺ أنه قال: "سأل موسى ربه عز وجل: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب؛ فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله، ومثله فقال في الخامسة: رضيت رضي ربي، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتتهت نفسك ولذت عينك؛ فيقول: رضيت رب، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت، غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر، قال: و مصداقه من كتاب الله عز وجل: (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17))»⁽⁸⁴⁾ [سورة السجدة]

ثم يخبر سبحانه عن عدله وكرمه أنه لا يساوي في حكمه يوم القيامة، من كان مؤمناً بآياته متبعاً لرسله، بمن كان فاسقاً أي خارجاً عن طاعة الله، مكذباً لرسل الله إليه ثم أخبر عن مقر الفريقين في الآخرة، فللمؤمنين جنات المأوى، وللفاسقين النار ثم بين بعد ذلك عظم جرم الفاسقين وظلمهم لأنفسهم حين ذكروهم الله بآياته وبينها لهم ووضحها فأعرضوا عن ذكره، واغتروا أكبر الغرور بأنفسهم، ولهذا قال تعالى متهدداً

84 رواه مسلم كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها 98.

لمن فعل ذلك: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة].

الإبداع البياني:

(أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)) [سورة السجدة]

فُرع بالفاء على ما تقدم من الآيات من الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين استفهام بالهمزة مستعمل في إنكار المساواة بين المؤمن والكافر، وهو إنكار بتنزيل السامع منزلة المتعجب عن البون بين جزاء الفريقين في ذلك اليوم فكان الإنكار موجهاً إلى ذلك التعجب في معنى الاستئناف البياني، والكاف للتشبيه في الجزاء.⁽⁸⁵⁾

(وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21))
[سورة السجدة]

قال ابن قيم: (قد احتج بهذه الآية جماعة منهم: عبد الله بن عباس على عذاب القبر، وفي الاحتجاج بها شيء، لأنّ هذا عذاب في الدنيا يستدعي به رجوعهم عن الكفر، ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه في القرآن ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر؛ فإنّه سبحانه أخبر: أنّ له فيه عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا؛ فدل على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقهم العذاب الأدنى فتأمله⁽⁸⁶⁾).

ويقول أبو هلال العسكري: (حقيقته لنعذبهم والاستعارة أبلغ، لأنّ حس الذائق أقوى لإدراك ما يذوقه، وللذوق فضل على غيره من الحواس، ألا ترى أن الإنسان إذا رأى شيئاً لم يعرفه شمّه، فإن عرفه، وإلا فذاقه لما يعلم أن للذوق فضلاً في تبين الأشياء)⁽⁸⁷⁾.

ولقد ورد فعل الذوق في القرآن (63) مرة معظمها في مجال الوعيد، ولم يذكر إلا في نطاق الاستعارة، أي لم يستخدم على وجه الحقيقة إلا في قوله: (فَذَلَّلَاهُمَا

85 التحرير 14/163

86 حادي الأرواح 223

87 كتاب الصناعتين/275 لأبي هلال العسكري

بِعُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (22)) [سورة الأعراف]، وفي الحديث عن آدم وزوجه، ولم يذكر الذوق في بسط جمال الجنة، والتلذذ بمباهجها وشرابها وطعامها، مما يدل على أنه خصص للكافرين والعاصين والجبابرة، وهو يدل على مرتبة بهيمية، شأن أهل النار الذي يُطعمون من العذاب لتُملاً البطون.

والذوق حاسة دنيا إلى جانب اللمس والشم من حواس الإنسان، أمّا الحواس العليا فهما السمع والبصر، إلا أن الكلمة تجسّم للبصر معاناتهم للعذاب، وحسية التذوق تبعث على التهويل، فكان حقيقاً بأن تُقرن بعذاب الآخرة، وفيها أقصى المباشرة في التلقي، وقد وردت أيضاً في تذوق الرحمة، كما وردت في تذوق الوبال والبأس والعذاب إذ تبعث في الذهن صورة النار تأكل الأحشاء بعد أن تصل إلى اللسان⁽⁸⁸⁾.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (20):

- 1- (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (20)) [سورة السجدة].
- 2- (كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (22)) [سورة الحج].

- إبدال بالزيادة والنقص، وكذا إبدال جملة بجملة (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ) (وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ):

بزيادة كلمة (عَمٌّ) في آية الحج (22) حيث وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم، صاروا بإحاطة ذلك بهم، وسد أنفاسهم عليهم بمنزلة البعير المغموم بالغمامة التي تُسدُّ مَنْفَسَهُ، فلا يجد فرجة، والآية التي في سورة السجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب بهم من ذُكْرِ الثياب من النار وصَبِّ الحميم وإذابة الشحوم.

فأخبر أنّ النار تشتمل عليهم من جوانبهم كاشتمال الثياب. وقيل: هي ثياب نحاس من نار، وهي النهاية في الإحماء والإحراق، ثم خصص الرؤوس بصب الماء المغلي عليها.

وقيل في التفسير: أنه ينفذ إلى جوانبهم فيقطع ما فيها، ويذوب ما في بطونهم من الشحوم ويتساقط ما عليهم من الجلود.. فلما وصفهم بأن العذاب من جميع الجوانب اكتنفهم وصف ما أحاط بهم، ذكر هذا الغم، أي كلما أرادوا من الكرب الذي يأخذ بكظمهم أن يخرجوا من النار التي جلبت عليهم كل ذلك أقبلت الزبانية نحوهم بما يدق رؤوسهم والآية التي في سورة السجدة لم تشتمل من إحاطة العذاب من ذكر الثياب من النار، وصب الحميم، وإذابة الشحوم على ما ذكر في هذه الآية، لأنه قال: (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (20))) [سورة السجدة].

فلما لم يتقدم ذكر ما يُطيف بهم ويغمهم ويصير كما يسد مخارج أنفاسهم لم يذكر أنهم يحاولون الخروج من أجل الغم الذي اقتضت الآية في الحج ذكره، ولم يقع مثله في سورة السجدة من مقتض، فلم يقع المقتضي كذلك⁽⁸⁹⁾.

تابع توجيهه المتشابه اللفظي في الآية (20):

- 1 - (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (20))) [سورة السجدة].
- 2 - (فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (42))) [سورة سبأ].
- 3 - (هُدِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكذَّبُونَ (14))) [سورة الطور].

- إبدال كلمة بكلمة:

(الذي) في سورة السجدة و(التي) في سورة سبأ وسورة الطور

في السجدة (الذي كنتم) و في سبأ: (التي كنتم)

لأن النار وقعت في هذه السورة موقع الكناية لتقدم ذكرها والكنايات لا توصف فوصف العذاب، وفي سبأ والطور لم يتقدم ذكر النار فحسن وصف النار⁽⁹⁰⁾.

- إبدال بالذكر والحذف:

89 درة التنزيل 561-562 الإسكافي

90 بصائر 1/375

عذاب النار) في السجدة وسبأ و(النار) في الطور

ذكر أنهم يكذبون بالنار ويعذبها وقد ورد العذاب مضافاً إليها في السورتين، والعذاب مذكر والنار مؤنث، وعودة الضمير إلى كل من المضافين تحصل المقصود على السواء. إلا أن آية السجدة اقترن بها ما يستدعي أن يناسب التذكير، وهو قوله تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21)) [سورة السجدة] فلما تفصل ذكر العذاب إعلماً بإلحاق ضريبة الأدنى والأكبر بمن جرى الوعيد لهم، والعذاب مذكر، وقد تكرر، فتأكد رعيه فناسب عودة الضمير قبله إلى العذاب المضاف إلى النار مذكراً ليجري ذلك كله مجرى واحداً ولما لم يكن يتلو آية سورة سبأ ولا قبلها ما يستدعي ذلك، أعيد الضمير إلى النار مؤنثاً، ليحصل في السورتين ورود الوجهين الجائزين كما تقدم مع التناسب⁽⁹¹⁾.

أما بالنسبة لسورة الطور (هُذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (14)) دون كلمة عذاب فعاد الضمير إلى النار فجاء مؤنثاً، والحديث في السجدة وسبأ حول العذاب فكان تكرار ذكره، بينما الحديث في الطور عن إنكار النار فحذفت كلمة العذاب. والله أعلم

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (22):

1 - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة].

2 - (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)) [سورة الكهف].

- إبدال حرف بحرف (ثم - ف) وإبدال جملة بجملة:

في الكهف (فَأَعْرَضَ عَنْهَا) بالفاء و في السجدة (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) و ثم ههنا تدل على أنه ذكر مرات ثم تأخر وأعرض عنها، والفاء تدل على الإعراض عقيب التذكير.

ففي الكهف: الحديث في هذه السورة عن الأحياء من الكفار (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (56)).

وَأَمَّا فِي السَّجْدَةِ: فعن الأموات من الكفار بدليل قوله (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12))

أي: ذكروا مرة بعد أخرى، وزماناً بعد زمان ثم أعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء إيمانهم⁽⁹²⁾.

وقال الإسكافي: (إن الفاء وثم مشتركان في أن ما بعدهما في اللفظ متأخر عما قبلها في المعنى، ومختلفان في أن (الفاء) قرُب ما بعدها مما قبلها، وفي (ثم) تراخ عنه وبُعد، فكان استعمال الفاء في سورة الكهف أولى، واستعمال ثم هناك أحق وأحرى، وذلك أن ما في سورة الكهف ذكر قوم يُستدعون إلى الإيمان ولم تختتم أعمالهم بالكفر لقوله تعالى: (وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا (56)) [سورة الكهف].

وليس كذلك قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة] في وصف الكفار بعد موافاتهم القيامة لقوله: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)) إلى قوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة] أي ذكر مدة عمره بآيات ربه، وتطاول الأمر بزجره ووعظه، ثم ختم ذلك بترك القبول بالإعراض، فكان هذا قولاً يقال فيهم عند الانتقام منهم كما حكى قولهم: (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)) [سورة السجدة]، فقد بان بما ذكرنا أن (ثم) هنا مكانها، والفاء هناك مكانها. والله أعلم⁽⁹³⁾.

- الخلاصة:

أن إبدال حرف ثم بالفاء وكذا جملة بجملة أخرى في سورتي السجدة والكهف يناسب السياق؛ فسياق سورة السجدة في بيان حال المجرمين الأموات فناسب الإتيان بثم المتراحية والتي فيها بُعد، وكذا بيان المأل وهو الانتقام بينما في الكهف سياقها في

92 أسرار التكرار للكرمانى 133

93 درة التنزيل 534

الأحياء فناسب الإتيان بالفاء المتراخية والتي فيها قرب، وكذا بيان سبب عدم اهتدائهم وهو عدم استجابتهم لك وذلك لحالهم وهو أكنة قلوبهم وعدم فقهها ووقر آذانهم وبالتالي عدم اهتدائهم في حياتهم.

بعض المباحث الموضوعية:

سبيل المؤمنين والمجرمين:

بيّن الله في كتابه: سبيل المؤمنين مفصلة، وسبيل المجرمين مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وعاقبة هؤلاء مفصلة، وأعمال هؤلاء، وأعمال هؤلاء، وأولياء هؤلاء، وأولياء هؤلاء، وخذلانه هؤلاء، وتوفيقه لهؤلاء، والأسباب التي وفق بها هؤلاء، والأسباب التي خذل بها هؤلاء.

فالعالمون بالله وكتابه ودينه؛ عرفوا: سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانتم لهم السبيلان، كما يستبين للسالك: الطريق الموصل إلى مقصوده، والطريق الموصل إلى الهلكة.⁽⁹⁴⁾

ذكر الله سعيدهم وشقيهم. وقسم سعيدهم إلى قسمين: سابقين، ومن سلك صراط الله المستقيم، سلك سبيل المؤمنين فعن النواس بن سمعان عن رسول الله ﷺ قال: ” ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيها أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس أدخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط فإذا أراد أحدكم فتح شيء من تلك الأبواب قال: ويلك لا تفتحه فإنك إن فتحتة تلجه، والصراط الإسلام، والسوران حدود الله تعالى، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم.⁽⁹⁵⁾

ولما كان الكفار في سجن الكفر والشرك وضيقه، وكانوا كلما هموا بالخروج منه إلى فضاء الإيمان وسعته وروحه رجعوا على حوافرهم، كان عقوبتهم في الآخرة كذلك، قال الله (وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (20)) [سورة السجدة]، فالكفر والمعاصي والفسوق كله غموم، وكلما عزم العبد أن يخرج منه أبت عليه نفسه

94 الفوائد 107

95 رواه أحمد 4/182، 183 وصححه الألباني في مشكاة المصابيح 67/1

وشيطانه ومألفه، فلا يزال في غم ذلك حتى يموت، فإن لم يخرج من غم ذلك في الدنيا بقي في غمه في البرزخ وفي القيامة، وإن خرج من غمه وضيقة هاهنا خرج منه هناك. فما حبس العبد عن الله في هذه الدار حبسه عنه بعد الموت، وكان معذباً به هناك كما كان قلبه معذباً به في الدنيا.

فليس الفجرة والظلمة في لذة في هذه الدار، وإنما هم يعذبون فيها، وفي البرزخ، وفي القيامة، ولكن سكرة الشهوة وموت القلب حال بينهم وبين الشعور بالألم. فإذا حيل بينهم وبين ما يشتهون أحضرت نفوسهم الألم الشديد وصار يعمل فيها بعد الموت نظير ما يعمل الدود في لحومهم، فالآلام تأكل أرواحهم غير أنها لا تفنى، والدود يأكل أجسامهم.⁽⁹⁶⁾

جزاء المعرض عن القرآن:

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)) [سورة طه]، المراد بالذكر هنا: القرآن في قول عامة المفسرين، وقد أخبر الله سبحانه أن من أعرض عن ذكره وهو الهدى الذي من اتبعه لا يضل ولا يشقى، فإن له معيشة ضنكاً، وتكفل لمن حفظ عهده أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره في الآخرة، فأخبر سبحانه عن فلاح من تمسك بعهده علماً وعملاً في العاجلة، بالحياة الطيبة، وفي الآخرة بأحسن الجزاء، وهذا بعكس من له المعيشة الضنك في الدنيا والبرزخ، ونسيانه في العذاب بالآخرة وقال سبحانه: (وَمَنْ يَعُشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (36)) [سورة الزخرف].

والله -سبحانه- أخبر أن من أعرض عن ذكره، فإن الله ينتقم منه ويحي حياة ضنك في الدنيا وفي البرزخ شدة وجهد وضيقة، وفي الآخرة ينسى في العذاب. وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم في الدنيا أطيب الحياة، ولهم في البرزخ وفي الآخرة أطيب الثواب.

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)) [سورة طه]، والإعراض عن الذكر يتناول إعراضه عن

الذكر الذي أنزله، وهو أن يذكر الذي أنزله في كتابه، وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه، وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه، ونعمه، فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى، أي: من أعرض عن كتاب الله، ولم يتلّه، ولم يتدبره، ولم يعمل به، ولا فهمه، فإن حياته ومعيشته، لا تكون إلا مضيقاً عليه منكدة معذباً فيها. (97) ومن أعرض عن الذكر، وعميت عنه بصيرته، أعمى الله بصره يوم القيامة، وتركه في العذاب كما ترك الذكر في الدنيا، فجازاه على عمى بصيرته عمى بصره في الآخرة، وعلى تركه ذكره تركه في العذاب، وقد صور القرآن الإعراض في آيات عديدة بوجوه مختلفة: منها ما ورد في سورة الإسراء (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا (46))، وفي سورة الأنعام (وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمًا تَنْبِيهًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (25))، وفي سورة الكهف (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (57)).

وهجر القرآن أنواع أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

الثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

الثالث: هجر تحكيمه، والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه.

الرابع: هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

الخامس: هجر الاستشفاء به، وإن كان بعض الهجر أهون من بعض. (98)

وهناك طوائف كثيرة أعرضت عن القرآن الكريم ومنها على سبيل الاختصار:

1- الرفضية: وذلك بادعائها أن القرآن ناقص ومحرف، وإن القرآن الكامل مع

الغائب الذي سيخرج في آخر الزمان من سرداب سامراء. (99)

2- البابية والبهائية: وذلك بادعائها نسخ القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية

97 الوابل الصيب 59

98 الفوائد 81

99 الشيعة والسنة لإحسان إلهي ظهير 78

بشريعة الباب والبهاء⁽¹⁰⁰⁾.

3- التيجانية: وذلك بتفضيلها أوراها وأذكارها - كصلاة الفاتح - على القرآن العظيم، فقد قالوا: إنَّ قراءة صلاة الفاتح مرة واحدة أفضل من قراءة القرآن ستة آلاف مرة.⁽¹⁰¹⁾

وفي العالم الإسلامي نشأت أحزاب ومؤسسات - لا دينية - أعرضت وتعمل على أن يُعرض المسلمون عن القرآن الكريم عقيدة وشريعة.⁽¹⁰²⁾

الفصل السابع

الإشارة إلى موسى عليه السلام

(وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)) [سورة السجدة]

المعنى العام:

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه آتاه الكتاب، وهو التوراة كما آتيناك الفرقان يا محمد (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ) فلا تكن في شك من لقائه.

سواء بمعنى لقاء موسى ربه، أو لقاء موسى ليلة الإسراء، أو لقاء الأذى كما لقي موسى، أو تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول، فلا تعارض بينها، فقد لقي نبينا ﷺ موسى عليه السلام ليلة الإسراء كما في البخاري ومسلم، وقد لقي موسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام الأذى وسيلقيان الله عز وجل. وقد تلقى موسى الكتاب بالرضى والقبول.

وفيما سبق تسليية وتثبيت لنبينا عليه الصلاة والسلام على الحق الذي جاء به،

100البابية عرض ونقد إحسان إلهي ظهر 104

101التيجانية، علي الدخيل 116-123

102الإيمان بالكتب، محمد الحمد، دار ابن خزيمة، ط 1414

وتقرير أنه الحق الثابت الذي جاء به موسى في كتابه، وفيه كذلك تثبيت له على ما يلقاه هو وصحبه من أذى وشدة، وأنهم إن صبروا وأيقنوا كان ذلك طريق النصر والإمامة والقيادة. كما كان من إنعام الله وتفضله على بني إسرائيل لما كانوا صابرين موقنين أن جعل منهم أئمة يهدون إلى الحق ويدعون إلى الخير، ثم لما بدلوا وحرفوا وأولوا، سلبوا ذلك المقام، وأمرهم إلى الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه من الاعتقادات والأعمال.

فهذه الآيات تسلية وتوجيه من خلال الإشارة إلى موسى عليه السلام وقومه.

الإبداع البياني:

لما جرى ذكر إعراض المشركين عن آيات الله وهي آيات القرآن في قوله (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (22)) [سورة السجدة]، استطردها إلى تسلية النبي بأن ما لقيه من قومه هو نظير ما لقيه موسى من قوم فرعون الذين أرسل إليهم، فالخبر مستعمل في التسلية بالتظهير والتمثيل.

فهذه الجملة وما بعدها إلى قوله (فِيَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) معترضات، وموقع التأكيد بلام القسم وحرف التحقيق هو ما استعمل فيه الخبر من التسلية لأصل الأخبار لأنه أمر لا يحتاج إلى التأكيد، و به يظهر جمال الاعتراض بتفريع (فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ) على الخبر الذي قبله.

وهو اعتراض بالفاء ومثله وارد كثيرا في الكلام كما تقدم عند قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (135)) [سورة النساء]، ويأتي هذا عند قوله تعالى (هُذَا فَلْيَدْعُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ (57)) [سورة ص]، والمرية: الشك والتردد. وحرف الظرفية مجاز في شدة الملابس؛ أي: لا يكن الشك محيطاً بك وتمكناً منك، أي لا تكن ممترياً في أنك مثله سينالك ما ناله من قومه⁽¹⁰³⁾.

توجيه لفظي في الآية (23) في كلمة (فلا تكن في مرية) :

1- (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي

إِسْرَائِيلَ (23)) [سورة السجدة].

2- (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)) [سورة هود].

3- (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَّجْدُودٍ (108) فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُوهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ (109)) [سورة هود].

فأتى بالنون في تكن في سورة السجدة، وقال تعالى في سورة هود (فَلَا تَكُ) وكان حق ذلك أن يذكر هناك بغير نون.

وهذه النون في قوله: (فَلَا تَكُنْ) لما أشبهت بسكونها حروف المد واللين ثم كثرت استجيز حذفها للسببين جميعاً؛ فإن تحركت خرجت عن شبهها، نحو: لم يكن الرجل منطلقاً، [ن] لا يجوز أن تقول: لم يك الرجل منطلقاً.

وأما إذا سكنت وتحرك ما بعدها فلك أن تأتي بها ولك أن تحذفها، كما كان في الموضوعين ثم إنه يختار فيها الحذف إذا تحرك ما بعدها متى تعلقت بالجمل الكثيرة، ويختار إثباتها إذا تعلقت بالقليلة، لأن الكثرة أحد سببي جواز حذفها، وهذه الكثرة أعني أنها في أم الأفعال التي هي (كان) ويعبر بها عن كل فعل، ألا ترى أنه لا يجوز: لم يه، ولم يعن زيد، في (لم يهْنُ) و (لم يعنَ) وكثرة الجمل هي التي تثقلها تعلقت بها من قبلها أو من بعدها.

فقوله في سورة هود: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)) [سورة هود].

جاء بعد أن تعلق بآيات ذوات جمل تقدمته وهي: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُّوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (17)) [سورة هود]، ألا ترى؟ فقد تقدمته جمل جاء عقيبتها متعلقاً بها

فثقل من أجلها فاختر تخفيفها بحذف نونها⁽¹⁰⁴⁾.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (25):

1 - (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25))
[سورة السجدة].

2 - (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (17)) [سورة الحج].

3 - (لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (3)) [سورة الممتحنة].

- إبدال كلمة بكلمة (ربك - الله):

آية السجدة: قوله تعالى: (إِنَّ رَبَّكَ) وفي هذا دلالة على مزيد العناية والرعاية الإلهية إذ السياق في تثبيت وتصبير النبي عليه الصلاة والسلام فناسب ذلك ذكر الربوبية .

آية الممتحنة: بذكر الضمير دون الاسم الظاهر لأن السياق القرآني في الآيات السابقة جميعها بهذا الأسلوب فناسب أن يأتي السياق هنا بالضمير .

آية الحج: قال تعالى (إِنَّ اللَّهَ) والسياق فيه ذكر لأصناف عديدة بالإضافة للمؤمنين من يهود ونصارى وصابئين ومجوس طوائف مختلفة قد ضلت في جانب توحيد الألوهية والعبودية فناسب ذلك ذكر الألوهية.

فإبدال كلمة بدل كلمة (ربك) (الله) بذكر الرب مضافاً إلى ضمير المخاطب، وقوله في آية الحج (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ) بذكر اسمه العلم ذلك والله أعلم أن كلمة (رب) وردت في سورة السجدة أكثر مما وردت في الحج مع أن سورة الحج أطول بكثير من سورة السجدة فقد وردت في السجدة عشر مرات ووردت في الحج ثلاث مرات فقط، وأن كلمة (الله) وردت في الحج أكثر مما في السجدة، فقد وردت في سورة الحج (76) ستاً وسبعين مرة ووردت في السجدة مرة واحدة مناسبة كل لفظة موضعها.

كما أن في آية الحج عموم أهل الأديان من المؤمنين واليهود والنصارى والصابئين

والمجوس والمشركين فذكر اسمه العلم (الله) ولم يقل (ربك) مضافاً إلى ضمير الخطاب لأنَّ أهل ملته من بينهم فذكر اسمه العلم غير مضاف إلى أحد من هؤلاء الأصناف لأنه ينبغي أن يكون القاضي متجرداً ليس له علاقة بأحد المتخاصمين أو المختلفين ولا ينتسب إليه، وأمَّا آية السجدة فليست في نحو ذلك وإنما هي في الفصل بين ملل أخرى ليس بينها ملة الإسلام فلا ضمير أن يكون الذي يفصل هو (ربه).⁽¹⁰⁵⁾

- بالذکر والحذف:

فقال في السجدة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ) بذكر (هو) وقال في الحج (إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ) من دون (هو) .

الضمير يفيد التوكيد والتخصيص و(هو) ضمير فصل لقصر الفصل عليه إيماء إلى أن ما يذكر في القرآن من بيان بعض ما اختلفوا فيه على أنبيائهم ليس مطموعاً منه أن يرتدعوا عن اختلافهم وإنما هو للتسجيل عليهم وقطع معذرتهم لأنهم لا يقبلون الحجة فلا يفصل بينهم إلا يوم القيامة. إذاً هي تفيد التوكيد والتخصيص لإسناد الجملة الفعلية إلى الضمير المتقدم وليس كذلك التعبير في آية الحج، وذلك أن سياق كل من الآيتين يوضح ذلك؛ حيث أنه لما ذكر الاختلاف في آية السجدة فقال (فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) جاء بضمير الفصل أو ضمير المبتدأ و كلاهما يفيد التوكيد والقصر، وذلك لأن الاختلاف ينبغي فيه الفصل، ولم يذكر الاختلاف في آية الحج وإنما ذكر الشهادة على كل شيء، فاقتضى توكيد الفعل وقصره في آية السجدة دون آية الحج.

- إبدال بالتقديم والتأخير:

التقديم لتأكيد الحصر (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فقد ينفع الولد والرحم في الدنيا أما في يوم القيامة فلا ينفع المرء إلا ما قدم.

بعض المباحث الموضوعية:

الصبر:

الصبر من أشق الأمور على النفس وهو ينقسم إلى قسمين من هذا الباب:
أحدهما: بحسب قوة الداعي إلى الفعل.
الثاني: بسهولته على العبد.

105 من أسرار البيان القرآني، فاضل السامرائي، دار الفكر، ط2، 2010م

فإذا اجتمع في الفعل هذان الأمران كان الصبر عنه أشق، وإن فقدنا - معاً - يعني قوة الداعي وسهولته سهل الصبر عنه، وإن وجد أحدهما وفقد الآخر سهل الصبر من وجه دون آخر، فمن لا داعي له إلى شرب الخمر وأكل الحشيشية وأنواع الفواحش، ولا هو سهل عليه، فصبره عنه من أيسر شيء وأسهله، ومن أشد داعيه إلى ذلك، وسهل عليه فعله، فصبره عنه أشق شيء عليه، ولهذا كان صبر الشباب عن الفاحشة، وصبر الغني عن تناول اللذات والشهوات، ومنزلتهم عند الله منزلة عظيمة، لا يصل إليها إلا من صبر مثل صبرهم، وكذلك من صبر على موت أولاده وأبويه وأقاربه وأصحابه ونحوهم، وهو مع ذلك صابر محتسب، يأمر أهله بالصبر، وينهاهم عن لطم الخدود وشق الجيوب، وعن كلام مالا يجوز شرعاً، هذا له من الثواب الجزيل، فالعبد إذا ذاق لذة المعصية، ثم تاب وصبر عنها، كانت توبته توبة صادقة.

والصبر المستمر مع القدرة من غير خوف على جاهه أو ماله أو عرضه، صبر عن المعاصي، ومواظبته على ما أمره الله تعالى به، صبر على الطاعات؛ فإذا فعل ذلك ابتغاء وجه الله تعالى، ثوابه أن يوفى أجره بغير حساب (لِ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)) [سورة الزمر].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة إن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه" (106)

ولذلك استحق هؤلاء السبعة أن يظلهم في ظله، لكمال صبرهم، ومشقته على نفوسهم، فصبر الملك على العدل مع قدرته على الظلم والانتقام من رعيته، وصبر الشاب على عبادة الله ومخالفة هواه، وصبر الرجل على ملازمة المسجد، وصبر المتصدق على إخفاء الصدقة مع قدرته على الرياء، وصبر المدعو إلى الفاحشة مع جمال الداعي، وصبر المتحابين في الله اجتماعهما وانفرادهما، وصبر الباكي من خشية الله على كتمان ذلك عن الناس، فهذه الأمور فيها مشقة على النفوس، فالصبر عليها، بتوفيق الله وفضله وإحسانه إلى عبده، صبر جميل عظيم. (107)

106 أخرجه مسلم كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة 415.

107 تسليمة أهل المصائب 190-192، محمد المنجي الحنبلي، دار الرشيد، تعليق محمد حسن الحمصي

أهل العلم:

جعل الله سبحانه أهل العلم أئمة يهدون بأمره، ويأتهم به من بعدهم فقال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يُهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24)) (سورة السجدة).

وقال في موضع آخر: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (74)) (سورة الفرقان)، أي: أئمة يقتدى بنا من بعدنا.

فأخبر سبحانه أن بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ وهي أرفع مراتب الصديقين. واليقين هو كمال العلم وغايته إذ بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين؛ فإن الداعي إلى الله تعالى لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه، وبصيرته به، وصبره على تنفيذ الدعوة إلى الله باحتمال مشاق الدعوة وكف النفسي عما يوهن عزمه ويضعف إرادته.⁽¹⁰⁸⁾

وبتكميل مرتبة العلم تحصل إمامة الدين، وهي ولاية آلتها والعلم يختص الله بها من يشاء من عباده. ومن المعلوم أن حاجة العباد إلى العلم ضرورية فوق حاجة الجسم إلى الغذاء، لأن الجسم يحتاج إلى الغذاء في اليوم مرة أو مرتين، وحاجة الإنسان إلى العلم بعدد الأنفاس، لأن كل نفس من أنفاسه فهو محتاج فيه إلى أن يكون مصاحباً لإيمان أو حكمة، فإن فارقه الإيمان أو الحكمة في نفس من أنفاسه فقد عطب وقرب هلاكه، وليس إلى حصول ذلك سبيل إلا بالعلم وقد ذكر الإمام أحمد هذا المعنى بعينه، فقال: الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب، لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين والعلم يحتاج إليه كل وقت.

كما أخبر سبحانه عن رفعة درجات أهل العلم والإيمان خاصة، فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)) (سورة المجادلة)

فوائد قصة موسى عليه السلام:

قد ذكر الله لموسى عليه السلام سيرة طويلة، وساق قصصه في مواضع من كتابه بأساليب متنوعة واختصار أو بسط يليق بذلك المقام.

108 مفتاح دار السعادة ، 1/50-81، أعلام الموقعين 4/135

وليس في قصص القرآن أعظم من قصة موسى - عليه السلام - لأنه عالج فرعون وجنوده، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وهو أعظم أنبياء بني إسرائيل، وشريعته وكتابه التوراة، وهو مرجع أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم، وأتباعه أكثر أتباع الأنبياء غير أمة محمد ﷺ وله من القوة العظيمة في إقامة دين الله والدعوة إليه والغيرة العظيمة ما ليس لغيره.

ومن الفوائد المستنبطة من قصة موسى عليه السلام:

- 1 - إِنَّ آيَاتِ اللَّهِ وَعَبْرَهُ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ إِنَّمَا يَعْتَبَرُ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ (تَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (3)) [سورة القصص].
- 2 - إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا هَيَأُ أَسْبَابَهُ وَأَتَى بِهِ شَيْئًا فَشَيْئًا بِالْتَدْرِيجِ لَا دَفْعَةً وَاحِدَةً.
- 3 - إِنَّ الْأُمَّةَ الْمُسْتَضْعَفَةَ، وَلَوْ بَلَغَتْ فِي الضَّعْفِ مَا بَلَغَتْ، لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَيْهَا الْكَسَلُ عَنِ السَّعْيِ فِي حَقُوقِهَا، وَلَا الْيَأْسُ مِنَ الْارْتِقَاءِ إِلَى أَعْلَى الْأُمُورِ، وَقَدْ نَصَرَ اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ رَغْمَ ضَعْفِهِمْ وَاسْتِعْبَادِ فِرْعَوْنَ.
- 4 - أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ تَثْبِيتَ اللَّهِ لَهُ عِنْدَ الْمَخَافِ، فَإِنَّهُ كَمَا يَزِدُّهُ بِهِ إِيمَانُهُ وَثَوَابُهُ، فَإِنَّهُ يَتِمَكَّنُ مِنَ الْقَوْلِ الصَّوَابِ، وَيَبْقَى رَأْيُهُ وَفِكْرُهُ ثَابِتًا، وَأَمَّا مَنْ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ هَذَا الثَّبَاتُ، فَإِنَّهُ لِقَلْقَلِهِ وَرُوعِهِ يَضِيعُ فِكْرُهُ وَيَذْهَلُ عَقْلُهُ.
- 5 - إِنَّ الْعَبْدَ وَإِنْ عَرَفَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدْرَ حَقٌّ، وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ نَافِذٌ لَابدٍ مِنْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَهْمِلُ فِعْلَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَنْفَعُ، فَإِنَّ الْأَسْبَابَ وَالسَّعْيَ فِيهَا مِنْ قَدْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَ أَمَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَنْ يَرُدَّهُ عَلَيْهَا، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا أَلْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ سَعَتَ بِالْأَسْبَابِ وَأَرْسَلَتْ أُخْتَهُ لِتَقْصِهِ وَتَعْمَلَ الْأَسْبَابَ.
- 6 - إِنَّ قَتْلَ الْكَافِرِ الَّذِي لَهُ عَهْدٌ بِعَقْدٍ لَا يَجُوزُ، فَإِنَّ مُوسَى نَدِمَ عَلَى قَتْلِهِ الْقَبْطِيِّ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ مِنْهُ.
- 7 - الرَّحْمَةُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى الْخَلْقِ، مِنْ عَرَفَهُ الْعَبْدَ وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ، مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ.
- 8 - الْحَيَاءُ وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْ دَأْبِ الصَّالِحِينَ.
- 9 - أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْعُقُوبَاتِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا فِي الشَّرِّ وَدَاعِيًا إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا فِي الْخَيْرِ هَادِيًا مُهْدِيًا، كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي

فرعون وملئه: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصُرُونَ (41) (سورة القصص)، وقال: (وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (73)) (سورة الأنبياء)

10 - في هذه القصة دلالة على رسالة محمد ﷺ إذ أخبر بهذه القصة وغيرها خبراً مفصلاً مطابقاً وتاصيلًا موافقاً، قصه قصاً صدق به المرسلين وأيد به الحق المبين. وهو لم يحضر في شيء من تلك المواضيع، ولا درس شيئاً عرف به أحوال هذه التفصيلات، (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (46)) [سورة القصص]، (وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرَبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (44)) [سورة القصص]، (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًّا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (45)) [سورة القصص]، وهذا نوع من أنواع براهين رسالته.

11 - إن الفصاحة والبيان مما يعين على التعليم وإقامة الدعوة (وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (27)) [سورة طه].

12 - إن ذكر العبد لربه هو الذي خلق له العبد وبه صلاحه وفلاحه (نَنبِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)) [سورة طه]، (اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيًّا فِي ذِكْرِي (42)) [سورة طه]، (كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (33) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (34)) [سورة طه].

13 - إن من كان في طاعة الله مستعيناً بالله، واثقاً بوعد الله، راجياً ثواب الله، فإن الله معه، ومن كان الله معه فلا خوف عليه، لقوله تعالى: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)) [سورة طه]، ثم علل بقوله: (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (46)) [سورة طه]،

14 - إن أسباب العذاب مختصرة في هذين الوصفين: (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (48)) [سورة طه]، أي كذب خبر الله وخبر رسله، وتولى عن طاعة الله وطاعة رسله، ونظيرها قوله: (لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16)) [سورة الليل].⁽¹⁰⁹⁾

109 تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن السعدي، 176-185، المكتبة العصرية، ط 1426

الفصل الثامن

الاعتبار بهلاك الأمم السابقة

(أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26) أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (27)) [سورة السجدة].

المعنى العام:

يقول تعالى: أو لم يهد لهؤلاء المكذبين بالرسول ما أهلك الله قبلهم من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل، ومخالفتهم إياهم فيما جاؤهم به من النهج القويم، فلم يبق منهم باقية، ولا عين ولا أثر، وهم يمشون في مساكن هؤلاء المكذبين، فلا يرون فيها أحداً ممن يسكنها ويعمرها، ذهبوا منها، وكأن لم يكونوا ساكنيها أو عامريها، أفلا تتعظ أنفسهم بذهاب أولئك القوم ودمارهم وما حل بهم بسبب تكذيبهم الرسل.

ثم بين تعالى لطفه بخلقه وإحسانه إليهم في إنزاله الماء وإرساله إلى الأرض المحتاجة إليه التي لا نبات فيها وهي مغبرة، فتنبت بإذن الله وفضله.

وهكذا يذكر القرآن جانب الحياة والنماء، بعد ذكر جانب الهلاك والدمار لإيقاظ النفوس، وتنبيه العقول، والاستفادة من أحداث التاريخ، وأسرار الحياة.

الإبداع البياني:

(أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)) [سورة السجدة].

بزيادة (من) و في طه (بالفاء) من غير (من) وفي السجدة بالواو وبعده من لأن الفاء للتعقيب والاتصال بالأول فطال الكلام فحسن حذف (من) والواو يدل على الاستئناف وإتيان (من) غير مستثقل.⁽¹¹⁰⁾

وفي تقديم الأنعام على أصحاب الأنعام دلالة على أنه ليس للناس شيء في تقدير الرزق الذي يسوقه الله إليهم وإلى أنعامهم .. وإنما هو من عند الله، وأن الأنعام والناس سواء في الاحتياج إلى الله، وأنهم إنما يرزقون كما ترزق الأنعام⁽¹¹¹⁾.

110 بصائر ذوي التمييز 1/316

111 التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم الخطيب 19-24/629-630.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (26):

1- (أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26)) [سورة السجدة].

2- (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِأُولِي النُّهْيِ (128)) [سورة طه].

- إبدال حرف بحرف (ف - و):

- في طه بالفاء من غير (من) وفي السجدة بالواو وبعده (من) لأن الفاء للتعقيب والاتصال بالأول فطال الكلام فحسن حذف (من) والواو يدل على الاستئناف وإثبات (من) غير مستثقل⁽¹¹²⁾.

إبدال بالحذف والإضافة (من)، وكذا إبدال جملة بجملة (أفلايسمعون) (لأولي النهي):

- آية طه جاءت بعد ذكر موسى وفرعون، والسامري وهلاكهم، وذكر آدم وحواء، فناسب (قبل) العامة لما تقدم من الزمان، وآية السجدة خالية من ذلك، فأتى ب(من) المقربة للزمان⁽¹¹³⁾.

- وقال الإسكافي: (لما كانت هذه الآية مفتتحة بقوله (أفلم) وتلك مفتتحة بقوله: (أولم) اختلفتا من هذه الجهة، فكان ما دخلته الفاء، لأنه يتعلق بما قبله نغلق الجواب بالمبتدأ، والجزاء بالشرط، فتكون جملة تامها بجملة قبلها تثقل فيختار لها التخفيف. وما دخلته الواو لا يقتضي ما تقتضيه الفاء بنفسها، بل حقه الانقطاع عما قبله، ولذلك يجوز أن يكون المؤخر بعدها في اللفظ مقدماً في المعنى.

وأما دخول (من) وحذفها فقد بيناه وهو أن القائل إذا قال (كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) فكأنه قال: في الزمن المتقدم على زمانهم، وإذا قال (مِنْ قَبْلِهِمْ) فكأنه قال: من مبتدأ الزمان الذي قبل زمانهم، والزمان من أوله إلى آخره ظرف للإهلاك، لا يختص به بعضه دون بعض.

112 أسرار التكرار، الكرمانى، 140، بصائر 1/316

113 كشف المعاني 300- بدر الدين بن جماعة

وقد تقدم آية طه قوله تعالى: (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126))) ومعناه: فتركت الاهتداء بها ثم قرره على نضبه لهدايتهم، واحتج عليهم بتركهم الاهتداء به، فقال: (أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ) والتقدير: من تآته آياتنا فعليه الاهتداء بها، وأنتم أتتكم آياتنا فلم توفوها حقها، فهلا فعلتم ما ألزمناكم منها؟ فالذي أوجب الفاء في هذا المكان هذا المعنى، ولم يكن مثله في سورة السجدة من تعلق ما بعد (أَوْلَمْ) بما قبله تعلق هذه الآية بما تقدمه، لأن هناك: (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (23) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (24) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (25) أَوْلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (26))) [سورة السجدة].

فلما أنفصل جاء بالواو، ولما جاء بالواو ولم يكن من شرطها تركيب جملة مع جملة تكونان كلاماً واحداً فحفّ، وأدخلت عليه (من) التي حذفنا من الآية الأولى ليُحدّد ابتداء الزمان فيكون أبلغ في الاستيعاب⁽¹¹⁴⁾.

بعض المباحث الموضوعية:

إهلاك الأمم بسبب المعاصي:

لا شك أن جميع الأضرار في الدنيا والآخرة تحصل بسبب المعاصي. فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة، والنعيم، والبهجة والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء، وطرد ولعن؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلهم حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟

وما الذي سلط الريح على قوم عاد حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاوية، ودمرت ما مرت عليه من ديارهم، حتى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟

وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قطعت قلوبهم، وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي قلب قري اللوطية فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم حجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمة غيرهم؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظل، فلما صار فوق رؤوسهم أمطر عليهم ناراً تلتظي؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر؟

وما الذي خسف بقارون، وداره وماله، وأهله؟

وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟⁽¹¹⁵⁾

ضرب الأمثال:

ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور: التذكير والوعظ، والحث والزجر، والاعتبار والتقدير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبه للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس، وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر.⁽¹¹⁶⁾

الاعتبار بعقوبات الله للمكذبين:

أخبر الله في كتابه عقوباته للمكذبين، وأنه جعلها عبرة لمن خاف الآخرة، وأما من لا يؤمن بها ولا يخاف عذاب الآخرة، فلا يكون ذلك عبرة في حقه، وإذا سمع ذلك قال: لم يزل في الدهر الخير والشر، والنعيم والبؤس، والسعادة والشقاوة، وربما أحال ذلك على أسباب فلكية أو قوى إنسانية. وإنما كان الصبر والشكر سبباً لانتفاع صاحبهما بالآيات فعلى حسب صبر العبد وشكره تكون قوة إيمانه، وآيات الله إنما ينتفع بها من آمن بالله وآياته.⁽¹¹⁷⁾

115 الجواب الكافي 84-86، لمن سأل عن الدواء الشافي ط1 1407هـ، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان

116 بدائع الفوائد 4/9

117 الفوائد 130

الفصل التاسع

يوم الفتح

(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (28) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (29) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ (30)) [سورة السجدة].

المعنى العام:

أي يستعجل المجرمون بالعذاب الذي وعدوا به، استبعاداً وتكذيباً وعناداً. ويقولون: متى تنتصر علينا يا محمد كما تزعم؟ ومتى يأتي الوقت الذي ينتقم الله لك منا؟ فمتى يكون هذا؟

فيخبر سبحانه أن ذلك اليوم هو يوم الفتح: أي إذا حل بهم بأس الله وسخطه وغضبه لا ينفع أولئك إيمانهم.

ثم يختم الله السورة بأمره سبحانه لنبيه بالإعراض عن هؤلاء المشركين، والانتظار وهم منتظرون، والنصر والتأييد على من خالفه، وحين يأتي يوم الفتح والحكم يحل بهم عذابه سبحانه ولا ينفعهم إيمان ولا رجوع.

الإبداع البياني:

(قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (29)) [سورة السجدة]، العدول عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبية على أنه ليس مما ينبغي أن يسأل عنه لكونه أمراً غنياً عن الإخبار به، ومناسبة الجواب لسؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فإنهم لما أرادوا به الاستعجال أجيبوا بما بمنع الاستعجال.⁽¹¹⁸⁾ قال الزمخشري: (فإن قلت: قد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً على سؤالهم؟ قلت: كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء، فأجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم؛ فقليل لهم؛ لا تستعجلوا به ولا تستهزؤا، فكأنني بكم وقد حصلت في ذلك اليوم وأنتم فلم ينفعكم الإيمان واستنظرتهم في إدراك العذاب فلم تنتظروا)⁽¹¹⁹⁾.

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (29):

1 - (قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (29)) [سورة السجدة].

118 الفتوحات الألهية الجمل 420/3، دار الفكر

119 الكشاف 846

2 - (وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (85)))
[سورة النحل].

3 - (بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (40)))
[سورة الأنبياء].

4 - (وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ (8)))
[سورة الأنعام].

- آية السجدة: تفيد عدم نفع إيمان الكفرة والمشركين ورجوعهم في الآخرة، وتبين كيفية وصورة وقوع ذلك اليوم على الكفار، فهو يوم بلاء عليهم حين يقفون بين يدي الله للحساب فلا يقبل منهم إيمان في هذا اليوم.

- آية سورة النحل: ففيها بيان لسرعة وقوع العذاب عليهم وعظيم شدته، فالسياق في ذكر شأن المشركين يوم المعاد.

- آية الأنعام: ففيها إخبار عن أحد صور المكابرة من المشركين، وطلبهم لإنزال ملك من السماء للاستجابة، فقال تعالى لو أنزلنا ملكا فكذبوا به لقضي الأمر بعدايبهم ولم ينظروا حسبما سلف في كل أمة، اقترحت بآية وكذبت بعد أن أظهرت إليها، وقد سبق الإنظار ب (ثم) المفيدة التراخي التأخير فالأمر هنا لم يحصل .

- آية الأنبياء: إخبار عن استعجال المشركين بوقوع العذاب بهم تكذيباً وجحوداً وكفراً، فجاء الجواب مناسباً للسياق القرآني، فذكر (بَغْتَةً) فجاءة (فَتَبْهَتُهُمْ) تذرهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا) ليس لهم حيلة في ذلك (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) لا يؤخر عنهم ذلك ساعة.

- إبدال حرف بحرف (الواو - ثم):

ففي السجدة والنحل والأنبياء عطف بالواو وفي الأنعام عطف بثم، ومن المعلوم أن ثم تفيد التشريك والترتيب والمهلة وأما الواو فتفيد مطلق الجمع.⁽¹²⁰⁾

توجيه المتشابه اللفظي في الآية (30):

1 - (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ (30))) [سورة السجدة].

120 مغني اللبيب عن كتب الأعراب، يوسف بن هشام، 1/117، 2/354، المكتبة العصرية، ط1416هـ

- 2 - (وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (122))) [سورة هود].
- 3 - (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا حَئِيرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (158))) [سورة الأنعام].
- 4 - (قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصْبٌ أُنْتَجِدُ لُونِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (71))) [سورة الأعراف].
- 5 - (وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (20))) [سورة يونس].
- 6 - (فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (102))) [سورة يونس].

- إبدال بالجمع والإفراد، وإبدال بالحذف والذكر (قل)، وكذا إبدال جملة بجملة:

- آية السجدة: المعنى: انتظر هلاكهم فإنهم ينتظرون هلاكك، انتظر النصر من الله فإنهم ينتظرون النصر من آلهتهم، انتظر عذابهم بنفسك فإنهم ينتظرونه بلفظ استهزاء كما قالوا (فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا ⁽¹²¹⁾) فالسياق في الحديث عن انتظار النبي وانتظار المشركين لذا جاء بلفظ الإفراد.

- آية هود: بعد إخبار الله عن أنباء الرسل المتقدمين من قبل رسولنا مع أممهم، وكيف جرى لهم من الخصومات، وما احتمله الأنبياء من التكذيب والأذى، وكيف نصر الله حزبه، فيقول الله أمراً رسوله ﷺ أن يقول للذين لا يؤمنون بما جاء به رسوله ﷺ على وجه التهديد (وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (121))) [سورة هود]، وقد أنجز الله وعده لنبيه ﷺ ونصره وأيده وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى.

- آية الأنعام: تهديد شديد للكافرين ووعد أكيد لمن سوف بإيمانه وتوبته إلى وقت لا ينفعه ذلك، وإنما كان هذا الحكم عند طلوع الشمس من مغربها لاقتراب الساعة وظهور أشراطها، وذلك كائن يوم القيامة.

- آية الأعراف: هذا تهديد من النبي هود عليه السلام لقومه، والأسلوب هنا أسلوب تحدي فناسب أن يكون الجواب مباشرة بدون تقديم كلمة (قل)، والعقوبة قد وجبت عليهم .

- آية يونس (20): السياق فيه حديث عن طلب الكفرة المكذبين آيات يشاهدونها حتى يؤمنوا، والله أعلم بالغيب وهو يعلم عاقبة الأمور، فيرد عليهم النبي ﷺ بانتظار حكم الله فيه وفيهم (فَقُلْ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ)، وكذا السياق سياق تحدي فذكر (قل).

- آية يونس (102): استفهام بمعنى التوقيف، وهو وعيد وحض على الإيمان، أي: إذا لجوا في الكفر حل بهم العذاب، وإذا آمنوا نجوا، هذه سنة الله في الأمم الخالية، فهل عند هؤلاء غير هذا؟ ثم قال (قُلْ فَانْتَظِرُوا) مهادنة ما، وهي من جملة ما نسخه القتال⁽¹²²⁾، والسياق كذلك تحدي.

المباحث الموضوعية:

عوامل النصر والعزة:

لقد وعد الله عباده المؤمنين بالنصرة والتمكين.

(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) ((سورة غافر)، (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنُدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)) [سورة الصافات].

من أهم عوامل النصر والعزة:

1 - التجرد الكامل لله تعالى.

لكي تتحقق النصر لا بد من التجرد الكامل لله وعدم تعلق النفوس بمغرم مالي أو بجاه أو منصب، بل لا بد أن يكون مراد النفس هو إعلاء كلمة الله سبحانه وفي الحديث أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغرم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله؟ قال: ” من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ”⁽¹²³⁾

122 المحرر الوجيز 928.

123 أخرجه البخاري كتاب الجهاد، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا 6/27 الفتح

ولا بد أن يصدق اللجوء إلى الله تعالى ويكون رجاؤه به سبحانه. ومما ينبغي أن يعلم أنّ من رجا شيئاً استلزم رجاؤه أموراً: أحدها: محبة ما يرجوه، الثاني: خوفه من فوته، الثالث: سعيه في تحصيله بحسب إمكانه.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأمانى، والرجاء شيء والأمانى شيء آخر.⁽¹²⁴⁾

2 - قوة الصلة بالله.

قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38) أَدْنَى لِلَّذِينَ يُفَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (41)) [سورة الحج].

3- التوكل على الله حق التوكل.

قال تعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا عَنَّا وَإِنَّكُمْ لَمُؤْمِنِينَ (175)) [سورة آل عمران]

ولا بد من أخذ الأسباب وهو لا ينافي التوكل بل التوكل الحقيقي هو الذي يكون بأخذ الأسباب.

5 - الاعتقاد الراسخ أن العزة بيد الله.

(بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيَّتُهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139)) [سورة النساء]

6 - فعل الطاعات واجتناب السيئات.

(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبُورٌ (10)) [سورة فاطر]

124 شرح العقيدة الطحاوية 2/449-450، تحقيق عبدالله التركي، شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة 1418

الخاتمة

- 1 - إنَّ في بيان المتشابه اللفظي للآيات دلالة لإعجاز كلام الله رب العالمين.
- 2 - السورة اشتملت على تقرير العقيدة وأنواع التوحيد.
- 3 - السورة اشتملت على الكثير من الآداب والأخلاق والسلوكيات.
- 4 - بيان جوانب عديدة من الإبداع البياني في الآيات.
- 5 - بيان أنَّ كل حرف وكل كلمة أو جملة لها دلالتها العظيمة على إعجاز القرآن، وليس ثمة حرف لا دلالة له .
- 6 - السياق القرآني له أثر ودلالة بالغة في توجيه المتشابه اللفظي للآيات.
- 7 - السورة تكرر فيها التحدي للكفرة والملاحدة من عدة وجوه وصور.
- 8 - السورة اشتملت على الكثير من المباحث الموضوعية رغم أنها ثلاثون آية فقط.
- 9 - تسليية النبي عليه الصلاة والسلام .
- 10 - أهمية الدراسة التطبيقية للسياق القرآني وأثره في توجيه المتشابه اللفظي واهتمام العلماء بهذا العلم.
- 11 - إنَّ إدراك هذا التشابه وتوجيهه يحتاج إلى تدبر وتأمّل وتفكر في معاني القرآن الكريم.

وهذه جملة من خطراتي في هذه السورة:

- { أَلَلَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّنْ دُونِهِ مِن وَّلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ } [سورة السجدة: ٤]، بعد ذكره للقرآن في بداية سورة السجدة، وقد قال القرطبي: (عرفهم كمال قدرته لسمعوا القرآن، ويتأملوه) فعلى المرء أن يدفعه شعوره بعظمة الله، وتأمّله في خلقه إلى رجوعه لكتاب ربه وتأمّله.

{ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صُلْحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [سورة السجدة : ١٢].

- ورفعوا رؤوسهم استكبارًا في الدنيا؛ فكان جزاؤهم تنكيس الرؤوس في الآخرة.
{ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينُكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [سورة السجدة : ١٤]

- الجزاء من جنس العمل؛ فلا تنس!

{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } [سورة السجدة: 15]

- الذكرى بالآيات إنما تكون بما وقر في القلب، وما نطق به اللسان، وما عملته بالجوارح.
{ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ }
[سورة السجدة: ١٦]

- ليل جفاة الجنوب عن المضاجع دعاءً، وخوفاً، وطمعاً، وصدقة ليس كليالي غيرهم.
- اختر طريقك:

{ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ } [سورة السجدة: ١٨].

- الموازين لو علمناها كما علمنا الله؛ لعرفنا كيف نضع الموازين ونختار .

{ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ } [سورة السجدة: ١٨] { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ } [سورة الجاثية: 21] { وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمَسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ } [سورة غافر: 58]

- تأمل!

هذا التهديد بانتقامه، من مجرم ظالم أعرض عن ذكره؛ فكيف بمن حاربه، وحارب أوليائه!

- اللهم انتقم من المجرمين -

{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ }
[سورة السجدة: ٢٢].

صور عطف الجمل في سورة الإسراء

د. دفع الله حمد الله حسين محمد¹

مقدّمة:

إنّ خير العلوم وأشرفها تلك العلوم المتّصلة بالقرآن الكريم ﴿كَتَبُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، وخير وعاء حمل كلمات القرآن اللّغة العربيّة التي نزل بها القرآن، وحملها سيّد المرسلين الذي قال فيه ربّه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾. وأضحّت هذه اللّغة -بفضل القرآن- خالدة باقية محفوظة بحفظه، شارحة لمقاصد الشّارع الحكيم في كلّ زمان ومكان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما عليها.

أسباب اختيار عنوان البحث وأهميّته:

وقع اختياري على سورة الإسراء، وجاء عنوان البحث موسوماً بـ «صور عطف الجمل في سورة الإسراء» ولهذا الاختيار أسباب كثيرة أذكر منها ما يلي:

- (1) اهتمام السّورة بالإطار العام للعقيدة، وبعض الآداب الاجتماعيّة القائمة على أصول هذه العقيدة.
- (2) اهتمّت السّورة بتخليد المعجزة الرّبانيّة (الإسراء والمعراج) التي أكرم بها الله تعالى سيّدنا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم، دون سائر الأنبياء.
- (3) اهتمام السّورة بالآيات الكونيّة، التي تدلّ على عظمة الخالق -جلّ وعلا- ووحدانيّته، وترتبط بسعي النّاس في الحياة، وفق ناموس ثابت، ونظام لا يتبدّل، وسنن لا تتحوّل.
- (4) اهتمام السّورة بالحديث عن ضلالات المشركين الذين نسبوا إلى الله الصّاحبة والولد، وأثاروا الجدل حول قضيّة البعث والنّشور، فجاء الرّد من آيات السّور بالحجّة والبرهان.

1 أستاذ النحو والصرف واللغة المشارك، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلاميّة

2 سورة فصلت، الآية (3).

3 سورة الأنبياء، الآية (107).

(5) حديث السّورة عن القرآن العظيم، معجزة النّبي صلّى الله عليه وسلّم الخالدة، وعرضت صور استنكاف المشركين عن الإيمان به، وطلبهم من النّبي الكريم خوارق حسّية ومعجزات ماديّة غير القرآن حتّى يؤمنوا به صلّى الله عليه وسلّم.

أهداف البحث:

- (1) جمع صور العطف في سورة الإسراء وقراءتها وفق القاعدة النحويّة.
- (2) عرض المصطلحات التي ترد في السّياق النحويّ من خلال طرائق العطف في أي السّورة الكريمة.
- (3) تعزيز القاعدة النحوية، من خلال معطيات النّحو القرآنيّ، بما قال به علماء اللّغة والتّفسير اللّغوي البياني.
- (4) عقد مقارنة ومقارنة بين أدوات العطف من حيث دلالتها من خلال الأمثلة التي يستخرجها الباحث من آيات السّورة.
- (5) تقديم مخططات إيضاحيّة لأنماط جمل العطف وصورها في سورة الإسراء.

منهج البحث:

هو المنهج الوصفي، من خلال تتبّع النّص القرآني للسّورة، وتحليله إلى صور حاوية لجمل العطف وأدواته.

مصطلحات البحث:

- (1) صور: منها المصوّر: وهو الذي صوّر جميع الموجودات وربّتها فأعطى كلّ شيء منها صورة خاصّة وهيئة مفردة، وصورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وتصوّرت الشّيء: توهمت صورته فتصوّر لي والتّصاوير: التّمائيل. والصّورة ترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشّيء هيئته، وعلى معنى صفته⁽⁴⁾.
- (2) عطف: هو من العطف، هو قسم من التّوابع، ونعني به عطف النّسق، وهو تابع يتوسّط بينه وبين متبوعة حرف من أحرف العطف⁽⁵⁾.

4 لسان العرب، ابن منظور، طبعة جديدة محقّقة، دار صادر، بيروت 8/303، 304، مادة (صور).

5 جامع الدروس العربيّة، الشّيخ مصطفى الغلاييني 3/244.

- (3) الجمل: منها الجُملة واحدة الجُمَل. والجُملة: جماعة الشيء. وأجمل الشيء جمعه عن تفرقة، وأجمل له الحساب كذلك، والجُملة: جماعة كل شيء بكماله من الحساب وغيره. قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ﴾⁽⁶⁾، وقد أجملت الحساب إذا رددته إلى الجملة⁽⁷⁾.
- (4) سورة: من السُّورة، المنزلة، والسُّورة من البناء: ما حَسُنَ وطال، وقيل هي: كلُّ منزلة من البناء، ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى، والجمع سُورٌ بفتح الواو. وسُميت السورة من القرآن؛ لأنها درجة إلى غيرها⁽⁸⁾.
- (5) الإسراء: هي السُّورة السَّابعة عشرة من مبتدأ القرآن الكريم، وتسمّى سورة سبحان، وسورة بني إسرائيل⁽⁹⁾، وهي مكّية النُّزول، على قول ابن عباس رضي الله عنهما، «نزلت سورة بني إسرائيل بمكّة»⁽¹⁰⁾. ومن المفسرين من أشار إلى ثلاث آيات منها بأنها مدنيّة⁽¹¹⁾. والإسراء: فيه إشارة إلى مسرى النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة إلى المسجد الأقصى.

مصادر البحث واستمداده:

استقى هذا البحث مادّته من مصادر ومراجع عديدة، يأتي، على رأسها، القرآن الكريم، وكتب التفسير ذات الطابع اللغوي البياني مثل تفسير الطبري، وابن كثير، وروح المعاني للألوسي، والتحرير والتنوير لابن عاشور، وفتح القدير للشوكاني، ومن كتب اللغة والنحو: الكتاب لسيبويه، والمقضب للمبرّد، والإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري، ومغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام، وهمع الهوامع للسيوطي، ودلائل الإعجاز للجرجاني، والرّد على النحاة لابن مضاء، وشرح ابن عقيل، ومن كتب المعاجم والتراجم، لسان العرب، لابن منظور، وبغية الوعاة للسيوطي، ومعجم الأدوات في القرآن الكريم لراجي الأسمر، وغير ذلك.

6 سورة الفرقان، الآية (32).

7 لسان العرب، لابن منظور، مادة (جمل) 203/3.

8 المصدر نفسه 299/7، مادة (سور).

9 روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين السيّد محمود الألوسي، ط4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1985م 2/15.

10 فتح القدير، محمّد علي بن محمّد الشوكاني، بيروت، دار الفكر، 1983م 205/3.

11 فتح القدير 205/3.

هيكل البحث:

يحتوي هيكل البحث على أساسيات البحث من مقدّمة، وأسباب اختيار عنوان البحث وأهميّته، وأهداف البحث، ومنهجه، ومصطلحاته، ومصادر البحث واستمداده، وتمهيد حول النّحو القرآني وسورة الإسراء، بالإضافة إلى ثلاثة مباحث وخاتمة على النّحو التّالي:

- المبحث الأوّل: تعريف العطف وأدواته وعطف الجمل.
- المبحث الثّاني: عطف الجملة الخبريّة على الجملة الخبريّة.
- المبحث الثّالث: عطف الجملة الطليبيّة على الجملة الطليبيّة.
- الخاتمة.
- نتائج البحث.
- توصيات البحث.

أضواء حول النّحو القرآنيّ وسورة الإسراء

(أ) أضواء حول النّحو القرآني:

تجيب هذه الدّراسة في ضوء العلاقة القائمة بين اللّغة والقرآن الكريم، وهي علاقة قديمة بدأت منذ أوائل نزول آي القرآن الكريم، التّفكّر في معانيه، والتّدبّر في آياته. وكان هذا التّفاعل والانفعال بالقرآن الكريم المنطلق الحقيقيّ لنشأة علم النّحو وبناء صرحه. وكانت مسألة تعارض القاعدة النّحويّة مع النّصّ القرآنيّ قد شغلت بالباحثين، وهي تجيء كذلك في ظلّ الدّعوات الدّاعية إلى تيسير النّحو العربيّ التي أصبحت ضرورة ومطلباً ملحاً بوجوب تصحيح منهج النّحو العربيّ، وإعادة مساره إلى ما كان عليه، وإعادة صلة النّحو بالقرآن المتمتّلة بإعادة المعاني إلى النّحو في ضوء المنهج الذي رسمه القدماء⁽¹²⁾.

وتمضي هذه الدّراسة تأسيساً على هذا المنطلق تحت عنوان: (صور عطف الجمل في سورة الإسراء) مستفيدة من الجهود التي تتابعت وأخذت بمعطيات النّحو القرآني التي كوّنت اتجاهاً مميّزاً في الدّرس النّحويّ، يُعنى بالمعاني والأساليب والنّظم.

12 ينظر النّحو القرآنيّ في ضوء لسانيّات النّصّ، تأليف د. هناء محمود إسماعيل، تقديم أ. د. كريم حسين ناصح الخالدي، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت- لبنان، 2012م، ص 9.

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ أساس الدّعوة إلى النّحو القرآني تقوم على إعادة صلة النّحو بمعاني الكلام، وهي تلك «الصّلة الوثيقة والشّيجة بين النّحو والقرآن الكريم التي تقطّعت أوصالها منذ أن انحرف النّحو عن قصده وغايته الأولى، وابتعد النّحاة عن معاني القرآن الكريم وأساليبه وتراكيبه البليغة. وأضحى النّحاة يلجأون إلى موارد أخرى يستقون منها قواعدهم وشواهدهم هي كلام العرب والشّعر العربيّ. وتنبني هذه الدّعوة على أساس فهم المعنى السّليم والدقيق لوظيفة النّحو بأنّه وسيلة التّعبير عن المعاني والأفكار والمشاعر»⁽¹³⁾.

لذا تطلّ الصّلة وشيجة بين الإعراب والمعنى وحقيقة نظم الكلام، وتركيب أجزائه وتعلّقها ببعض، وما الحال التي كان عليها الدّرس النّحوي من فصل بين نحو الإعراب ونحو المعنى إلّا «إمعاناً في تقطيع أوصال علم العربيّة، وفصل أعضائه، وأجزائه الحيويّة بعضها عن بعض، بحيث لم تكد الصّلة تنعقد بين أحكام التّركيب وآثارها في أواخر الكلم، بحيث أغفل جانب خطير من جوانب التّعبير وأشكاله وما يؤدّي المعنى في أساسه وجوهره»⁽¹⁴⁾.

إنّ هذا البحث لا يحتمل أن نطيل في تمهيده هكذا، إلّا أنّ الأخذ بأطراف الحديث عن نشأة النّحو القرآنيّ، تحتمّ علينا ألا نغادر محطتين دون الإشارة إليهما، المحطّة الأولى: يمثلها ذلك الصّوت الذي انبعث من الأندلس، في أواخر القرن السّادس الهجريّ، الذي ثار على النّحو العربيّ وأصوله وقواعده، وهو ابن مضاء القرطبي في كتاب (الرّد على النّحاة). فهو أوّل الدّعوات الصّريحة الدّاعية إلى النّحو القرآنيّ. ومن المسائل التي دعا إليها في كتابه⁽¹⁵⁾:

(1) إلغاء نظريّة العامل.

(2) إلغاء الأقيسة والتّمارين غير العمليّة.

(3) إلغاء العلل الثّواني والثّوالت.

13 نحو المعاني، د. أحمد عبد الستار الجوّاري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1407هـ/ 1997م، ص21، وانظر: أصول النّحو العربيّ في نظر النّحاة ورأي ابن مضاء في ضوء علم اللّغة الحديث، د. محمّد عيد، دار نشر الثقافة، مصر، د. ت، ص 265-268.

14 نحو المعاني، د. أحمد الجوّاري، ص21.

15 انظر: كتاب الرّد على النّحاة، ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د. شوقي ضيف، وأصول النّحو العربيّ في نظر ابن مضاء في ضوء علم اللّغة الحديث، د. محمد عيد، دار نشر الثقافة، مصر، د. ت، ص272.

أما المحطة الثانية؛ فرائدها ابن هشام الأنصاري، إذ إن مفهوم (نحو النَّصِّ القرآني) قد تبلور عنده في القرن السابع الهجري من خلال مؤلفاته الكثيرة⁽¹⁶⁾. إن ابن هشام من علماء ذلك القرن الذي نضج عندهم التفكير النحوي القرآني النصي؛ ووقفة عجلي على مؤلفه (مغني اللبيب عن كتب الأعراب) نرى منها أنه قد جعل من النحو فناً يقوم على الدقة والبحث والمناقشة والاستنباط⁽¹⁷⁾. وقد اتضحت صورة النحو القرآني باصطلاحه الدال على (الكليّة والشموليّة) في البحث النحوي، وهو أساس قوي ومتين بُني عليه التفكير النحوي القرآني.

وقد حرص ابن هشام على تدريب المبتدئين على ملكة الإعراب، وجعل من معاني الإعراب وسيلة لفهم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم⁽¹⁸⁾، قال: «فإن أولى ما تقترحه القرائح وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنى حديث نبيه المرسل صلى الله عليه وسلم فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية والذريعة إلى تحصيل المصالح الدنيّة والدنيويّة، وأصل ذلك علم الإعراب»⁽¹⁹⁾. هذا، وتتضح مظاهر النحو القرآني - عند ابن هشام - فيما يلي:

- (1) تقديمه الشاهد القرآني، وعده المصدر الأول من شواهد النحو، فهو «أول نحويّ تعرض للكثير من الآيات القرآنيّة وجعلها محور إعراب وميدان تدريب»⁽²⁰⁾.
- (2) اعتماده أساس (المعنى القرآني) في تحليله دلالات المفردات، وبحثه الجملة بأنواعها، واستنباط القواعد النحويّة القرآنيّة في ضوء أساليب القرآن البليغة.
- (3) حرية الفكر الشموليّ في تحليل النصّ القرآني، فجاءت دراسة ابن هشام دراسة شموليّة متكاملة، وتفسير الظواهر القرآنيّة في ضوء العلاقات بين

16 انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، وكتاب شرح قطر الندى وبلّ الصدى، وكتاب أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك.

17 انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمدالله، ط6، دار الفكر، 1985م، ص14.

18 المصدر نفسه، ص12.

19 المدرسة النحويّة في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، د. عبدالعال سالم مكرم، ط2، مؤسّسة الرسالة، بيروت، 1410هـ / 1990م، ص417.

20 المرجع نفسه، ص417.

الألفاظ والدلالات السياقية والقرائن المعنوية⁽²¹⁾.

مما تقدّم، نشير إلى أنّ الجهود البحثية تمضي في العصر الحديث لتأسيس ما يسمّى بـ (علم النصّ القرآنيّ) أو (نحو النصّ القرآنيّ) لتجاوز تحكّم القواعد المنطقيّة في لغة النحو وأساليبه وتراكيبه، أو جزئية التفكير في النصّ، أو إغفال أسس الترابط النحويّ والدلاليّ، ومراعاة المقام، والمعاني والأساليب، إذ إنّ العلماء العرب في إطار بحثهم في النصّ القرآني، كانوا يدركون أنّهم يتعاملون مع (نص متكامل)، وأن دراسته تتمّ بمنهج متماسك، وأنّ مفهوم التماسك يجري لديهم بدهة على سننهم في التّخاطب والقول⁽²²⁾ وغني عن القول -في هذا المقام- أن نذكّر بأنّ القرآن الكريم نزل بلغة قريش، وبه كُتِبَ لها صفة البقاء والخلود والتجدّد والاستمرار.

(ب) أضواء حول سورة الإسراء:

محتوى السورة:

هي من السّور المكيّة التي تهتمّ بشؤون العقيدة في إطارها العام، من التّوحيد، والرّسالة، والإيمان بالبعث والجزاء. وقد تناولت موضوعات شتّى كان معظمها يدور حول العقيدة، وبعضها في قواعد السلوك الفرديّ والجماعيّ، وبعض الآداب الاجتماعيّة القائمة على أصول العقيدة الإسلاميّة. وفي هذه السورة شيء من القصص عن بني إسرائيل، وما يتعلّق بالمسجد الأقصى الذي كان إليه الإسراء، وجانباً من قصة آدم وإبليس، وما جرى من المحاورّة بين ربّ العزّة جلّ وعلا وبين إبليس اللعين نتيجة لاستنكافه عن السّجود لآدم، وعصيانه لأمر الله. ولكن العنصر البارز في هذه السّورة هو شخصيّة الرّسول الأعظم صلّى الله عليه وسلّم، وما أيّده الله به من المعجزات الباهرة والبراهين السّاطعة الدّالة على عظيم فضله وجليل قدره عند الله⁽²³⁾.

تسمية السّورة:

ذكر ابن عاشور في (التّحرير والتّنوير) أن سورة الإسراء «سمّيت في كثير من المصاحف سورة الإسراء، وصرّح الألوسي بأنها سمّيت بذلك، إذ قد ذكر في أولها الإسراء بالنّبّي صلّى الله عليه وسلّم، واختصّت بذكره.

21 انظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ص 59.

22 نحو النصّ، د. عمر أبو خرمة، ط 1، عالم الكتب، أريد، 1425هـ / 2003م، ص 78.

23 إيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، ط 1، دار الجيل، بيروت، 2001م، ص 54.

وتسمّى في عهد الصحابة سورة بني إسرائيل. ففي جامع الترمذي في أبواب الدعاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل»⁽²⁴⁾.

وتسمّى أيضاً سورة (سبحان)؛ لأنها افتتحت بهذه الكلمة. وذكر ابن كثير في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ أنه "يمجد تعالى نفسه، ويعظم شأنه، لقدرته على ما لا يقدر عليه أحد سواه، فلا إله غيره ولا رب سواه"، الذي أسرى بعبده" يعني محمداً صلى الله عليه وسلم "ليلاً" أي في جنح الليل "من المسجد الحرام" وهو مسجد مكة "إلى المسجد الأقصى" وهو بيت المقدس⁽²⁵⁾.

أغراض السّورة:

يقول ابن عاشور: العماد الذي أقيمت عليه أغراض هذه السّورة إثبات نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم، وإثبات أن القرآن وحْي من الله. وإثبات فضله وفضل من أنزله. وذكّر أنه معجز. وردّ مطاعن المشركين فيه، وفيمن جاء به، وأنهم لم يفقهوه فلذلك أعرضوا عنه⁽²⁶⁾. ويمكن للباحث أن يلخص بعض هذه الأغراض فيما يلي⁽²⁷⁾:

(1) تمجيد الله تعالى وتنزيهه عن صفات النقص، فالله تعالى لا يعجزه شيء، فقد أكرم رسوله بالإسراء، وليس ذلك عجباً على قدرة الله ولا بعيداً عن مقام الرسول المكرّم عند ربه. وقد كشف تعالى عن حكمة الإسراء بقوله: ﴿لِأُرِيَهُمْ مِنْ آيَاتِنَا﴾⁽²⁸⁾.

(2) ذكر أخبار اليهود وما أفسدوه في الأرض وما سلّط عليهم من العذاب بأيدي المجوس الذين أذاقوهم أشد أنواع البطش والتنكيل.

(3) تناول القرآن العظيم الذي أنزله الله لهداية البشرية وبه السعادة السرمديّة: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾⁽²⁹⁾.

24 تفسير التحرير والتنوير، تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، المجلد السادس، الجزء الخامس عشر، ص 6.

25 تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 3/3، وانظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، تحقيق د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط1، القاهرة، 1422هـ/ 2001م 14/ 411.

26 التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج15، ص7.

27 إيجاز البيان في سور القرآن، محمّد علي الصابوني، ص 55-56.

28 سورة الإسراء، الآية (1).

29 سورة الإسراء، الآية (9).

(4) الانتقال بالحديث إلى الآيات الكونية التي تدلُّ على العظمة والوحدانية، وإلى النظام الكوني الكبير الذي يحكم الليل والنهار، ويرتبط به سعي الناس من خير وشرٍّ، فالكلُّ يسير وفق ناموس ثابت، ونظام لا يتبدل، وسنن لا تتحوّل قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ أَحْسَنَ أَعْيُنًا وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ (30).

(5) تناول طائفة من الأوامر والزواجر والتكاليف الإلهية التي ينبغي أن يتمسك بها الناس ليزوقوا طعم السعادة، ويستظلوا بظلال الشريعة الوارفة، بدءاً من طاعة الوالدين إلى النهي عن الخيلاء والكبر.

(6) الحديث عن قضية البعث والنشور التي كثُرَ الجدلُ حولها، ولم تستطع نفوس المشركين أن تستوعبها -مع بساطتها ووضوحها- وصعب عليهم تصوّر البعث بعد البلى، والحياة بعد الفناء، ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرُفًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (٤٩) ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ (٥٠) ﴿أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (31).

(7) ختام السورة الكريمة بتنزيه الله تعالى عن الشريك والولد، وعن صفات النقص التي هي ملازمة للإنسان، قال تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وِليٌّ مِّنَ الدَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (32).

المبحث الأول: تعريف العطف وأدواته وعطف الجمل

تعريف العطف:

(أ) جاء المعنى اللغوي للعطف في (لسان العرب) لابن منظور (33) من قوله: «عطف يعطف عطفًا: انصرف، وتعطف عليه: وصله وبرّه، ورجل عاطف وعطوف: عائد بفضلته حسن الخلق. قال الليث. العطف الرجل الحسن

30 سورة الإسراء، الآية (12).

31 سورة الإسراء، الآية (49-51).

32 سورة الإسراء، الآية (111).

33 هو محمد بن علي بن منظور الأفرقي ثم المصري، جمال الدين أبو الفضل، صاحب لسان العرب، ولد في المحرم سنة 130هـ. اختصر كثيراً من الكتب المطولة كالأغاني والعقد الفريد والذخيرة، كان من العلماء العارفين بال النحو واللغة. انظر: بغية الوعاة 1/248، والعبر 4/29، والأعلام 7/108.

الخلق العطوف على النَّاس بفضله.

وعطف الشَّيء يعطفه عطفاً وِعْطُوفاً فانعطف وِعْطَفَهُ فتعطف: حَنَاه وأماله، ويقال: عطف رأس الخشبة فانعطف أي ضيعته فانحنى. وعطفت أي ملت. ومنعطف الوادي: منعرجه ومنحناه. ويقال: عطف فلان على ناحية كذا يعطف عطفاً إذا مال إليه ونحوه. وعطف رأس بعيره إذا عاجه عطفاً. وعطف الرجل وساده ليرتفق عليه ويتكى،⁽³⁴⁾.

وعليه، فإنَّ المعنى اللُّغوي للعطف له معانٍ عديدة، كما رأينا في لسان العرب، وغيره من المعاجم الأخرى، وهذه المعاني تلتقي جميعها عند معنى عام هو: ميل الشَّيء إلى شيء آخر⁽³⁵⁾.

(ب) يتلخَّص المعنى الاصطلاحي للعطف من قول ابن مالك⁽³⁶⁾:

العطفُ إمَّا دُو بَيَانٍ أَوْ نَسْقٍ * وَالْعَرْضُ الْآنُ بَيَانٌ مَا سَبَقَ
فدو البَيَانِ تَابِعٌ شَبُههُ الصَّفَه * حَقِيقَةُ الْقَصْدِ مِنْهُ مُكْشِفُهُ

وشرح ابن عقيل⁽³⁷⁾ البيان لبيان العطف، فهو تابع يصاحب متبوعه لإزالة ما يشوبه من غموض، ولإظهار المقصود منه. وهو قسمان: بيان ونسق، على النحو التالي⁽³⁸⁾:

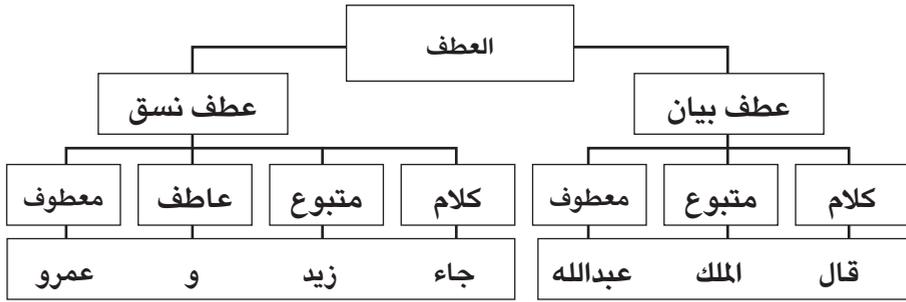
34 لسان العرب، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي، دار صادر، بيروت، ط1، 10/192-193، مادة (عطف).

35 الموسوعة النحوية والصرفية الميسرة أبو بكر علي عبدالعليم، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، 2001م، ص 366.

36 هو محمد بن عبدالله بن مالك، العلامة جمال الدين أبو عبدالله الطائي الجبالي الشافعي النحوي، نزيل دمشق، إمام النحاة. ولد سنة 600 أو 601هـ. كان إماماً في القراءة وعلها، وكان إليه المنتهى في اللغة والنحو والصرف. من مصنفاته: نظم الفوائد، والألفية. انظر: الأعلام 11/7، وشذرات الذهب 5/339، وبغية الوعاة 1/130.

37 هو بهاء الدين أبو محمد بن عبدالرحمن بن عقيل الشافعي، العقيلي البالسي الحلبي، ثم المصري، ولد سنة 694هـ، سمع الحديث وأخذ الفقه عن الكتاني وغيره، وقرأ النحو على أبي حيان. كان إماماً في العربية والبيان، عارفاً بالأصول والفقه، له مؤلفات منها: مختصر الشرح الكبير، والجامع النفيس في الفقه، والمساعد في شرح التسهيل، وشرح الألفية. انظر ترجمته في: بغية الوعاة 2/47، وشذرات الذهب 215/6، والدرر الكامنة 2/266-268.

38 شرح ألفية ابن مالك، أبو فارس الدحاح، مكتبة العبيكان للنشر، الرياض، ط1، 1433هـ/2012م، ص361.



فمثال عطف البيان من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَالِإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (39) ف (هود): عطف بيان على: (أخاهم).
ومثال عطف النسق قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ (40)، ف (ماروت) عطف نسق على (هاروت).

— أدوات العطف:

للعطف أدوات يعمل بها، تكون رابطة بين ركنيه: المعطوف والمعطوف عليه. ونعني بالعطف هنا عطف النسق، وهو تابع يصاحب متبوعه بواسطة حرف من حروف العطف (41). قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ (42). قوله: (المسلمات) معطوف على (المسلمين)، تابع له في النصب. وقد يتعدد المعطوف فيكون المعطوف عليه واحداً هو الأول دائماً، إلا إذا وقع العطف بعد حرف يفيد الترتيب فيكون المعطوف عليه الذي قبل العاطف مباشرة.

هذا، وحروف العطف تسعة تنقسم إلى قسمين (43):

(أ) حروف تشارك المعطوف مع المعطوف عليه في الإعراب والمعنى: الواو - ثُمَّ - الفاء - حَتَّى - أم - أو. منها ما يفيد المشاركة دائماً في الإعراب والمعنى: الواو، ثُمَّ، الفاء، حَتَّى.

39 سورة الأعراف، الآية (65).

40 سورة البقرة، الآية (102).

41 جامع الدروس العربية، الشيخ مصطفى الغلاييني 24/3.

42 سورة الأحزاب، الآية (35).

43 شرح ابن عقيل، أبو فارس الدحداح، مكتبة العبيكان للنشر، ص 365.

(ب) حروف تشارك المعطوف مع المعطوف عليه في الإعراب فقط: بل- لا- لكن.
ومن حروف العطف التي وردت في سورة الإسراء: الواو، و أو، وثُمَّ، والفاء، وأم.
أما الواو؛ فهي -عند ابن هشام-⁽⁴⁴⁾ تكون للعطف. ومعناه مطلق الجمع، وهي أم حروف العطف، أي: أمّ الباب، لكثرة استعمالها، ودورها فيه⁽⁴⁵⁾، وهذه الواو التي ينتصب بعدها المضارع في موضعين: في الأجوبة الثمانية⁽⁴⁶⁾، وأن يعطف بها الفعل على المصدر، على حدّ قول الكوفيين⁽⁴⁷⁾. ومن آيات ورودها في سورة الإسراء ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾⁽⁴⁸⁾.

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ﴾⁽⁴⁹⁾.

- وقوله تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾⁽⁵⁰⁾.

- وقوله تعالى: ﴿مَنْ نَزَرْنَاهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾⁽⁵¹⁾.

- وقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾⁽⁵²⁾.

ومن الأدوات التي وردت في السورة الأداة (أو)، وهي عند السيوطي⁽⁵³⁾، تعطف

44 هو النَّحْوِيُّ الفاضل، العَلَمَةُ المشهور أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري، شيخ جمال الدِّين الحنبلي، ولد سنة 780هـ، لزم الشَّهاب عبداللطيف وتلا على ابن السَّراج، وسمع على أبي حَيَّان ديوان زهير بن أبي سلمى، وحضر دروس التَّاج التَّبْرِيْزِي وتفقَّه للشَّافعي ثم تحنبل. كان شديد المخالفة لأبي حَيَّان، شديد الانحراف عنه. من أهم كتبه: مغني اللبيب عن كتب الأعراب إذ جعله قسمين كبيرين: قسماً للحروف والأدوات، وقسماً لأحكام الجملة وأقسامها المتنوعة، واشتهر في حياته، وأقبل النَّاس عليه، وله الجامع الكبير والصَّغير، وشرح اللَّمحة، وشذور الدَّهَب، وقطر النَّدى، وشرحهما. توفي سنة 761هـ انظر: بغية الوعاة 2/698، وشذرات الدَّهَب 6/192، والمدارس النَّحْوِيَّة، د. شوقي ضيف، 347.

45 مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ابن هشام الأنصاري 2/345.

46 هي: النفي، والأمر، والنهي، والدَّعاء، والعرض، والتَّحْضِيض، والتَّمْنِي، والاستفهام.

47 معجم الأدوات في القرآن الكريم، راجي الأسمر، ط1، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، 1425هـ/2005م، ص 302.

48 سورة الإسراء، الآية (6)

49 سورة الإسراء، الآية (12).

50 سورة الإسراء، الآية (12).

51 سورة الإسراء، الآية (31).

52 سورة الإسراء، الآية (64).

53 هو جلال الدِّين عبدالرَّحمن بن أبي بكر بن محمَّد الخضيرِي، ولد سنة 849هـ، نشأ يتيمًا، وحفظ القرآن دون الثامنة، وحفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألغية ابن مالك، فاق أساتذته في العلوم جميعاً عدا الفقه. له مؤلفات كثيرة منها: المزهَر، والإتقان، والأشباه والتَّنَاطُر، وبغية الوعاة، والجامع الكبير، والصَّغير. توفي سنة 911هـ. انظر: مقدِّمة بغية الوعاة، ص 12، والمدارس النَّحْوِيَّة، ص 362.

مفرداً على مفرد، وجملة على جملة، ومن معانيها: التخيير، والإباحة، والشك، الإبهام، والتفصيل⁽⁵⁴⁾. ومما ورد من هذه الأداة في سورة الإسراء ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ﴾⁽⁵⁵⁾.
- قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾⁽⁵⁶⁾.
- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾⁽⁵⁷⁾.

ومن أدوات العطف الواردة في سورة الإسراء أيضاً الأداة (ثم)، ورد في (مغني اللبيب) إنه يقال فيها: ثم ولعلها لغة، وهي حرف عطف تقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة⁽⁵⁸⁾، أي الترتيب والترخي⁽⁵⁹⁾. ويتمثل ورودها في سورة الإسراء في الآيات التالية:

- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾⁽⁶⁰⁾.
- قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾⁽⁶¹⁾.
- قوله تعالى: ﴿فِيَغْرِقْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا يُجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ يَبْعًا﴾⁽⁶²⁾.

ومنها كذلك (الفاء)، وتكون - عند السيوطي - للعطف، ومعناها الترتيب والتعقيب، وهي غالباً تكون للسببية⁽⁶³⁾. وجاءت الفاء عاطفة في (13) مرة في (10) مواضع من السورة، نورد منها ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾⁽⁶⁴⁾.

54 همع الهوامع، السيوطي، 247/5، وانظر: معجم الأدوات في القرآن الكريم، راجي الأسمر، ص 87-88.

55 سورة الإسراء، الآية (23).

56 سورة الإسراء، الآية (50).

57 سورة الإسراء، الآية (58).

58 سورة الإسراء، الآية (12).

59 مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، 1/117.

60 انظر: معجم الأدوات في القرآن الكريم، ص 117.

61 سورة الإسراء، الآية (18).

62 سورة الإسراء، الآية (69).

63 همع الهوامع 233/5، وانظر: معجم الأدوات في القرآن الكريم، ص 158.

64 سورة الإسراء، الآية (5).

- قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (65).
- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ (66).
- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (67).
- قوله تعالى: ﴿وَأَيْنَأُ شُمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً﴾ (68).
- قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (69).

ومن أدوات العطف التي وردت في سورة الإسراء أيضاً الأداة (أم)، وهي تكون متصلة عاطفة في الاستفهام، وتقع بين المفردين، والجملتين، ويكون الكلام بها متعادلاً أي ترد حرف عطف نائباً عن تكرير الاسم والفعل، نحو: (أزيد عندك أم عمرو)؟ وقيل: إنما تشرك بين المتعاطفين كما تشرك بينها (أو) (70). وتكون منفصلة فلا تكون عاطفة (71). ووردت (أم) في السورة في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمْسَرَ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾ (72).

عطف الجمل:

الأصل في العطف، الذي يجري في كلام الناس، أن يكون عطف المفرد على المفرد، بأدوات العطف المعروفة، والمقصود بالمفرد الذي ليس جملة ولا شبه جملة. أما عطف الجملة على الجملة؛ فهو الجمل المعطوف بعضها على بعض، وهي على ضربين:

- **الضرب الأول:** أن يكون للمعطوف عليها موضع من الإعراب، وإذا كان كذلك؛ فحكمها حكم المفرد، إذ لا يكون للجملة موضع من الإعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد، وإذا كانت الجملة الأولى واقعة موقع المفرد، كان عطف الثانية عليها جارياً مجرى عطف المفرد على المفرد، وكان وجه الحاجة إلى الواو ظاهراً، والإشراك بها في الحكم موجوداً.

65 سورة الإسراء، الآية (12).

66 سورة الإسراء، الآية (52).

67 سورة الإسراء، الآية (61).

68 سورة الإسراء، الآية (59).

69 سورة الإسراء، الآية (103).

70 معجم الأدوات في القرآن الكريم، ص 53.

71 همع الهوامع، السيوطي م 239.

72 سورة الإسراء، الآية (69).

• **الضرب الثاني:** أن تعطف على الجملة العارية الموضع من الإعراب جملة أخرى. قال بهذا الجرجاني⁽⁷³⁾ في (دلائل الإعجاز)⁽⁷⁴⁾، فقال المبرد⁽⁷⁵⁾: «وكل جملة بعدها جملة فعطفها عليها جائز وإن لم يكن منها، نحو: (جاءني زيد، وانطلق عبدالله، وأخوك قائمٌ، وإن تأتني آتك) فهذا على هذا»⁽⁷⁶⁾.

هذا، وبتتبع صور عطف الجملة على الجملة في سورة الإسراء، فقد ألقى الباحث صوراً عديدة لعطف الجمل، لعلّ أبرزها وأشهرها الصور التالية:

- صور عطف الجملة الخبرية على الخبرية.

- صور عطف الجملة الطلبية على الطلبية.

- صور عطف الجملة الشرطية على الشرطية.

المبحث الثاني: عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية

يعدُّ هذا البناء من عطف الجمل الأكثر شيوعاً في سورة الإسراء، نظراً لطبيعة السورة، والموضوعات التي تناولتها، وقد جاء العطف بينها بناء على الأنماط التالية.

النمط الأول: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية، وله عدة صور مع الأداة المستخدمة فيه:

- **الصورة الأولى: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية باستخدام الواو:**

ورد هذا الضرب من العطف باستخدام الواو (37) مرة في (27) موضعاً ونظراً لهذه الكثرة يورد الباحث نماذج منها على النحو التالي:

73 هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن، فارسي الأصل، جرجاني الدار، إمام اللغة والبلاغة. له المقتصد في شرح الإيضاح، ودلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، والتعريفات، وغير ذلك. انظر: الأعلام 4/74، والعبر 3/227، وإنباه الرواة 2/188، ومعجم المؤلفين 5/31، وشذرات الذهب 3/340.

74 دلائل الإعجاز، الجرجاني، ص 223.

75 هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، شيخ الطبقة السابعة البصرية. ولد بالبصرة سنة 210هـ، وقيل سنة 207هـ، وقيل سنة 195هـ. لقبه المازني بالمبرد بكسر الراء، لفطنته وذكائه ولحسن تثبته وتأنيه في العلل. = وحول الكوفيين هذا اللقب إلى المبرد بفتح الراء عنثاً له وسوء قصد. كان شيخ النحو والعربية وآل إليه أمرهما بعد الجرمي والمازني. كان أعلم بمذاهب البصريين في النحو ومقاييسه. له مؤلفات عديدة أشهرها المقتضب، توفي سنة 285هـ، وقيل سنة 286هـ. انظر: بغية الوعاة 1/269، وطبقات النحويين البصريين، 69.

76 المقتضب، المبرد، 3/279.

- قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (77).
- قوله تعالى: ﴿وَفَضَّلْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدَنَ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِنَعْلَمَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (78).
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ (79).
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (80).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (81).
- قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتًا﴾ (82).
- قوله تعالى: ﴿فَسَيَخْضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ﴾ (83).
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (84).
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (85).
- قوله تعالى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يَفْرءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْيَلًا﴾ (86).
- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَعْمَنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ آعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا﴾ (87).
- قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ (88).
- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا أءِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفْنَا أءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (89).

77 سورة الإسراء، الآية (2).

78 سورة الإسراء، الآية (4).

79 سورة الإسراء، الآية (6).

80 سورة الإسراء، الآية (9).

81 سورة الإسراء، الآية (37).

82 سورة الإسراء، الآية (40).

83 سورة الإسراء، الآية (51).

84 سورة الإسراء، الآية (55).

85 سورة الإسراء، الآية (70).

86 سورة الإسراء، الآية (71).

87 سورة الإسراء، الآية (83).

88 سورة الإسراء، الآية (81).

89 سورة الإسراء، الآية (98).

- الصورة الثانية: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية باستخدام (أو):
وجاء ذلك في السورة (4) مرات في (3) مواضع على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ (90).
- قوله تعالى: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتُمْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴾ (91).
- قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ ﴾ (92).

- الصورة الثالثة: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية باستخدام (ثم):

وجاء ذلك في السورة في (6) مواضع على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾ (93).
- قوله تعالى: ﴿ عَجَلْنَا لَهُ، فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ (94).
- قوله تعالى: ﴿ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلًا ﴾ (95).
- قوله تعالى: ﴿ فَيَغْرِبْكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴾ (96).
- قوله تعالى: ﴿ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (97).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴾ (98).

90 سورة الإسراء، الآية (68).

91 سورة الإسراء، الآية (92).

92 سورة الإسراء، الآية (93).

93 سورة الإسراء، الآية (6).

94 سورة الإسراء، الآية (18).

95 سورة الإسراء، الآية (68).

96 سورة الإسراء، الآية (69).

97 سورة الإسراء، الآية (75).

98 سورة الإسراء، الآية (86).

- الصورة الرابعة: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية باستخدام (الفاء):

- جاء ذلك في السورة (13) مرة في (10) مواضع. نورد منها ما يلي:
- قوله تعالى: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ (99).
 - قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ ۚ فَهَوِّنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (100).
 - قوله تعالى: ﴿أَمْرًا مُّزَفِّهِهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ (101).
 - قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ (102).
 - قوله تعالى: ﴿وَأَيْنَا نُمُودَ الْأَنَاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ (103).
 - قوله تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ (104).

- الصورة الخامسة: عطف الخبرية الفعلية على الخبرية الفعلية

باستخدام (أم):

لم تعطف الجملة الخبرية الفعلية على الجملة الفعلية باستخدام (أم) إلا في موضع واحد، جاء في قوله تعالى: ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (105). حيث جاءت جملة (أمنتم) معطوفة على جملة (أمنتم...) في الآية قبلها قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ الآية.

إنّ عطف الجملة الخبرية الفعلية على الجملة الخبرية الفعلية، قد تمثلت فيه أدوات العطف الخمس التي حوتها سورة الإسراء وهي: الواو، واو، وثم، والفاء، وأم، غير أنها تفاوتت من خلال المواضع التي وردت فيها، وعدد مرات ورودها.

فالواو -كما بيّنا- هي أكثر أدوات العطف وروداً في سورة الإسراء، حيث تكررت (37) مرة في (27) موضعاً، تليها الفاء، إذ تكررت (13) مرة في (10) مواضع، وتأتي الثالثة (ثم) إذ تكررت (6) مرات في (6) مواضع، وتأتي رابعة (أو) إذ تكررت

99 سورة الإسراء، الآية (5).

100 سورة الإسراء، الآية (12).

101 سورة الإسراء، الآية (16).

102 سورة الإسراء، الآية (52).

103 سورة الإسراء، الآية (59).

104 سورة الإسراء، الآية (103).

105 سورة الإسراء، الآية (69).

(4) مرات في (3) مواضع، وتأتي (أم) آخراً إذ تكررت مرة واحدة، في موضع واحد. الشكل التالي يبين هذه الأدوات وتكرارها ومواضع التكرار، والنسبة المئوية لقياس التفاوت بينها من خلال بناء الجملة الخبرية الفعلية المعطوفة على مثلها.

أدوات العطف في الجملة الخبرية الفعلية المعطوفة على مثلها في سورة الإسراء

أم	الفاء	ثم	أو	الواو
1 1	10 13	6 6	3 4	27 27
1.6	21.4%	10%	6%	61%

النمط الثاني: عطف الجملة الخبرية الاسمية على الخبرية الفعلية:

يرى السيوطي في (همع الهوامع)⁽¹⁰⁶⁾ جواز عطف الجملة الاسمية على الفعلية، وبالعكس. وقد ورد هذا النمط في سورة الإسراء في ثلاثة مواضع، على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾⁽¹⁰⁷⁾. ويقع العطف بين الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل (تكون لك جنة) معطوفة على جملة ﴿حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا﴾ في الآية السابقة.
- قوله تعالى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ﴾⁽¹⁰⁸⁾. الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل (يكون لك بيت) معطوفة على جملة (تأتي...) في الآية السابقة.
- قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ﴾⁽¹⁰⁹⁾.

النمط الثالث: عطف الجملة الفعلية على الخبرية الاسمية:

تمثل هذا النمط في موضع واحد من سورة الإسراء، وهو قوله تعالى: ﴿أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا فَتَجِيرًا﴾⁽¹¹⁰⁾.

106 همع الهوامع، للسيوطي 282/5.

107 سورة الإسراء، الآية (91).

108 سورة الإسراء، الآية (93).

109 سورة الإسراء، الآية (111).

110 سورة الإسراء، الآية (91).

النمط الرابع: عطف الجملة الاسمية على الجملة الاسمية:

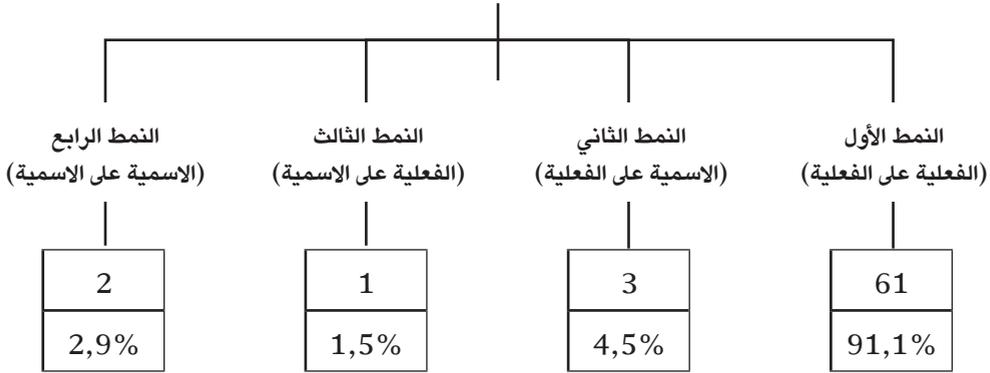
تمثل هذا النمط في موضعين من السورة هما: قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (111).

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكِبْرُهُ تَكْبِيرًا﴾ (112).

ففي الآية الأولى نجد جملة (ربك أعلم...) معطوفة على جملة (ربكم أعلم...) في الآية السابقة، وفي الآية الثانية نجد الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل (لم يكن له ولي...) معطوفة على الجملة الاسمية المنسوخة بالفعل (لم يكن له شريك...).

مما تقدم؛ فإن صور عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية، قد اتضح في أربعة أنماط يبينها الشكل التالي:

أنماط عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية



المبحث الثالث: عطف الجملة الطلبية على الجملة الطلبية

ورد هذا الضرب من العطف في عدة صور من صور عطف الجملة الطلبية على الجملة الطلبية، ولكل صورة مواضع وردت فيها، على النحو التالي:

الصورة الأولى: جملة الأمر على جملة الأمر:

ورد هذا الضرب من العطف في هذه الصورة (22) مرة في (8) مواضع، جاءت

طائفة منها على النحو التالي:

111 سورة الإسراء، الآية (55).

112 سورة الإسراء، الآية (111).

- قوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (113).
- قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴾ (114).
- قوله تعالى: ﴿ وَأَسْتَفْزِرُّ مَنْ أَسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴾ (115).
- قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾ (116).
- قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ (117).
- قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (118).
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ (119).
- قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ ﴾ (120).

الصورة الثانية: جملة النهي على جملة الأمر:

وردت هذه الصورة في (3) مواضع فقط، جاء في سورة الإسراء على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ (121).
- قوله تعالى: ﴿ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ﴾ (122).
- قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (123) جملة (لا تقف) معطوفة على جملة (زنوا) في الآية السابقة.

الصورة الثالثة: جملة الأمر على جملة النهي:

- 113 سورة الإسراء، الآية (24).
- 114 سورة الإسراء، الآية (35).
- 115 سورة الإسراء، الآية (64).
- 116 سورة الإسراء، الآية (79).
- 117 سورة الإسراء، الآية (80).
- 118 سورة الإسراء، الآية (81).
- 119 سورة الإسراء، الآية (110).
- 120 سورة الإسراء، الآية (111).
- 121 سورة الإسراء، الآية (26).
- 122 سورة الإسراء، الآية (107).
- 123 سورة الإسراء، الآية (36).

تمثل العطف القائم بين جملة الأمر وجملة النهي في ثلاثة مواضع، جاءت على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (124).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ (125).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (126).

الصورة الرابعة: جملة النهي على جملة النهي:

تمثل عطف جملة النهي على جملة النهي في سورة الإسراء في (7) مواضع، جاءت على النحو التالي:

- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (127).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ (128).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ﴾ (129).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (130).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (131).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ (132).
- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ (133).

مما تقدم، نجد أن عطف الجملة الطلبية على الجملة الطلبية، في سورة الإسراء، تتمثل في أربع صور، جاءت فيه الصورة الأولى مجسدة لعطف جملة الأمر على جملة

124 سورة الإسراء، الآية (23).

125 سورة الإسراء، الآية (34).

126 سورة الإسراء، الآية (110).

127 سورة الإسراء، الآية (23).

128 سورة الإسراء، الآية (29).

129 سورة الإسراء، الآية (32).

130 سورة الإسراء، الآية (33).

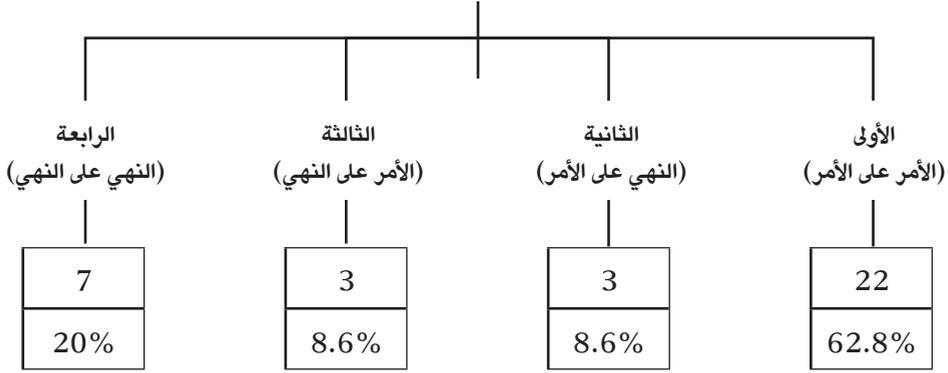
131 سورة الإسراء، الآية (34).

132 سورة لقمان، الآية (18).

133 سورة الإسراء، الآية (110).

الأمر، والصورة الثانية لعطف جملة النهي على جملة الأمر، والصورة الثالثة لعطف جملة الأمر على جملة النهي، وجاءت الصورة الرابعة لعطف جملة النهي على جملة النهي. الشكل التالي يبين عطف الجملة الطلبية على الطلبية بصورها الأربعة، مع بيان مواضع التكرار من سورة الإسراء.

صور عطف الجملة الطلبية على الجملة الطلبية



الخاتمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيّدنا محمد بن عبدالله، الصادق الأمين، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد منّ الله على الباحث بنعمة الصحة والعافية، فاكمل البحث وفق خطته التي رسمت طريقه، إلى نهايته بالنتائج والتوصيات على النحو التالي:

أولاً: نتائج البحث:

- (1) وردت من أدوات العطف في سورة الإسراء خمس أدوات هي: الواو، وأو، وثم، والفاء، وأم. ولم ترد الأدوات الأربعة الباقية وهي: حتى، وبل، ولا، ولكن.
- (2) من دلالة بعض حروف العطف إشراك المعطوف مع المعطوف عليه في الإعراب والمعنى دائماً مثل: الواو، وثم، والفاء، وحتى. ومنها ما يشركهما في الإعراب فقط، وهي: بل، ولا، ولكن.

- (3) تمثلت في سورة الإسراء عدّة أنماط لعطف الجمل منها: عطف الجملة الخبرية على الجملة الخبرية، ولها صور متعددة.
- (4) الأنماط التي جاء بها عطف الجملة الخبرية على الخبرية هي: عطف الجملة الفعلية على الفعلية، وعطف الجملة الاسمية على الفعلية، وعطف الجملة الفعلية على الاسمية، وعطف الجملة الاسمية على الاسمية، ولكل جملة تكراراتها في سورة الإسراء، حيث تكررت الأولى (61) مرة، والثانية (3) مرات، والثالثة مرة واحدة، والرابعة مرّتين.
- (5) جاءت أنماط عطف الجملة الطلبية على الجملة الطلبية في أربع صور: الأولى عطف جملة الأمر على الأمر إذ تكررت (22) مرة، والثانية عطف جملة النهي على الأمر، إذ تكررت (3) مرات، والثالثة عطف جملة الأمر على النهي، إذ تكررت (3) مرات، والرابعة عطف جملة النهي على النهي، وكان تكرارها (7) مرات.
- (6) لم يتعرض البحث لصور أخرى من عطف الجمل مثل: عطف الجملة الشرطية على الجملة الشرطية، وعطف شبه الجملة على شبه الجملة، وصور أخرى مثل: عطف الجملة الطلبية على الخبرية، وعطف الجملة الخبرية على الجملة الطلبية باعتبار أن ما قدّم يُغني عما لم يُذكر -والله أعلم-.

ثانياً: توصيات البحث:

- (1) مواصلة دراسة التوابع الأخرى: النعت والتوكيد والبدل فيما تبقى من سور الجزأين الخامس عشر والسادس عشر: الكهف ومريم وطه.
- (2) تبني مشروعات علمية في الدراسات النحوية والصرفية في أبواب الاستثناء والحال والتمييز في الجزأين السابع عشر والثامن عشر.
- (3) مراجعة النحو وقواعده وأحكامه في ضوء لغة القرآن وأساليبه، والنأي عن التقديرات والتأويلات، والإبقاء على ما جاء موافقاً للظواهر اللغوية في كتاب الله تعالى.
- (4) مراجعة المقررات الدراسية المقدمة لطلاب اللغة العربية في ضوء نظرية النحو القرآني.

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين دراسة موضوعية تحليلية (من الآية 22-26 سورة القصص)

د. ليلى بشر أحمد مهدي¹

مقدمة :

فقد عني كثير من المفسرين والمؤرخين بتتبع أخبار موسى عليه السلام باعتباره أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم، وقد تكاملت الدراسات حول أخباره عليه السلام بحيث أفردت كتباً وأبحاثاً - قديماً وحديثاً - عن سيرته عليه السلام مثل: (قصة موسى مع فرعون)، و(قصة موسى مع الخضر) وغيرها، ولكن قصة موسى عليه السلام مع المرأتين حسب علم الباحثة لم تنل ما تستحقه من الدراسة على الرغم مما فيها من عبر وعظات ومكارم أخلاق، فما أحوج أهل هذا العصر إلى الاقتداء بها ولفت أنظارهم إليها. لذا عقدت الباحثة النية لخدمة البحث في الفرصة، والله نسأله التوفيق والسداد.

أسباب اختيار الموضوع:

- 1- التخلق بأخلاق الأنبياء لتصحيح سلوكنا وأجيالنا من خلال أخلاقهم، قال النبي عليه الصلاة والسلام: (خيركم إسلاماً أحسانكم أخلاقاً إذا فقهوا)⁽²⁾. وقال الثعالبي:⁽³⁾ (حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الثلج).
- 2- إكساب المسلم ثمرة الحياء والاحترام والأمانة والكرم والتواضع من الجانب الخُلقي.
- 3- إيجاد طرق وأساليب معاصرة لغرس القيم الأخلاقية للأجيال من معاملة نبي الله موسى عليه السلام للمرأتين مع والديهما.

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

- 1 كلية التربية قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الجنية
- 2 رواه أحمد برقم (9686).
- 3 هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، من نيسابور، ومن أئمة اللغة الأدب، وصنف العديد من الكتب منها: سحر البلاغة، وفن اللغة: انظر: معجم الشعراء العرب (١/٥٨١).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

- 1- خلق الحياء من شعب الأيمان وسجية الأنبياء، ونتاج صبرهم وإرشادهم.
- 2- المرأة تفتن بالرجل القوي، وهذا ما أثبتته مختصو علم النفس، ولا عيب عليها إن اختارت لنفسها القوي الأمين، والرجل يختار لابنته القوي الأمين، هذه تزكية قيمة من فتاة وجعلت بعد ذلك قاعدة في اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب.
- 3- خلق القوة والأمانة شرطان في أهلية الشخص لأي عمل، لذا العقود والمواثيق يجب تنفيذها واحترامها، والإشهاد عليها، كما رضي موسى عليه السلام بالتعاقد علي شعب بطنه وإحصان فرجه، فهذا أقيم الحكم والفضائل وخاصة بقاءه في بيت شعيب لعشر حجج.

منهج البحث وعملي فيه:

هو المنهج الوصفي التحليلي وقد تتبعت أقوال المفسرين حول قصة موسى عليه السلام مع المرأتين فوجدت أنّ الآيات المتضمنة للقصة قد اشتملت على جانبين: فقهي وأخلاقي، وقد تناول العلماء الجانب الفقهي بالدراسة والتحليل، حتى أنّ الإمام القرطبي ذكر في ذلك أربعاً وعشرين مسألة، وأمّا الجانب الخُلقي فقد تعرضوا له أثناء عرض التفسير، فبدأت باستخلاص المواضيع الدالة على الفضائل و مكارم الأخلاق فيها، ثم قمت بتحليلها تحليلاً يبرزها، ويضعها بأسمائها تحت عناوينها. معتمدة على أصح أقوال المفسرين وأهل العلم، وقد مهدت لكل فضيلة بتعريفها لغة واصطلاحاً، ثم سقّت أشهر الأقوال فيها.

هيكل البحث:

اقتضت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة شاملة لنتائج البحث وتوصياته، على النحو التالي:

المبحث الأول: معنى الأخلاق لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: التعريف بموسى عليه السلام، وسبب اختياره لأرض مدين.

المبحث الثالث: تحقيق اسم أبي المرأتين، و اسم الأمراتين.

المبحث الرابع: خلق الحياء وإغاثة الملهوف.

المبحث الخامس: الأمانة وإكرام الضيف.

المبحث السادس: التواضع.

الخاتمة: نتائج البحث وتوصياته.

المبحث الأول: معنى الأخلاق: لغةً واصطلاحاً

معنى الأخلاق (لغة):

جاءت كلمة الخُلُق في كتب اللغة بمعنى الإيجاب بتقدير وحكمة يقال: خلقت الأديم: إذا قدرته قبل القطع، وفلان خَلِيق بكذا: أي جدير به، وقد خُلِقَ لذلك بالضم كأنه ممن يُقَدَّر فيه ذلك وترى فيه مخائله⁽⁴⁾.

والخليقة: الخُلُق، وجمعها الخلائق، والخليقة: الطبيعة التي يُخَلَق بها الناس والخلقة الفطرة⁽⁵⁾.

قال أبو زيد: «إنه لكريم الطبيعة والخليقة والسليقة⁽⁶⁾».

والخُلُق والخُلُق: السجية، يقال: «خالص المؤمن وخالق الفاجر»⁽⁷⁾.

وقال الراغب: «الخُلُق والخُلُق في الأصل واحد، لكن خُصَّ الخُلُق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصَّ الخُلُق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة»⁽⁸⁾.

ومن خلال ما مضى من المعنى اللغوي لكلمة الخلق يتبين أن الخلق له معنيان:

- خلق يدلُّ على الصفات الطبيعية في خلق الإنسان الفطرية.
 - خلق يدلُّ على الصفات المكتسبة التي أصبحت كأنها خلقت مع طبيعته.
- معنى الأخلاق (اصطلاحاً):

قال الجرجاني: "الخلق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة سُميت خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً..."⁽⁹⁾.

4 الصحاح، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤ ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ - م (٤/١٤٧٠)، مادة: خلق.

5 (لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري دار صادر، بيروت، ط ٣ ١٤١٤ هـ (10/86)، خلق.

6 تهذيب اللغة، للأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق وتقديم: عبدالسلام هرون الدار المصرية للكتاب والترجمة مصر (7/25).

7 الصحاح، للجوهري (4/1471)، خلق.

8 المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم - دار الشامية، دمشق - بيروت، ط ١٤١٢ هـ: (158).

9 التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني تحقيق جماعة من العلماء بإشراف دارالنشر بيروت لبنان ط أولي 1403 هـ: (113).

المبحث الثاني: التعريف بموسى بن عمران عليه السلام واختياره لأرض مدين أولاً التعريف بموسى:

اسمه: هو: موسى بن عمران بن قاهت بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام.
مولده: ولد بمصر، ونشأ بها، وكان ذلك في زمن فرعون⁽¹⁰⁾.

صفته: كان عليه السلام أدم البشرة، والأدمة هي السمرة⁽¹¹⁾. ذو شعر جعد، وهو خلاف السَّبَطُ طويلاً، شبه برجال بني شنوءة⁽¹²⁾⁽¹³⁾. وهو أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم، أرسله الله إلى بني إسرائيل بالتوراة. وأشهر أخباره التي قصها القرآن الكريم قصته عليه السلام مع فرعون وقومه، فقد بعثه الله إلى فرعون بعد تكبره وتجبره وادعائه الإلهوية.

قال تعالى: ﴿ طَسَمَ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِ نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص: 1 - 6]. ومن أخباره أيضاً قصته عليه السلام مع الخضر، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أBRحَ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنِنَا غَدَاءٌ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْتِينَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ غَاطِرُهَا فَصَصَا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَيَّ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ

10 التعريفات للجرجاني (114).

11 أنظر: لسان العرب (11/12) مادة: آدم، ومادة جعد.

12 شنوءة: أرض باليمن تنسب إليها قبيلة من الأزد. أنظر: معجم البلدان لابراهيم المقهي (3/368).

13 المعارف، لابن قتيبة لدينوري تحقيق: ثروت عكاشة الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط2، 1992 م (43).

خَرَفَهَا قَالَ أَخْرِقْهَا نُغْرِقْ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تَرَهِّقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا لَيْعَاءُ غُلَامًا فَقَالَتْ: قَالَ أَقْنَتِ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقًا حَتَّى إِذَا أَنْبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَانِيْتُكَ بِنَاوِيلٍ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السِّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبُوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿الكهف: 60-83﴾.

وقصته مع قارون، قال تعالى: ﴿إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبِعَى عَلَيْهِمْ وَأَعَانَتْهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ، لِنُؤَا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿القصص: 76﴾.

بالإضافة إلى قصصه مع بني إسرائيل مثل دخول بني إسرائيل التي، وعبادتهم العجل في غيبته عليه السلام وقصة بقرة بني إسرائيل.

وقد تناول المؤرخون ما جاء في قصصه عليه السلام مع بني إسرائيل بكثير من التفصيل⁽¹⁴⁾.

فضائله: من ذلك أنه من أولي العزم من الرسل اصطفاه الله تعالى بمنجاة، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿النساء: 164﴾ وكلمه من غير واسطة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَحَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الأعراف: 143﴾. قال تعالى: ﴿قَالَ يَمْؤِسِي إِيَّيْ أَصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ يَرْسَلَنِي وَبِكَلْبِي فَخَذُ مَا

14 البداية والنهاية، لابن كثير، طبعة دارين كثير: (1/222-297).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

ءَاتَيْتَكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿ [الأعراف: 144].

كان عليه السلام «رجلاً حياً ستيراً»⁽¹⁵⁾.

وفاته: ذكر أهل الكتاب أنه مات وعمره مائة وعشرون سنة⁽¹⁶⁾. وقد جاء عند البخاري في صحيحه وفاته عليه السلام في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "أُرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عنيه، وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور، فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن، فسأل الله أن يُدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر..."⁽¹⁷⁾.

ثانياً: اختيار موسى لأرض مدين: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿ [القصص: 22]. دلت الآية الكريمة على هجرة كلیم الله موسى عليه السلام إلى أرض مدين.

ومدين قيل: هي اسم لموضع البئر التي استقى منها موسى عليه السلام أنعام البنتين⁽¹⁸⁾. وقيل: قوم من ذرية إبراهيم لصلبه⁽¹⁹⁾، وقيل هي المدينة التي أهلك الله فيها أصحاب الأيكة، ويمكن الجمع بين القولين بأن مدين اسم لموضع البئر، وهذا الاسم لقبيلة مدينة قوم شعيب، ذكر ذلك الفخر في تفسيره⁽²⁰⁾.

وقد عدها ياقوت الحموي من كور مصر القبليّة⁽²¹⁾. وتقع على الشاطئ الغربي من البحر الأحمر، غرباً من تبوك في شمال الحجاز، وهي في محافظة البُدع الآن⁽²²⁾. وحدد المفسرون المسافة بينها وبين مصر بأنها مسيرة ثمانية أيام⁽²³⁾.

15 الجامع الصحيح للبخاري، كتاب بدء الخلق (باب 28 ح*) 3404.

16 البداية والنهاية لابن كثير (1/295).

17 الجامع الصحيح للبخاري، كتاب الجنائز (باب 68 ح1339).

18 أنظر: التفسير الكبير، للفخر الرازي دار الفكر 1401-1981 ط1 (238/24) وزاد المسير، ابن الجوزي (15/3).

19 زاد المسير لابن الجوزي تحقيق عبدالرزاق المهدي دار الكتاب العربي بيروت ط أولى 1422 (155/3)، والتحرير والتنوير، لمحمد بن عاشور (98/20).

20 التفسير الكبير (238/24).

21 معجم البلدان، لياقوت الحموي، دارصادر بيروت، ط1 (77-78).

22 أنظر: الآثار في شمال الحجاز، لعمود بن ضاوي القثامي ط2 1991 (289/1).

23 زاد المسير، ابن الجوزي (155/3)؛ تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف أبي حيان (112/7).

وعند ابن عاشور: مسافة ثمانمائة وخمسين ميلاً تقريباً⁽²⁴⁾. ولاختيار موسى عليه السلام لديار مدين احتمالات منها:

- أنه اختارها لقربها مصر⁽²⁵⁾.
- أنه خرج وما قصد مدين، ولكنه سلم نفسه إلى الله تعالى وأخذ يمشي من غير معرفة، غير عالم إلى أين يتجه، ولا من سيجد في وجهته، فألهمه الله تعالى أن يقصد بلاد مدين. وهو ما دلت عليه الآية الكريمة: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾. [القصص: 22] أي تجاه مدين.
- أنه قصد بوجهه مدين حيث لا ملك فيها لفرعون⁽²⁶⁾؛ لقول صاحب مدين لموسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَجَاءَهُنَّ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. [القصص: 25].
- أنه على علم أن بمدين نبياً صالحاً من ولد مدين بن إبراهيم⁽²⁷⁾. وهذا القول فيه نظر لعدم ثبوت التقاء موسى عليه السلام بهذا النبي الصالح، وإنما الذي ثبت أنه التقى برجل صالح⁽²⁸⁾. وقد بينت الآية الكريمة بلوغ ووصول موسى عليه السلام أرض مدين في قوله: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ [القصص: 23]، لأن الورد بمعنى الوصول إلى الشيء، وبمعنى الدخول، وكان قد خرج إليها بغير زاد ولا ظهر، ولم يكن له بالطريق علم.

المبحث الثالث: تحقيق اسم أب المرأتين واسمهما

اختلف المفسرون في أب المرأتين على أقوال:

أحدها: أنه شعيب النبي عليه السلام الذي أرسل إلى أهل مدين، قاله الحسن البصري⁽²⁹⁾، والسدي.

24 التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ (98/20).

25 التفسير الكبير (238/24).

26 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي (13/4).

27 التفسير الكبير (238/24).

28 راجع تفصيل المسألة عند عنوان تحقيق اسم أبي المرأتين.

29 جامع البيان، للطبري: تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (م11، ج62/20).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

ومالك بن أنس⁽³⁰⁾. وهو المشهور عند كثير من العلماء⁽³¹⁾.

الثاني: ذهب بعضهم إلى القول بأنه ليس في الآية ما يدل على أنه شعيب - عليه الصلاة والسلام-. قال الطبري: «وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخير، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه...»⁽³²⁾. وقال الفخر الرازي: «ليس في القرآن ما يدل على أن أباهما كان شعيباً»⁽³³⁾. وقال آخرون: كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة.

كما رده أيضاً الشيخ السعدي في تفسيره بقوله: «وهذا الرجل أبو المرأتين، صاحب مدين ليس شعيب النبي المعروف، كما اشتهر عند كثير من الناس، فإن هذا قول لم يدل عليه دليل، وغاية ما يكون أن شعيباً عليه السلام قد كانت بلده مدين، وهذه القضية جرت في مدين، فأين الملازمة بين الأمرين؟ وأيضاً فإنه غير معلوم أن موسى أدرك زمان شعيب، فكيف بشخصه؟! ولو كان ذلك الرجل شعيباً لذكره الله تعالى، ولسمّته المرأتان، وأيضاً فإن شعيباً عليه الصلاة والسلام قد أهلك الله قومه بتكذيبهم إياه، ولم يبق إلا من آمن به، وقد أعاد الله المؤمنين به أن يرضوا لبنتي نبيهم بمنعها عن الماء، وصد ماشيتهما حتى يأتيهما رجل غريب، فيحسن إليهما، ويسقي ماشيتهما، وما كان شعيب ليرضى أن يرعى موسى عنده، ويكون خادماً له، وهو أفضل منه، وأعلى درجة إلا أن يقال: هذا قبل نبوة موسى، فلا منافاة. وعلى كل حال؛ لا يعتمد على أنه شعيب النبي بغير نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم والله أعلم⁽³⁴⁾.

الثالث: ذهب بعضهم إلى أن الذي استأجر موسى عليه السلام هو ابن أخي شعيب، واسمه: يثرون، وبعضهم قال: يثرى. ومما يضاف إلى ما سبق من الأقوال: إنه قد يكون اسم الرجل شعيباً تيمناً بنبي شعيب - عليه السلام -؛ لأنه من أهل (مدين) ولذلك جاء الخلط بين النبي والرجل أبي المرأتين. والراجح ما قام عليه الدليل، ولا دليل على أنه شعيب عليه السلام، والأولى أن يقال: صاحب مدين أو أبو المرأتين أو نحو ذلك، والله أعلم.

30 تفسير القرآن العظيم، لابن كثير تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية ط، ١٤١٨ هـ. (396/3).

31 أنظر: زاد المسير (95/6): التفسير الكبير (240/24).

32 جامع البيان (62/20).

33 التفسير الكبير (240/24).

34 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي (6/4).

ثانياً: تحقيق اسم المرأتين: إنه ليس في تحقيق اسم المرأتين مصلحة ظاهرة، ولا يبنى على ذلك حكم شرعي، وليس في ظاهر الآية ولا في القرآن ما يدل على شيء، ولكن أشير باختصار إلى ما ورد حول اسميهما عند المفسرين تمهيداً لهذه القصة. قال بعضهم: اسم الجاريتين «ليّا، وطفورا»⁽³⁵⁾.

وقال آخرون: (صبورا) اسم الكبرى، والصغرى (عبورا)⁽³⁶⁾. وقال غيرهم: (صفرا)، و (صفيرا)⁽³⁷⁾.

وأكثر المفسرين على أن التي جاءت إلى موسى عليه السلام هي الكبرى⁽³⁸⁾.

ويلحظ أنّ جميع هذه الأسماء، باستثناء (ليا) تدرج تحت رسم واحد يمكن أن يتشكل منه عدد من الأسماء عند تصحيفه، وعلى أية حال فإن هذه الأسماء يصح أن يقال عنها ما ذكره الفخر الرازي: "وليس في القرآن دلالة على شيء من هذه التفاصيل"⁽³⁹⁾.

المبحث الرابع: خلق الحياء وإغاثة الملهوف

أولاً: خلق الحياء:

تعريف الحياء (لغة):

والحياء والاستحياء بمعنى واحد، والحياء: مصدر قولهم حَيِيَ، التي تدل على الاستحياء الذي هو ضد الوقاحة، قال أبو زيد: «حييت منه أحيا، إذا استحييت»⁽⁴⁰⁾. وقال ابن منظور: «الحياء: التوبة والحشمة، يقال حيي منه حياء، واستحيا، واستحي حذفوا الياء الأخيرة كراهية التقاء الياءين»⁽⁴¹⁾.

وقال الجوهري: «واستحياه واستحيا منه بمعنى (واحد) من الحياء، ويُقال: استحيت (بياء واحدة) وأصله استحييت، فأعلوا الياء الأولى؛ وألقوا حركتها على الحاء قال استَحَيْتَ»⁽⁴²⁾.

35 أنظر: المصدر السابق (20/62).

36 زاد المسير (6/94).

37 التفسير الكبير (24/240).

38 زاد المسير (6/94)؛ التفسير الكبير (24/240).

39 التفسير الكبير (24/240).

40 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (2/122) مادة: حيي.

41 لسان العرب، لابن منظور (14/211) مادة: حيا.

42 الصحاح، للجوهري (6/2324) مادة: حيا.

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

وأما تعريفه اصطلاحاً فمعانيه متقاربة، نذكر بعض منها:

- 1- قال الراغب الأصفهاني: «الحياء: انقباض النفس عن القبائح وتركها»⁽⁴³⁾.
- 2- وقيل: هو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به⁽⁴⁴⁾.
- 3- وقال الجرجاني: «هو انقباض النفس من شيء وتركه حذراً عن اللوم فيه»⁽⁴⁵⁾.
- 4- ويقال: خلق يبعث على ترك القبح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق⁽⁴⁶⁾.

والحياء بهذا المعنى من مكارم الأخلاق، وقد يختلط عند البعض بينه وبين الجبين، مع أنّ الفارق بينهما كبير، وهما على طرفي نقيض؛ فصفة الحياء من الصفات المحمودة، التي تدلُّ على نقاء السريرة، وكمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»⁽⁴⁷⁾. وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء والإيمان قُرنا جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»⁽⁴⁸⁾.

أنواع الحياء:

قال أبو الحسن الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» الحياء في الإنسان قد يكون علي ثلاثة أوجه:

- 1- حيأؤه من الله تعالي بتمثال أوامره والكف عن زواجه.
 - 2- حيأؤه من النَّاس يكون بكف الأذى وترك المجاهرة بالقبيح.
 - 3- حيأؤه من نفسه فيكون بالعفة من جميع المنهيات.
- وقد يتداخل معنى الحياة مع معنى الجبن، ولا بد من توضيح: أمَّا الجبن فقد جاءت الأحاديث في النهي عنه، والتعوذ منه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال: «إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من خمس: من البخل، والجبن وفتنة

43 المفردات في غريب القرآن (140) مادة: حيي.

44 فتح الباري (52/1)، موسوعة نضرة النعيم، للدكتور صالح بن حميد وآخرين (1/1797).

45 التعريفات للجرجاني، : تحقيق جماعة من العلماء، دارالنشر بيروت لبنان ط1، 1403هـ (94).

46 فتح الباري (52/1)، موسوعة نضرة النعيم، للدكتور صالح بن حميد وآخرين (1/1797)، وانظر:

مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: لابن قيم الجوزية (2/270).

47 الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب الإيمان (باب 3ح9).

48 الحاكم (1/22) وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم وافقه الذهبي. الإيمان لابن أبي شيبة.

الصدر⁽⁴⁹⁾، وعذاب القبر، وسوء العمر⁽⁵⁰⁾. ومعني فتنة الصدر قبل هو أن يموت غير تائب، وقيل هي: موته وفساده، وقيل: ما ينطوي عليه الصدر من غل وحسد وخلق سيء وعقيدة غير مرضية.

وذكر في كتاب موسوعة أخلاق القرآن. في الفرق بين الحياء والجبن: «فالحياء: تورع عن عمل أو قول لا يليق بالكريم، وأما الجبن: فتقاعس عن واجب يلزم أن ينهض الإنسان إليه ويقوم به، والحياء ليس ضعفاً أو نقصاً، والمعيب في هذا المجال هو الإسراف في صفة الحياء حتى يضعف صاحبها عن الإقدام على الشيء الحسن النافع خوفاً من الذم»⁽⁵¹⁾.

صفة الحياء من أبرز الصفات الخلقية التي أخذت حيزاً أكبر في قصة موسى عليه السلام مع المرأتين، وهي صفة تعد من مكارم الأخلاق، ومن أخلاق القرآن الكريم، وتدلُّ على طهارة النفس، ويقظة الوازع الديني، ومراقبة الله تعالى، وهي أصل لكل خير، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : «وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلها وأعظمها قدراً وأكثرها نفعاً، بل هو خاصة الإنسانية فمن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم وصورتها من الظاهرة، كما أنه ليس معه من الخبر شيء، ولولا هذا الخلق لم يُفَرِّ الضيف، ولم يُوف بالوعد، ولم تؤد الأمانة، ولم تقض لأحد حاجة...»⁽⁵²⁾.

وقد جاءت صفة الحياء بمظاهر مختلفة في قصة ابنتي صاحب مدين، قال تعالى: ﴿جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: 25]، وفي هذه الآية قد أُتي بدلائل على أهمية هذه الصفة الفضيلة، وعلو مكانتها؛ منها: التصريح بالصفة في قوله: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ وأيضاً صيغة المبالغة إذ إن الاستحياء مبالغة في الحياء، كما أن لفظ «جاءته» يغني عن قول «تَمْشِي»، ولكن جاء به ليبين عليه قوله: ﴿عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ليصف هيئة المجيء، وما عنده من الاستحياء التام، بالإضافة إلى ما يدلّه حرف «على» من الاستعلاء؛ للتمكن من الوصف⁽⁵³⁾.

49 عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي داود، تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان ج4، ص400، باب الاستعاذة (ح1525).

50 أحمد (1/22)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند (1/290): «إسناده صحيح»، سنن أبي داود: الاستعاذة رقم 367 (ح: 1539)، سنن النسائي بشرح السيوطي: الاستعاذة (ح: 5512).

51 موسوعة أخلاق القرآن، للدكتور أحمد الشرباصي (1/88).

52 مفتاح دار السعادة، لابن القيم الجوزية (1/277).

53 أنظر: التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور (20/103).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

وقد ذكر المفسرون في معنى قوله: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ ﴿أَنَّ إِحْدَى الْمُرَاتَيْنِ اللَّتَيْنِ سَقَى لَهُمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاءَتْهُ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ مِنْهُ، وَقَدْ سَتَرَتْ وَجْهَهَا بِثُوبِهَا، قَالَ بِذَلِكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ⁽⁵⁴⁾. وَقِيلَ أَيْضاً مَعْنَى الْآيَةِ: «أَنَّهَا مُسْتَحْيِيَةٌ فِي مَشْيِهَا؛ أَي تَمْشِي غَيْرَ مُتَبَخَّرَةٍ وَلَا مُتَنِيَّةٍ، وَلَا مُظْهِرَةَ زِينَةٍ»⁽⁵⁵⁾. وَعَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «بَعِيدَةٌ مِنَ الْبِذَاءِ»⁽⁵⁶⁾.

وعن عمرو بن ميمون قال: «ليست بسَلْعٍ مِنَ النِّسَاءِ، حَرَاجِهِ، وَوَلَا جَةَ وَاضِعَةً ثُوبِهَا عَلَى وَجْهِهَا»⁽⁵⁷⁾. ومما يدلُّ على عدم تبخترها، أو تكسرهما في الكلام، وأنها بعيدة عن كل ما يريب، ما يدل على عففتها، وبالغ حياؤها مخاطبتها لموسى عليه السلام بكلام موجز مختصر بأقصر وأدل لفظ بقولها: ﴿إِنَّكَ أَيْ يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَنَّكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: 25].

قال سيد قطب: «فمع الحياء الإبانة، والدقة والوضوح، لا التلجُّج والتعثر، والريكة، وذلك كذلك من إحياء الفطرة النظيفة السليمة المستقيمة، فالفتاة القويمة تستحي بفطرتها عند لقاء الرجال، والحديث معهم، ولكنها لثقافتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب الاضطراب الذي يُطْمَع، ويُغْرِي، ويُهَيِّج، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ولا تزيد»⁽⁵⁸⁾، وهذا التَّصَرُّف فيه ما يدل على كمال عقلها، وعففتها، وذلك لأنها أسندت الدعوة إلى أبيها، وعلت ذلك بالجزاء على ما فعل؛ لئلا يفهم من دعوتها ريبة أو شك.

ومن مظاهر الحياء في قصة المرأتين أيضاً: عدم مخالطتهما، ومزاحمتهما للرجال. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23].

• وهذا الفعل منهما يؤخذ منه ما مرَّ بنا من تعريف الحياء، والذي جاء فيه أنه «خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ نَبِيٍّ حَقٌّ» فصدودهما عن المخالطة بالرجال لم يمنعهما من القيام بحق المحافظة

54 جامع البيان، للطبري (60/20)؛ الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (270/13).

55 التحرير والتنوير (103/20).

56 جامع البيان (60/20)؛ الجامع لأحكام القرآن (270/13).

57 المرجعان السابقان، والسلف من الرجال: الجسور، ومن النساء: الجريئة السليطة، ومن النوق: الشديد.

أنظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل الجوهري: (1231/3) مادة (سلف).

58 في ظلال القرآن لسيد خطب ط دارالشروق 1424هـ (2687/5).

- على مال أبيهما، والمتمثل برعي الغنم؛ لا سيما أنه لا يوجد من يقوم عنهما.
قال ابن عاشور: "أجابنا بأنهما كرهتا أن تسقيا في حين اكتظاظ المكان بالرعاء، وأنهما تستمران على عدم السقي - كما اقتضاه التعبير بالمضارع - إلى أن ينصرف الرعاء⁽⁵⁹⁾."
• - ومن حياتهما أيضاً - عدم مزاحمتها للأجانب من الرجال وهذا منشؤه المروءة، والتربية الصالحة، فهما لا يسقيان حتى يصدر الرعاء، فلا يبقى الزحام، وقد جاء في معنى قوله: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ﴾ أي: لا نستطيع أن نزاحم الرجال⁽⁶⁰⁾.
• ومن حياتهما أنهما ابتعدتا فترة تزاحم الأمة من الناس على بئر الماء للسقي خشية من مزاحمة الرجال، أو الاختلاط بهم، قال ابن عاشور: "قوله من دونهم" أي أنهما في مكان غير المكان الذي حول الماء، أي في جانب مبادئ الأمة من الناس؛ لأن حقيقة كلمة "دون" أنها وصف للشيء الأسفل من غيره... فـ "دون": بمعنى جهة يصل إليها المرء بعد المكان الذي فيه الساقون"⁽⁶¹⁾.

وقولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23] هو تسويغ تواجدهما مع الرجال حين أنكر عليهما موسى عليه السلام ذلك، بسبب وجود رجل يقوم لهما بالمهمة.

وهذا الاعتذار منهما مظهر من مظاهر الحياء؛ إذ أدليا به حذراً من الذم ولكيلا يُعاب عليهما حضورهما مع الرجال، فالعذر لغة هو: لَوْمُ الإنسان إصلاح ما أنكر عليه بكلام⁽⁶²⁾. والعذر: الحجة فوجودهما مع الرجال من القبيح المنافي للحياء، ولكن بيان السبب في تواجدهما يذهب ما قد يتبادر للذهن من تعارض ما قد وصفت به إحداهما من الحياء المتمثل في هيئة مجيئها وكلامها، وبين حضورهما مع الرجال للسقي، وهذا العذر أيضاً يدل على كمال العقل وحياتهما منه؛ إذ العذر ما هو إلا تعريض بطلب المعونة من موسى عليه السلام ومنعهما الحياء بالتصريح بالمعونة، قال تعالى: ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: 23]. فحين سألهما موسى

59 التحرير والتنوير (100/20).

60 زاد المسير، لابن الجوزي (94/6).

61 زاد المسير لابن الجوزي (94/5).

62 موسوعة نضرة النعيم (388/2).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

عليه السلام عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك إنا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا، وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به»⁽⁶³⁾.

ومن حياء إحداهما: تعريضها لأبيها بطلب استئجار موسى عليه السلام للعمل، ولم تطلب شيئاً أكبر وأصرح. هذا وقد أدرك موسى عليه السلام حياء المرأتين وقدَّرَه وراعى ذلك منهما، وقد تمثل في: سؤاله لهما بعبارة مختصرة جداً في قوله: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ [القصص: ٢٣]. ومبادرته المباشرة للسقي لهما فور انتهاء إجابتهما له، ومن غير أن يسألها سؤالاً آخر أو يطيل الكلام معهما ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾^(٢٣) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴿[القصص: ٢٣ - ٢٤].

لم يتحدث معهما بعد أن انتهى من السقي لهما، قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ [القصص: 24].

• مشيه أمام المرأة وهو ناهب إلى أبيها، فقد جاءت الرواية عند ابن كثير أنه لما تقدمت أمامه قال لها: "كوني ورائي"⁽⁶⁴⁾.

ومن خلال ما مر بنا نجد أنّ الحياء الواضح على هيئتهما، وكلامهما، وانفعالهما، وهو الحياء المطلوب الذي فيه البعد عن قبيح الأفعال والأقوال، وترك ذلك كله، والإقدام، وأخذ الحق، وعدم التراجع، أو الجبن عن فعل أو قول حق؛ فهو حياء مرغوب مصحوب بشجاعة مطلوبة، وهذه الصفة من المظاهر والجوانب المستحبة والتي حث عليها ديننا.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "دعه فإنَّ الحياء من الإيمان"⁽⁶⁵⁾.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم قال:

63 الكشاف، للزمخشري (162/3).

64 تفسير ابن كثير 4/396.

65 الجامع الصحيح: للبخاري، كتاب الإيمان: (باب 16، ح: 24)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان: (باب 11، ح: 59) واللفظ لمسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير»⁽⁶⁶⁾.

سؤال لماذا قلّ أو كاد أن لا يوجد هذا الخلق في عصرنا الحاضر؟ وأصبح التعامل ببعض الأخلاق خاصة الحياء والمروءة لمصلحة وأهداف؟. الله المستعان.

ثانياً: إغاثة الملهوف:

والإغاثة (لغةً): مصدر قوله: أغاثة يغيثه، وهو مأخوذ من مادة (غوث) التي تدلّ على الإعانة، والنصرة عند الشدة⁽⁶⁷⁾.

وإصطلاحاً: تقديم الغوث: وهو التخليص من الشدة، والنقمة، والعون على الفكك من الشدائد⁽⁶⁸⁾. ويقصد بالملهوف: المظلوم، والمضطر⁽⁶⁹⁾.

وإغاثة الملهوف خلقٌ كريم، والقيام به دال على همة عالية، والمبادرة إليه من فرص الخير التي يحصلها أصحاب الإيمان والمروءة، ويسارعون في اغتنامها. وقد تحلى بها الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين، وهم القدرة التي يقتدى بها.

إنّ تقديم العون والنصرة لمن يحتاج إليهما خلقٌ مجبول عليه أصحاب الفطر السليمة، ومن المكارم التي تحفز إليها النفوس للعمل بهما، لكسب الأجر وتحصيله، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوم جلوس في الطريق قال: «إن كنتم لابد فاعلين فاهدوا السبيل وردوا السلام وأغيثوا المظلوم»⁽⁷⁰⁾.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على كل مسلم صدقة» قالوا يا نبي الله: فمن لم يجد؟ قال: «يعمل بيده ويتصدق»، قالوا فإن لم يجد؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنّهما له صدقة»⁽⁷¹⁾. قال الله تعالى حكاية عن موسى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَىٰ

66 الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب: الأدب، (باب 77 ح: 6117).

67 معجم مقاييس اللغة، مادة (غوث) (400/4).

68 تاج العروس، للزبيدي (214/5).

69 الصحاح، للجوهري (1429/2) (ل.ه.ف).

70 مسند الامام احمد (291/4).

71 الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب الزكاة، (باب 30 ح: 1445).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

الظِّلِ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَأْنُزَلَتْ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿ [القصص: 23 - 24] .

- فمن من الآيات تمثلت صورة خلقه، وهو إغاثته للملهوف المضطر فيما يلي:
- شففته ورحمته بالضعيفتين في كون أنهما امرأتان، وقد خرجتا في وسط النهار، وحرَّه؛ فأنكر عليهما وضعهما شفقة بهما؛ فَرَقَّ لِحَالِهِمَا وَقَالَ: ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ ؟؛ والسؤال عن الخطب كما قال ابن عطية: «إنما هو في مصاب أو مضطهد أو من يشفق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر»⁽⁷²⁾، وهذا الصنيع من كليم الله موسى عليه السلام تلبية لداعي المروءة والشهامة، وإغاثة الملهور ونجدته.
- سرعة استجابته لنجدة المرأتين فهو ما إن سألهما عن مطلوبهما وسبب تواجدهما بقرب بئر الماء وانزوائيهما عن الرجال، وما أن انتهتا من الإجابة حتى بادر بسرعة السقي لهما وهو ما تقتضيه الفاء في قوله بعد سؤالهما- ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ﴾، فبالرغم مما هو عليه من الإعياء والجوع بعد قطعه المسافات - هرباً من فرعون، ووجلاً من أن يتمكن منه- فقد روي أنه زاحم على الماء حتى سقى لهما؛ كل ذلك رغبة في الثواب على ما كان به نصب السفر، وكثرة الجوع، حتى كانت تظهر الخضرة في بطنه من البقل⁽⁷³⁾. وقيل: مشى حتى سقط أصله، وهو باطن القدم، ومع ذلك أغناهما وكفاهما أمر السقي.
- اغتنامه لفرص الخير، فرغم ما كان عليه حاله من النصب والجوع إلا أنه أسرع لنجدة المرأتين الضعيفتين احتساباً للأجر، واغتناماً لفرص الخير على الرغم من وجود المعاذير الحقيقية التي كانت تعوقه عن صنع الخير، ولكن الفرصة قد لا تتكرر.

قال الزمخشري: ”روي أنه دفع البنيتين عن الماء حتى سقى لهما، وإنما فعل هذا رغبة في المعروف، وإغاثة الملهور“ - ثم قال - «والمعنى أنه وصل إلى ذلك، وقد ازدحمت عليه أمة من أناس مختلفة، متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم، فما أخطأت همته في دين الله تلك الفرصة، مع ما كان

72 المحرر الوجيز (4/283).

73 تفسير البحر المحيط، لأبي حيان (7/113-114): المحرر، لعبد بن غالب بن الحق بن غالب بن عطية (4/284).

به من النصب، وسقوط خف القدم، والجوع، ولكنه رحمهما، فأغاثهما، وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه، وقوة ساعده، وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة، ورياسة الجبلية. وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير، وانتهاز فرصة، وبعث على الاقتداء في ذلك بالصالحين، والأخذ بسيرهم ومذاهبهم⁽⁷⁴⁾. هذا وإن في التحلي بإغاثة الملهوف ووسيلة لاستجابة الدعاء، قال تعالى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [القصص: 24]. فقد طلب موسى عليه السلام ربه أن يطعمه قال بعض المفسرين: «أظنه طلب في قوله: ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾. ما يأكله، وكان قد بلغ به الجوع واخضر لونه من أكل البقل في بطنه، وإنه لأكرم الخلق على الله⁽⁷⁵⁾. وقد استجاب الله تعالى لدعاء موسى عليه السلام فأكرمه بالنجاة من القوم الظالمين، واطمأنت نفسه، واستقر حاله، تمثل ذلك بإيجاده للعمل الذي هو قوام الحياة، واستقرار نفسه بنكاحه من المرأة الصالحة.

المبحث الخامس: الأمانة وإكرام الضيف

أولاً: الأمانة لغةً:

دلالات الأمانة كثيرة وهي مصدر من أمن، والهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان متدانيان. قال الخليل: «الأمانة من الأمن، والأمان: إعطاء الأمانة، والأمانة: ضد الخيانة»⁽⁷⁶⁾.

والأمن: ضد الخوف، والأمانة: الأمن، والأمانة أيضاً: الذي يثق بكل أحد، وكذلك الأمانة⁽⁷⁷⁾. والأمين: المؤمن. ورجل أمانة: بالفتح للذي يصدق بكل ما يسمع، ولا يكذب بشيء، ورجل أمانة أيضاً: إذا كان يطمئن إلى كل واحد، ويثق بكل أحد⁽⁷⁸⁾.

قال: د. أحمد الشرباصي: «ونلاحظ أنّ هنالك ثلاثة ألفاظ من مادة الألف والميم

74 الكشف (3/161-162).

75 تفسير البحر المحيط، لأبي حيان (7/112).

76 معجم مقاييس اللغة (1/133) مادة: أمن.

77 الصحاح، للجوهري (5/2071) مادة: أمن.

78 لسان العرب، لابن منظور (13/21) مادة: أمن.

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

والنون، وبينها علاقة، وهذه الكلمات هي: الأمن، والأمانة، والإيمانة، والمعنى المشترك بينها هو الاطمئنان؛ لأنَّ الأمانة تدلُّ على الثقة، والثقة اطمئنان، والأمن عدم الخوف، وعدم الخوف اطمئنان، والإيمان: تصديق وإذعان⁽⁷⁹⁾. وفيهما استقرار واطمئنان⁽⁸⁰⁾.

ثانياً الأمانة اصطلاحاً:

الأمانة بمعناها الاصطلاحي: قال الكفوي: «الأمانة: كل ما يؤتمن عليه من أحوال، وحُرم، وأسرار، فهو أمانة»⁽⁸¹⁾. وقيل: هي خُلُق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له به حق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه دون أن يكون عرضة للإدانة عند الناس، ويؤدي للإدانة عند الناس⁽⁸²⁾ وقال أيضاً: «الأمانة كل ما افترض الله على العباد فهو أمانة»

وقال د. الشرباصي: «الأمانة بمعناها الأخلاقي شعور بالتبعية، واحتكام إلى الضمير اليقظ، ونهوض بالرعاية لكل ما في عهدة الإنسان من شيء حسي أو معنوي»⁽⁸³⁾.

فالأمانة خلق جليل من أخلاق الإسلام وأسس من أسسه، وفريضة عظيمة حملها الإنسان، بينما رفضت السماوات والأرض والحبال يحملنها لثقلها وحملها الإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

وللأمانة دلالات كثيرة منها: الدين، والأعراض، والولاية، والوصاية، والشهادة، والقضاء، والكتابة، ونقل الحديث، والأموال، والأجسام، والأرواح، والمعارف، والعلوم والأسرار، والرسالات، والسمع، والبصر، وسائر الحواس وغيرها.

79 قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - أكثر أهل العلم يقولون: إن الإيمان في اللغة التصديق ولكن في هذا نظر.... ثم قال - لو فُسر «الإيمان» بـ «الإقرار» لكان أجود؛ فنقول الإيمان: الإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق... وهو اختيار ابن تيمية في معنى الإيمان لغة الإقرار. أنظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، مراجعة وتقديم د/ عبدالرحمن آل محمود، إعداد عبدالله بن عبدالحميد الأثري، ص 21 و 23.

80 موسوعة أخلاق القرآن، للشرباصي (15/2).

81 الكليات، للكفوي (فصل الألف والميم) (1/292).

82 موسوعة نظرة النعيم (3/509).

83 موسوعة أخلاق القرآن (15/2).

ومن أبين الآيات تفسيراً في مجال أمانة العرض، والمحافظة عليه، وصيانتها قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَجِرْهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: 26]. قال المفسرون في جانب الأمانة التي وصف بها موسى عليه السلام:

- أمانته لأنه أمرها أن تمشي خلفه، فروي أنه عليه السلام لما جاءت ابنة شعيب بالرسالة قام يتبعها، فهبت ريح فضمنت قميصها، فوصف عجزتها فترحّج موسى عليه السلام من النظر إليها فقال: ارجعي خلفي، وأرشديني إلى الطريق بصوتك⁽⁸⁴⁾.
- وقيل: إن موسى قال ابتداءً: كوني ورائي، فإنني رجل عبراني لا أنظر في أدبار النساء، ودليني على الطريق يميناً ويساراً⁽⁸⁵⁾.

وقد وصف سيد قطب ما نقله المفسرون من أقوال في أمانة موسى بأنه "تكلف لا داعي له ودفع لريبة لا وجود لها" - ثم قال - «وموسى عليه السلام غفيف النظر نظيف الحس»⁽⁸⁶⁾.

قلت: قول الشيخ سيد قطب فيه نظر؛ لأنه لا يمنع كون موسى عليه السلام غفيف النظر نظيف الحس، مع أقوال المفسرين في أمانته؛ لأن الاحتراز والبعد عن كل ريبة هي من عفة النظر ونظافة الحس.

ومما يؤكد أقوال المفسرين بأن الأمانة في هذه الآية هي ما يؤمن عليه الإنسان من الأعراس - على اختلاف الروايات في قصتها - أن صاحب مدين أنكحه ابنته بقوله بعد وصفه بالأمانة: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِكَ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَهُ الْوَيْلِيُّ﴾ [القصص: 27]. فالمنكح الصالح لا ينظر إلى الناكح إذا لم يكن أميناً على عرضه مهما كان فيه من الوصف، والكمال. أضف إلى أمانته في العرض، أمانته على الأموال، فقد أوكل إليه صاحب مدين أمر الرعي والمحافظة عليه قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِمَا نُنَادِي بِكَ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَلِّمَهُ الْوَيْلِيُّ﴾ [القصص: 27]، ومعنى «تأجرني» تصبح

84 أنظر: جامع البيان (20/63)؛ معاني القرآن، للفراء (3)؛ التفسير الكبير (24/241-242).

85 الجامع لأحكام القرآن (13/271)؛ و زاد المسير (6/95).

86 في ظلال القرآن (5/2688).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

أجيراً عندي، ﴿ثَمَنِي حَجَجَ﴾: أي ثمان سنين⁽⁸⁷⁾. فالأمانة صفة ثابتة في النفس إذا تخلق بها المرء، فإنها تظهر في جميع ما يوكل ويُسند إليه من أقوال أو أفعال، وأشدّها: الأمانة على العرض والمال.

ومما جاء في السنة عن فضل الأمانة ما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: «أخبرني أبو سفيان أن هرقل قال له: سألتك ماذا يأمركم فزعمت أنه يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي»⁽⁸⁸⁾. ويُعدُّ خُلُقُ الأمانة من سمات الرسل وصفاتهم حيث يجب في حقهم الصدق والأمانة والتبليغ والفتنة، من أبرز صفاتهم، قال تعالى على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب - عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧، 125، 143، 162، 187]. وقال تعالى عن يوسف عليه لسلام: ﴿قَالَ إِنَّكَ آلِيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 45]. وقد عُرف الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، واشتهر بين قومه بالأمانة.

ووصف سفير الرحمن جبريل عليه السلام بأنه أمين قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: 19-21]، وهذا يدلُّ على جلاله ومكانة الأمانة وعظم أمرها.

ثانياً: إكرام الضيف:

ومعنى إكرام الضيف لغة:

كرم من كريم، والكريم: هو الكثير الخير الجواد المعطي، الذي لا ينفذ عطاؤه، والكريم الجامع لأنواع الخير، والشرف والفضائل ورحابة الصدر والشهامة، ونُبُل المبادئ.

قيل إن: «الكرم: نقيض اللؤم يكون في الرجل بنفسه، وإن لم يكن له آباء، ويستعمل في الخيل والإبل، والشجر، وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق وأصله في

87 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (4/15).

88 الجامع الصحيح: للبخاري: كتاب الشهادات (باب 28 رقم ح 2681)، وانظر (باب 102 رقم ح 2940)، صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير (باب: 26 ح 1773).

الناس⁽⁸⁹⁾. والضيف يكون واحداً وجمعاً، وأضفت الرجل، وضيّفته إذا أنزلته بك ضيفاً، وقريته. وإكرام الضيف سنة من سنن الأنبياء سنها النبي إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنثِقُ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾^(٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴾^(٢٥) فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿ [الذاريات: 24-26].

وقرى الضيف من حسن الإسلام، ومن كمال الإيمان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...."⁽⁹⁰⁾.

وقد عرضت الآيات العظيمة في قصة صالح مدين وابنتيه مع موسى عليه السلام هذا الجانب الخُلقي وأحاطت بجوانب عدة متعلقة بالضيافة وآدابها، منها ما يلي:

- سرعة مبادرة صالح مدين إلى إكرام موسى عليه السلام بإرسال من يدعوه، فما أن وصلت البنتان إلا وأرسل إحداهما إليه تدعوه لإكرامه، وهو ما تؤذن به: الفاء في قوله: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾، التي تشعر أنه لم يترث صالح مدين في الإرسال وراه، فأرسل من يدعوه، وهو لم يزل عن مكانه في الظل⁽⁹¹⁾. وهنا ظهرت فراسة الأب النبيل في قوله (أكرمي مثواه) وفراسة البنت بإعداد مكان الضيافة وطعامه.

- حسن دعوة الضيف، وذلك بإرسال من اتسمت باللباقة، والحكمة بقولها: ﴿ إِنَّكِ ابْنِي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾، وذلك متمثل بإضافة الدعوة إلى أبيها؛ كي لا يفهم غير ذلك، لا سيما أنها امرأة، وبيان الغرض من الدعوة وهو المكافأة.

- إظهار الأهمية بالضيف، وإدخال السرور إليه، وذلك في بيان الغرض من الدعوة؛ وهو المكافأة على حسن الصنيع، ومقابلة الإحسان بالإحسان قال

89 لسان العرب (12/510) مادة: كرم.

90 الجامع الصحيح، للبخاري كتاب الأدب: باب 31 (ح6018).

91 التحرير والتنوير، لابن عاشور (20/103).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن: 60]، وأنه ليس من باب إجارة الأجير، يدل على ذلك نصب قوله: (أَجْرٌ) على المفعول المطلق؛ لبيان نوعه الجزاء أنه جزاء خير، وهو أنه أراد ضيافته، وليس بإجارة؛ لأنه لم يكن عن تفاؤل، ولا شرط، ولا إعادة. كما أن تأكيد الجملة في قوله: ﴿ إِنْكُ أَيْ يَدْعُوكُ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ حكاية لما في كلامها من تحقق الخبر للاهتمام به، وإدخال المسرة على المخبر به⁽⁹²⁾. قال الشيخ السعدي في بيان قوله: ﴿ إِنْكُ أَيْ يَدْعُوكُ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾⁽⁹³⁾ قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة، عن بن مسعود قال: **أفرس الناس ثلاثة: أبو بكر حين تفرس في عمر، وصاحب يوسف حين قال (أكرمي مثواه)، وصاحبة موسى حين قالت: (يا أبنا استأجره لنا...)**

السؤال عن الحال وهو من مقدمات الضيافة، وهو الذي يفهم من قوله: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ ﴾. فموسى عليه السلام ما قص عليه قصة خروجه، ومجيئه إلا بعد أن سأله صالح مدين عن سبب قدومه، وهو ما يفهم من سياق الآية⁽⁹⁴⁾.

حسن اللياقة المتمثلة بتطمين موسى عليه السلام بعد انتهائه من قصته ليسكن رَوْعَهُ، وتهدأ سريرته، ويذهب خوفه بقوله: ﴿ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾.

المبحث السادس: التواضع

التواضع لغة: مصدر تواضع أي أظهر الضَّعْفَ، وهو مأخوذ من مادة (وضع) التي تدلُّ على الخفض للشيء وحطه⁽⁹⁵⁾.

واصطلاحاً: إظهار التنزُّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من

92 المصدر نفسه، (104/20).

93 تفسير السعدي (15/4).

94 التحرير والتنوير (104/20).

95 معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (117/6) مادة: وضع.

فوقه لفضله⁽⁹⁶⁾. والتواضع في عُرف علماء الأخلاق: هو لين الجانب، والبعد عن الاغترار بالنفس⁽⁹⁷⁾ والتواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين، ورأس أخلاق المتقين، وهو السبيل إلى القرب من الله، ومن تَمَّ القرب من الناس. عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»⁽⁹⁸⁾. وخلق التواضع تجلت صورته في موسى عليه السلام في دعائه لربه، وذلك باعترافه بفقره، وحاجته إلى ما عند الله من فضل ونعمة، وهذا فيه من كسر النفس لله تعالى، وتواضع لصاحب الفضل والمنة رغم ما أنعم الله عليه من قوة جسدية، ونفسية فإنه لم تطغه، أو تجعله يتجبر، أو يتكبر، وهذا الفعل من موسى عليه السلام أحد درجات التواضع⁽⁹⁹⁾، وهو أن يتواضع المرء مع نفسه بحيث لا يرى في نفسه لنفسه ما يفتح عليها أبواب الاغترار، والتكبر؛ بل يردعها، ويقمّعها، فلا تختال، ولا تميل، وذلك باعترافه بالحاجة، والعوز إلى الله تعالى رغم ما منحه الله تعالى من القوة، والصولة. فقد روي عن بعض المفسرين في بيان قوة موسى عليه السلام الجسدية أن البئر الذي سقى منه للمراتين في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ﴾ قد غطي بحجر لا يرفعه إلا عشرون أو أربعون من الرجال، وقد رفعه موسى عليه السلام⁽¹⁰⁰⁾.

وأما قوته النفسية فتمثلت في إقدامه للسقي متخطياً بذلك خوفه المحيط به من كونه غريباً وحيداً مُطارداً، فظهوره لسقي الضعيفتين فيه من جسارة القلب، وقوته التي تخطت خوفه من أن يعرفه أحد، فيُدلي بمكانه وهاتان الصورتان من القوة الظاهرة، والباطنة لم تجعله متعالياً مستكبراً، وإنما نادى الله بفقره وحوجته إليه سبحانه حيث قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ لأنَّ موسى عليه السلام قابل نعمة القوة التي لديه أمام نعمة الله من الأمن، والظل الذي وجدهما بعد الكبد، والجهد، والعناء، فعرف حاجته إلى نعم الله، وفضه، فاعترف بعوزه، وفقره، وهذا

96 فتح الباري، لابن حجر (11/341).

97 موسوعة أخلاق القرآن، د. الشرباصي (1/68).

98 مسلم (2588)، سنن الترمذي (4/376)، كتاب 82 ح (2029).

99 انظر: أقسام ودرجات التواضع في مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (2/347)؛ وانظر: موسوعة

أخلاق القرآن، للشرباصي (1/71).

100 انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (13/169)؛ التفسير الكبير، للفخر الرازي (م12، ج24/239)؛

تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (3/395).

تأملات في الجانب الخُلقي من قصة موسى عليه السلام والمرأتين

من تمام التواضع وتحققه، ولا يتحقق التواضع في النفس ما لم يدافع صاحبها دوافع الزهو، والخيلاء والكبرياء في نفسه⁽¹⁰¹⁾.

سُئل بعضهم عن التواضع؟ فقال: «التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة، فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب»⁽¹⁰²⁾.

الخاتمة

تجلت صفات حميدة، وأخلاق نبيلة في مشهد قصير جداً، ذكر في خمس آيات من سورة القصص، تناولت قصة موسى عليه السلام والمرأتين ابنتي صاحب مدين، وقد ظهرت لي نتائج وتوصيات من خلال هذا الموقف على النحو التالي:

أولاً: النتائج

- عظيمة هي فضيلة الحياء إذ هي أصل لكل خير، ولولاها لم يُقرَّ ضيفاً، ولم يُوفَّ بوعده، ولم تُؤدَّ أمانته، ولم تُقضى حاجة.
- تغليب القول إنَّ أبا المرأتين هو: رجل صالح قد سكن مدين، وإنَّ كان الأشهر عند العلماء أنَّه شعيب نبي الله - عليه السلام والله أعلم.
- إنَّ من أسباب استجابة الدعاء إغاثة الملهوف، والحياء جوهر الإيمان.

ثانياً: التوصيات

- للضيافة آداب ينبغي على المضيف المبادرة بها، منها: طمأننة قلب الضيف، وإظهار الأهمية به، والسؤال عن حاله، وحسن اللياقة معه كقول العامة سلام المباشر ولا قوت المكاشر.
- تحقُّق التواضع يكون بمجاهدة النفس للزهو والكبرياء لا سيما عند توالي نعم الله على العبد.
- ينبغي لمن أراد أن يزوج من كانت تحت ولايته أو وصايته أن يتحقق من أمانة الناكح على الأعراض.

101 انظر: موسوعة أخلاق القرآن، للشرباصي (70/1).

102 مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية (342/2).

دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي (دراسة مطبقة على عينة من طلبة كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة النيلين)

د. أحلام العطا محمد عمر¹

المقدمة:

اهتم الدين الإسلامي بموضوع التطوع لما له من أهمية بالغة، ومكانة سامية في حياة الفرد والجماعة والمجتمع، وقد وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد ذلك منها: قوله تعالى: «فاستبقوا الخيرات»، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 158].

ومن حيث المبدأ والممارسة فالاهتمام بموضوع التطوع قديم إلا أنه تزايد في السنوات الأخيرة باعتباره وسيلة من الوسائل المستخدمة في تحقيق التنمية بكافة صورها، بما ينهض بالمجتمعات، ويساعد في التخفيف من مشكلاتها، إضافة إلى كونه شريكاً فاعلاً مع الحكومات في عملية التنمية المستدامة والخطط المدروسة التي تضعها الدول بغية الارتقاء بمجتمعاتها نحو الأفضل (برقاوي، 2008: 97)، ونتيجة للتغير والتطور السريع والمتلاحق في المجتمعات ظهرت العديد من الاحتياجات والمشكلات للأفراد التي جعلت الحكومات عاجزة عن إشباعها؛ مما أدى إلى إبراز دور العمل التطوعي في تحقيق التكاتف بين أفراد المجتمع من خلال المشاركة التطوعية لمساندة المؤسسات الحكومية في خدمة المجتمع (العكرش، 2008: 2)، وقد أدى ذلك إلى اهتمام العلوم الاجتماعية المختلفة بموضوع التطوع، وفي مقدمتها علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية، لما يترتب عليه من مكاسب عديدة تعود بالنفع والفائدة على الفرد والمجتمع، ومن أبرزها غرس مفاهيم الولاء والتكافل الاجتماعي والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد وتعزيز الترابط الإيجابي بين مختلف فئاته (الطيّار، 2012: 30)، والإسهام في تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية، إذ إنّ المشاركة التطوعية تتيح لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تهتم المجتمع (عطية، 2012: 3673).

على مستوى العالم جاء الاهتمام بالعمل الاجتماعي التطوعي من قبل منظمة

1 الأستاذ المشارك بجامعة الملك فيصل - قسم الدراسات الاجتماعية

الأمم المتحدة التي تقدم من خلال برامجها ومؤسساتها الدعم للفقراء وال منكوبين واللاجئين، وقد جعلت اليوم الخامس من شهر ديسمبر من كل عام يوماً عالمياً للتطوع، وذلك تقديراً للدور الذي يمكن أن يقوم به العمل التطوعي في مجالات العمل الإنساني والتنموي (فخرو، 2010: 231).

أمّا على المستوى العربي، فقد أسس الاتحاد العربي للعمل التطوعي في الخامس من ديسمبر عام (2003)، باهتمام من الجامعة العربية، وحدد الخامس عشر من ديسمبر يوم التطوع العربي، وهذا ساعد على نشر ثقافة العمل التطوعي في معظم الدول العربية، ويعد السودان أحد هذه الدول حيث يعد العمل التطوعي جزءاً من ثقافته، وتمتد جذوره منذ زمن بعيد، ويعد العمل التطوعي رافداً من المثل والقيم الحميدة في السودان التي تتمثل في الشهامة ونجدة الضعيف وإعانة ذوي الحاجات، وجميعها تشكل أسساً للتكافل والتراحم والتعاون بين أفراد المجتمع ويظهر كل ذلك فيما يعرف بالنفیر والفرع، وبرز الاهتمام به في مجالات عديدة سواء أكان من قبل حكومته ممثلة في وزارة الشؤون الاجتماعية، أم من قبل بعض المنظمات التطوعية، وكذلك من داخل أروقة الجامعات والأقسام التي تحت طلابها على ممارسة العمل التطوعي من خلال البرامج التي تعدها، وترسخ أهميتها لدى الشباب الجامعي.

والشباب الجامعي السوداني (الطلاب والطالبات)، بوعيمهم وثقافتهم ودورهم على مستوى أسرهم ومجتمعهم يمكن أن يشكلوا مورداً خصباً للعمل الاجتماعي التطوعي الذي يسهم في تنمية شعورهم بالمسؤولية الاجتماعية، وتحقيق ذاتهم، وارتفاع مستوى فاعليتهم وعطائهم وإنجازهم في المجتمع، وفي خدمة الفرد. من هذا المنطلق جاء اهتمام هذه الدراسة لمعرفة الدور الذي يقوم به الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي والآليات والوسائل التي تسهم في ذلك، والتعرف إلى الصعوبات التي تعيق مشاركتهم.

الإطار التصوري للدراسة:

أولاً- مشكلة الدراسة:

مما لا شك فيه أنّ وعي الشباب الجامعي السوداني كونهم عنصراً اجتماعياً، وشريحة مهمة في المجتمع السوداني بأهمية العمل التطوعي، وممارستهم له يعد أمراً مهماً

لعدة اعتبارات تترتب على العمل الاجتماعي التطوعي من أبرزها كما ذكر (برقاوي، 2008: 68): تأصيل مفهوم المسؤولية الاجتماعية، وتعزيز مشاعر الولاء والانتماء في المجتمع، وتنمية روح العطاء، وما يترتب على ذلك من تحقيق للذات والشعور بالأهمية والعضوية الفاعلة في المجتمع إضافة إلى كون العمل التطوعي من الوسائل المهمة في بناء شخصية المتطوع وتنميته مهارياً واجتماعياً وأخلاقياً ودينياً وفكرياً.

وهناك العديد من الدراسات التي اهتمت بقضايا الشباب بصورة عامة إلا أن الدراسات المحلية في مجال العمل الاجتماعي التطوعي، وخاصة الشباب الجامعي قليلة حسب علم الباحثة لذا جاء اهتمام الدراسة بهذا الموضوع الذي تكمن مشكلته في التساؤلات التالية:

- 1- ما دور الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي؟
- 2- ما المجالات التطوعية التي يمارس فيها الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين العمل الاجتماعي التطوعي؟
- 3- ما الوسائل والآليات التي تفعل من مشاركة الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في العمل الاجتماعي التطوعي؟
- 4- ما المعوقات التي تواجه الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي؟

ثانياً- أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية هذه الدراسة في جانبها العلمي والعملي في الآتي:
- 1- إغناء التراث النظري في هذا المجال لبيان الحقائق العلمية حول دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي يمكن أن يستفيد منها الباحثون في مجال علم الاجتماع، والخدمة الاجتماعية.
 - 2- إبراز أهمية العمل التطوعي للمجتمع، ودور إشراك الشباب الجامعي في تطوير مجتمعاتهم.
 - 3- تنمية وعي الطلاب الجامعيين بقيمة العمل التطوعي وأهميته.
 - 4- العمل التطوعي يشجع الشباب الجامعي على المشاركة في قضايا مجتمعهم وله تأثير إيجابي في تحملهم للمسؤولية.

- 5- إكساب الشباب الجامعي المهارات التي تساعدهم في معرفة العوامل التي تؤثر في تشكيل اتجاهاتهم السلبية أو الإيجابية نحو المبادرات الطوعية.
- 6- إبراز الصعوبات التي تواجه مشاركة الشباب الجامعي السوداني في العمل التطوعي، والوسائل والآليات التي تُفَعِّل دورهم فيه.
- 7- تكمن أهمية الدراسة أيضاً فيما سوف تتوصل إليه من نتائج تمكن الباحثة من وضع توصيات ترفع للجهات المختصة بما فيها الجامعة.

ثالثاً - أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- التعرف إلى دور الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي.
- 2- معرفة المجالات التطوعية التي يمارس فيها الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين العمل الاجتماعي التطوعي.
- 3- الكشف عن الوسائل والآليات التي تفعّل من مشاركة الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في العمل الاجتماعي التطوعي.
- 4- إلقاء الضوء على المعوقات التي تواجه الشباب الجامعي السوداني في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي.

رابعاً- مفاهيم الدراسة:

1- الدور:

هو نمط من الدوافع والأهداف والمعتقدات والقيم والاتجاهات والسلوك الذي يتوقع أعضاء الجماعة أن يروه فيمن يشغل وظيفة ما أو يحتل وضعا اجتماعياً معيناً، والدور الذي يصف السلوك المتوقع من شخص في موقف ما هو مجموعة من الأنشطة والأطر السلوكية التي تحقق ما هو متوقع في مواقف معينة، ويترتب على الأدوار إمكانية التنبؤ بسلوك الفرد في المواقف المختلفة (الفهدي، 2011: 77).

ويقصد به إجرائياً في هذه الدراسة الدور المتضمن مجموعة من الأنشطة والأطر السلوكية والاتجاهات والدوافع المتوقع من الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارستهم للعمل التطوعي.

2- الشباب الجامعي:

لغويًا الشباب تعني: الفتاة والحادثة (ابن منظور، 1375هـ: 11). وهي المرحلة العمرية التي يمر بها الإنسان ويزداد فيها نموه الجسمي والعقلي على نحو يجعل الفرد قادراً على أداء وظائفه المختلفة.

ويقصد بهم إجرائياً في هذه الدراسة الطلبة الجامعيين في مرحلة البكالوريوس (ذكوراً وإناثاً) الذين أنهوا المرحلة الثانوية والتحقوا بجامعة النيلين- كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في قسم: (الاقتصاد، الاجتماع والإنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية، والعلوم السياسية).

3- العمل التطوعي:

التطوع في اللغة "ما تَبَرَّعَ به المرء من ذات نفسه مما لا يلزمه فرضه" (ابن منظور)؛ ويُقال تطوَّع الشخص: أي "تقدم لعمل ما مختاراً، قدَّم نفسه لإنجاز عمل أو مهمة بدون مكافأة أو أجر" (عمر، 2008: 142).

واصطلاحاً يُعرَّف بأنه: الجهد الذي يقوم به الإنسان اختيارياً وبدون مقابل للمشاركة في برنامج ما أو تقديم خدمة بإحدى الجمعيات التطوعية أو المؤسسات الحكومية (patrica, 1995: 248)، وهو: "تقديم العون والنفع إلى شخص أو مجموعة أشخاص يحتاجون إليه دون مقابل مادي، أو معنوي سواء كان تبرعاً مالياً أو برأي، أو بالعمل، أو بالتمويل، وهو عمل الخير في كل جوانبه" (الفائز، 2012: 151).

كذلك هو جهد إرادي يبذله الفرد دون توقع عائد مادي بهدف المشاركة في تحمل مسئوليات تجاه المجتمع ومؤسساته من أجل الإسهام في حل المشكلات، وتحقيق الخطط والطموحات التي يسعى إليها المجتمع ومؤسساته (الجوهري، 2001: 174).

وإجرائياً يقصد به: كل ما يقدمه الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين من جهد، أو مال، أو وقت في أي مجال من مجالات العمل التطوعي ودون اعتبار لأي مقابل مادي، سواء أكان ذلك بشكل منظم أم غير منظم، داخل الجامعة أم خارجها بهدف خدمة المصلحة العامة.

الإطار النظري للدراسة:

أولاً: النظرية المفسرة للدراسة:

نظرية الدور الاجتماعي: Role Theory

من النظريات الحديثة في علم الاجتماع ظهرت في مطلع القرن العشرين، وهي إحدى النظريات التنبؤية المهمة؛ لأنها تقوم بعملية توازن ما بين السلوك الفردي والبناء الاجتماعي، وتفترض أن السلوك البشري موجه بالتوقعات التي يحملها الفرد والبشر الآخرون، تقابل التوقعات مختلف الأدوار التي يؤديها الأفراد في حياتهم اليومية، ويحمل أكثر الناس أفكاراً قبلية عن التوقعات لدور معين، وتشتمل الأدوار على مجموعة من القواعد والمعايير التي تعمل كخطط لتوجيه سلوك الأفراد، كما تحدد الأدوار الأهداف التي يجب أن تتبع، والمهام التي يجب أن تنجز، ولكي يتغير سلوك فرد ما لا بد وأن تتغير الأدوار، وبالتالي تقابل الأدوار أنماطاً جديدة من السلوك، وتؤثر بشدة على الاعتقادات والمواقف، فالأفراد سيغيرون اعتقادهم ومواقفهم للانسجام مع أدوارهم.

إن مفهوم تعلم الدور يقود إلى تعدد الأدوار الاجتماعية، كما أن الفرد بدوره يتعلم من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ويتشكل سلوكه، ويتعلم أدواره الاجتماعية المنوطة به ويتقبلها خلال المراحل العمرية التي يمر بها (المرواني، 2012)، وتقبله للدور يعني التبنى الكامل للدور، وبالتالي تختفي الذات بالكامل في الدور.

بناء على ما سبق يمكن القول: إن دور الشباب الجامعي السوداني في العمل التطوعي وممارستهم له نابع من التنشئة الاجتماعية التي نشؤوا عليها، فغالباً ما يثني الآباء والمربون على أعمال الخير لكسب الثواب والأجر ويحاولون غرسها فيهم منذ الصغر وتعليمهم القيم والمعايير التي توجه سلوكهم وتحدد أدوارهم، وعندما يتكون ذلك التصور لديهم خلال مراحلهم العمرية، وخاصة في مرحلة الشباب، قد يتجهون لممارسة العمل التطوعي في المجتمع وفي مؤسساته المختلفة، ويمارسون هذا الدور ويتقبلونه لقناعتهم التامة به، وممارسة العمل التطوعي بكل تفاني وقناعة وإخلاص في المجتمع من خلال البرامج التطوعية التي تعدها الجامعة والمجتمع، دون مقابل أجر، ويضحون بوقتهم، حيث تختفي ذواتهم وتذوب في الجماعة التي ينتمون لها.

ثانياً- الدراسات السابقة:

دراسة: (الباز، 2002)، بعنوان: «الشباب والعمل التطوعي»، والتي هدفت إلى معرفة مدى مشاركة الشباب ورغبتهم في العمل التطوعي، والوقوف على العوامل التي تعيق العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية للعمل على مواجهتها، واستخدم منهج المسح الاجتماعي، وأداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أنّ الغالبية العظمى من الشباب غير مشاركين في العمل التطوعي، وفي المقابل أغلب الشباب لديهم رغبة في المشاركة في العمل التطوعي، وفيما يتعلق بالعوامل التي تُعيق مشاركة الشباب في العمل التطوعي أظهرت نتائج الدراسة عدم وجود تقدير من المجتمع للمشاركة في العمل التطوعي، إضافة إلى عدم وجود توعية إعلامية توضح أهمية المشاركة في العمل التطوعي، يضاف إلى ذلك معوقات إدارية من قبل المؤسسات والجهات المختلفة. تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الهدف وفي وحدة التحليل، وفي المنهج والأداة، وتختلف عنها في أن الدراسة الحالية ركزت على مجالات التطوع، وتختلف أيضاً في مكان الدراسة.

ودراسة: (حامد، 2005)، بعنوان: «الوعي بالمشاركة الشعبية ودورها في دفع مشاريع العمل الاجتماعي الطوعي في التنمية الريفية» وهدفت الدراسة إلى تحديد دور منظمات العمل الطوعي وتقييمها في رفع الإدراك والوعي الشعبي بأهمية مشاريع التنمية الريفية في منطقة درديب بولاية البحر الأحمر، استخدمت المنهج الوصفي والمسح الاجتماعي والإحصائي، وأدوات الملاحظة والمقابلة والاستبانة، ومن النتائج المهمة التي توصلت إليها: إدراك المواطنين ومعرفتهم بدور المنظمات الطوعية في المنطقة، ودور المنظمات الطوعية لم يجد الاهتمام الكافي من الباحثين خاصة في مجال وعي المجتمع وإدراكه لقضايا التنمية وأهمية المشاركة الشعبية، تتفق الدراستان في اهتمام كليهما بالعمل التطوعي لكن يكمن الاختلاف بينهما في اهتمام الدراسة السابقة بالمشاركة الشعبية، والدراسة الحالية بدور الشباب الجامعي، وتتفقان في المنهج، وأداة الاستبانة، وفي المكان كلتا الدراستين أُجريتَا في السودان.

كما أكدت دراسة: **(الزبيدي، 2006)**، بعنوان: «اتجاهات طلبة الجامعة

الأردنية نحو العمل التطوعي»، التي هدفت إلى التعرف على اتجاهات طلبة البكالوريوس في الجامعة الأردنية نحو ظاهرة العمل التطوعي، استخدمت منهج المسح الاجتماعي وأداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أن أغلب الطلبة لم يشاركون في أي عمل تطوعي أثناء دراستهم في الجامعة، وأن تطوع الذكور أعلى من الإناث، وأن غالبية الطلبة شجعتهم أسرهم على التطوع وكذلك أصدقائهم. تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الهدف والمنهج والأداة ووحدة التحليل، وتختلف عنها في أن الدراسة الحالية تناولت مجالات التطوع والمعوقات التي تواجهه، وكذلك مكان الدراسة.

كذلك دراسة: (محمد، 2008)، بعنوان: دور العلاقات العامة في تفعيل العمل التطوعي، وهدفت الدراسة إلى التعرف إلى دور العلاقات العامة في تفعيل العمل التطوعي من خلال توضيح الدور المتعاظم الذي تقوم به الجمعيات الطوعية بالتركيز على جمعية تنظيم الأسرة السودانية، استخدمت منهج المسح الاجتماعي، وأدوات المقابلة والملاحظة والاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها: ضعف التدريب والتأهيل لدى العاملين بالمنظمة، تتفق الدراسات في اهتمام كليهما بالعمل التطوعي لكن الدراسة السابقة ركزت على الدور المتعاظم الذي تقوم به الجمعيات الطوعية، والدارسة الحالية ركزت على دور الشباب الجامعي في العمل التطوعي، وتتفق أيضاً في المنهج، وأداة الاستبانة، وكتاهما أجريتا في السودان.

في حين ركزت دراسة: (السلطان، 2009) على «اتجاهات الشباب الجامعي نحو العمل التطوعي»، والتي هدفت إلى الكشف عن اتجاهات الشباب الجامعي (ذكور) بجامعة الملك سعود نحو ممارسة العمل التطوعي، والتعرف إلى الأعمال التطوعية التي يرغبون في ممارستها، والمعوقات التي تحول دون التحاق الشباب الجامعي في الأعمال التطوعية، استخدم منهج المسح الاجتماعي، وأداة الاستبانة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: أن هناك اتجاهات إيجابية نحو العمل التطوعي، حيث جاءت مساعدة الفقراء ورعايتهم، ويليها زيارة المرضى ثم المشاركة في الإغاثة الإنسانية، ورعاية المعوقين، والحفاظ على البيئة ومكافحة المخدرات والتدخين، والمعوقات التي يرى الشباب الجامعي أنها تحول دون التحاقهم بالعمل التطوعي هي عدم الإعلان عن برامج العمل

التطوعي، وعدم توافر مراكز التعريف بالعمل التطوعي في الجامعات، وعدم توافر برامج التدريب للشباب على العمل التطوعي، وقلة المؤسسات الداعمة لبرامج العمل التطوعي. تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في الهدف والمنهج والأداة، وفي وحدة التحليل إلا أن الدراسة السابقة ركزت على الشباب الجامعي الذكور في حين ركزت الدراسة الحالية على الذكور والإناث، وتختلف عنها أيضاً في المكان الذي أجريت فيه كل منهما.

أما دراسة: (الفائز، 2012)، بعنوان: «معوقات العمل التطوعي لدى الطالبة الجامعية»، حيث هدفت إلى التعرف إلى المعوقات الشخصية المرتبطة بالطالبة الجامعية والمعوقات المجتمعية والمؤسسية التي تحد من ممارسة الطالبة الجامعية للعمل التطوعي، استخدمت منهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة طبقت على طالبات جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن بمدينة الرياض بلغ حجمها (573) طالبة، واعتمدت على أداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: رغبة الطالبة الجامعية في المشاركة في العمل التطوعي، ومن أبرز المعوقات التي تحد من مشاركة الطالبة الجامعية في العمل التطوعي صعوبة توافر وقت كافٍ للمشاركة، ومحدودية الجهات المناسبة للعمل التطوعي، وعدم تزويدها بدورات تدريبية حسب المجال المؤسسي. تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في أحد أهدافها وهو معرفة معوقات العمل التطوعي، وفي المنهج والأداة، وتختلف عنها في تركيزها فقط على الطالبات، وفي المكان الذي أجريت فيه الدراسة، وفي أن الدراسة الحالية ركزت على مجالات التطوع لدى الشباب الجامعي.

أما دراسة: (عز العرب، 2012)، بعنوان: «صورة العمل التطوعي ومؤسساته لدى الشباب الجامعي في ظل المتغيرات الدولية»، فهدفت إلى معرفة سبل تطوير مؤسسات العمل التطوعي في مواجهة العديد من التحديات والصعوبات على المستوى الداخلي والخارجي، والكشف عن صور العمل التطوعي ومؤسساته لدى الشباب الجامعي في ظل المتغيرات الدولية، استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وأداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها: أن ممارسة الشباب الجامعي للعمل التطوعي ضعيفة جداً، وما زال مفهوم العمل التطوعي ومعناه غير واضحين في أذهان بعض الشباب

الجامعي، يعد البعد الثقافي، والبعد الاقتصادي، والإعلامي من المعوقات والصعوبات التي تواجه الشباب الجامعي من وجهة نظرهم في ممارسة العمل التطوعي. تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في تركيز كليهما على العمل التطوعي ومعوقاته، وفي المنهج والأداة، وتختلفان في المجال المكاني.

كذلك دراسة: (عطية، 2012)، بعنوان: «واقع العمل التطوعي لدى طلاب الجامعات في ظل التغيرات المجتمعية»، والتي هدفت إلى توضيح طبيعة مشاركة الشباب الجامعي في العمل التطوعي، والمعوقات التي تؤثر على مشاركة الشباب الجامعي في العمل التطوعي في ظل التغيرات المجتمعية، استخدمت منهج المسح الاجتماعي وأداة الاستبانة، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها: أنّ المشاركة الطلابية في العمل التطوعي منخفضة، وأنّ معوقات مشاركة الطلاب في العمل التطوعي هي انشغالهم بالدراسة، واهتمامهم بأموالهم الشخصية وغياب الوعي المجتمعي بأهمية دور المتطوعين وعدم وجود الوقت الكافي للتطوع. تتفق الدراسة السابقة مع الحالية في الهدف والمنهج والأداة ووحدة التحليل، وتختلف عن الدراسة الحالية في أنّ الدراسة الحالية ركزت على مجالات التطوع لدى طلبة الجامعة، وتختلف أيضاً في المجال المكاني.

ثالثاً- أدبيات الدراسة:

1- نشأة العمل الاجتماعي التطوعي في السودان:

العمل التطوعي في السودان قديم وضارب بجذوره في تقاليد المجتمع السوداني وموروثاته الثقافية المختلفة والمتنوعة المتمثلة في كثير من الممارسات فإغاثة الملهوف وكفالة اليتيم ونصرة الضعيف وإنشاء دور العلم والمعاهد الدينية كشكل من أشكال التكافل والتعاون بين أفراد الشعب السوداني، وعرف السودانيون العمل التطوعي بوصفه روحاً للمجتمع في الفرزة والنفير لنجدة ومساعدة المحتاجين.

وفي فترة الاحتلال البريطاني كانت هناك بعض المبادرات من الفئات الغنية المرتبطة بالاحتل تجاه الأسر الفقيرة حيث ظهرت أول جمعية طوعية أجنبية جمعية (سير) البريطانية، وفي عام 1904م دخلت الإرساليات التبشيرية وقامت ببناء المستشفيات والمدارس الخيرية، وبالمقابل كرد فعل وطني بدأت تتكون الجمعيات الخيرية الوطنية، وظهرت الأندية الرياضية والثقافية والروابط الاجتماعية التي

تقدم خدماتها للفقراء والمعوزين من أبناء الوطن، واتسعت الحركة الطوعية الوطنية فتكونت جمعية اللواء الأبيض، وأندية الخريجين والمدارس الوطنية، ومعهد القرش الصناعي عام 1930م (السنوسي، 2002).

وتطور الحياة الاجتماعية اتسعت الحركة الطوعية ونمت فتكونت كثير من الجمعيات الخيرية، وصدر قانون تسجيل الجمعيات الطوعية عام 1957م كأول قانون يصدر بعد الاستقلال، وفي أواخر عام 1984م، ونتيجة لموجة الجفاف والتصحر التي تأثر بها السودان خاصة في ولاياته الغربية، تمت أكبر حركة نزوح لم تشهدها البلاد من قبل، الأمر الذي حدا بالحكومة لتوجيه نداء إلى منظمات الإغاثة العالمية والمجتمع الدولي لتقديم العون والدعم للمتضررين والمساعدة في درء آثار الكوارث فكان قانون مفوضية الإغاثة وإعادة التعمير عام 1986م، ونسبة لدخول المنظمات الأجنبية بصورة كبيرة جداً وغير منظمة ظهر قانون عام 1988م الخاص بتنظيم العمل التطوعي الأجنبي في السودان، وفي عام 1990م ظهرت الاتفاقية القطرية التي فشلت في تحديد الحقوق والواجبات، ولهذا الفشل ظهر قانون التعديلات المتنوعة لعام 1994م والذي ألغى قانون 1962م وأهمل الاتفاقية القطرية وطور قانون 1957م (الكردي، 2010: 13).

وفي عام 1995م ظهر قانون نتج عنه تأسيس مفوضية العون الإنساني وهي عبارة عن دمج لمفوضية العمل الطوعي ومفوضية الإغاثة وإعادة التعمير، وتم هذا الدمج منعاً للازدواجية في العمل مع المنظمات، وبموجب هذا القانون ألغيت القوانين المنظمة للعمل التطوعي الأخرى قانون 1957م، 1962م، 1986م، 1988م، 1984م (عبد الله، 1998: 11).

أ- عوامل انتشار العمل الاجتماعي التطوعي:

1- تقلص دور الحكومات: حيث أصبح من المسلم به أنّ الحكومات سواء في الدول المتقدمة أو النامية لا تستطيع سد احتياجات الأفراد والمجتمعات، وأصبحت الحاجة ملحة لأنساق أخرى تكمل دور الحكومات في تلبية الاحتياجات ولذلك برزت حتمية العمل الاجتماعي التطوعي كأساس للمجتمع المدني (حجازي، والشراوي، 2013: 47).

2- المشاركة الشعبية في الخطط والبرامج: التطوع فرصة لزيادة مشاركة الأفراد في برامج ومشروعات خدمة المجتمع ووسيلة تساعد المتطوع على شغل أوقات فراغه في أشياء مفيدة له ولمجتمعه وإكسابه الخبرات الاجتماعية والمهارات، والفهم الاجتماعي لظروف وحاجات ومشكلات المجتمع (أبو النصر، 2007: 222).

3- التنشئة الاجتماعية: تعد عملية التنشئة الاجتماعية منذ الصغر من العوامل المهمة التي تلعب دوراً فعالاً في مشاركة الأفراد في العمل التطوعي من خلال غرس قيم التضحية والإيثار وروح العمل الجماعي في نفوسهم بدءاً بالأسرة والمدرسة وغيرها من مؤسسات التنشئة الاجتماعية.

4- آلية الدعم المادي والمعنوي من قبل الدولة أو الجهات الخيرية للمؤسسات والهيئات التي تعمل في مجال العمل التطوعي، لتمكينها من تأدية رسالتها وزيادة خدماتها (الشهراني، 2006: 102).

5- الدور المهم لوسائل الإعلام المختلفة في تعريف أفراد المجتمع بماهية العمل الاجتماعي التطوعي، ومدى حاجة المجتمع إليه وتبصيرهم بأهميته ودوره في عملية التنمية، وكذلك إبراز دور العاملين في هذا المجال بطريقة تكسيبهم الاحترام الذاتي واحترام الآخرين (التويجري، 2013: 121).

6- تفعيل وسائل التكنولوجيا الحديثة في تنسيق العمل الاجتماعي التطوعي بين الجهات الحكومية والمؤسسات الأهلية لتقديم الخدمات الاجتماعية المهمة التي يحتاجها أفراد المجتمع.

ب- أهمية العمل الاجتماعي التطوعي بالنسبة للمجتمع:

حظي العمل الاجتماعي التطوعي باهتمام خاص من قبل الحكومات المعاصرة لما له من أهمية في تنمية المجتمع، إلى جانب ما يعنيه من قيم وروابط اجتماعية إيجابية تجسد مبدأ التكافل الاجتماعي والاستثمار الحقيقي لأوقات الفراغ لدى الشباب.

ويمكن أن يكون التطوع بتقديم عمل مباشر أو غير مباشر، المباشر: يتمثل في الخدمات التي يقدمها المتطوع مباشرة للجماهير، مثل: التطوع في دور التربية والرعاية الاجتماعية، أو التدريس في فصول محو الأمية، أو الاهتمام بالمرضى في المؤسسات العلاجية، أو تقديم الرعاية لذوي الاحتياجات الخاصة وغيرها من الأعمال

التطوعية التي تقدم مباشرة لأفراد المجتمع. أمّا غير المباشر: يتمثل في: الأعمال التي يقدمها المتطوع عبر قناة مؤسسية ليستفيد منها أفراد المجتمع فيما بعد، حيث يؤدي المتطوع خدماته لمعونة هيئة أو مؤسسة اجتماعية لتحقيق أهدافها، تلك الأهداف التي تخدم أفراد المجتمع، وبالتالي تكون الخدمة التطوعية غير مباشرة، وذلك مثل: التطوع في حملات جمع المال والتخطيط لها، أو الاشتراك في لجان العمل التطوعي في طور الإعداد والتخطيط (الحسن، 1435هـ: 168).

وقد يكون العمل الاجتماعي التطوعي مقدماً من قبل فرد أو جماعة، أو مؤسسة، فالعمل الاجتماعي التطوعي الفردي هو أبسط أشكال التطوع المجتمعي وأقدمها، وهو عمل وسلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة صادقة منه استناداً إلى ما يتمسك به من مبادئ واعتبارات أخلاقية أو إنسانية أو اجتماعية، ويبدو على شكل التعامل الأخلاقي الخالي من المظهرية، والمكتسي حلة التواد والتراحم والإنسانية كالإحسان إلى الجار، وتقديم المعونة للمكفوف، ومساعدة المحتاج، وغيرها. أمّا العمل التطوعي المؤسسي هو العمل المنضوي تحت مظلة مؤسسة، بحيث تقوم به المؤسسات والجمعيات بشكل منظم لتقديم خدماتها التطوعية لبعض فئات المجتمع وتتسم بالاستمرارية والتنظيم الهيكلي وتخضع للأنظمة واللوائح.

ونسبة لأهمية العمل الاجتماعي التطوعي بالنسبة للمجتمع فقد ظهرت الكثير من المؤسسات التطوعية، وتضاعفت التوعية بأهميته حيث أصبح في العصر الراهن ركيزة أساسية في تطور المجتمعات وتنميتها، وتعد مشاركة الشباب الجامعي (ذكوراً وإناثاً) في العمل الاجتماعي التطوعي من خلال تفاعلهم مع مجتمعهم المحلي بعداً مهماً في ربط الجامعة ومخرجاتها التعليمية باحتياجات المجتمع ومشكلاته، ويفتح العمل الاجتماعي التطوعي آفاقاً واسعة أمام الطلاب لاستكشاف مجتمعاتهم بعيداً عن أسوار الجامعة وبرامجها النظرية.

ج- أهمية العمل الاجتماعي التطوعي بالنسبة للشباب:

تكمن أهمية العمل الاجتماعي كما أورد عبد الفتاح (2008) في: أنه يعمل على مشاركة الشباب في قضايا مجتمعهم، ويربط بين الجهود الحكومية والأهلية التي تقدم في المجتمع، ومن خلال هذا العمل يمكن التأثير الإيجابي في الشباب بتحملهم للمسؤولية، كما يساعد على التقليل من المشكلات الاجتماعية والسلوك المنحرف

داخل المجتمع بإشراك الفرد في أعمال من شأنها أن تشعره بأنه مرغوب فيه، إضافة إلى أن هذا التطوع سيؤدي إلى تنمية قدرة المجتمع عن طريق الجهود الذاتية التي يمارسها المتطوعون، ويمكن القول إنَّ للتطوع أهمية خاصة عند الشباب، حيث يساعد على الآتي: (اشتية، 2013: 84).

- تعزيز الشباب في مجتمعاتهم ومشاركتهم.
- تنمية قدرات الشباب ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية.
- يتيح للشباب التعرف إلى الثغرات التي تشوب نظام الخدمات والمجتمع.
- يتيح للشباب الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تخص المجتمع.
- يوفر للشباب فرصة تأدية الخدمات بأنفسهم وحل المشكلات بجهدهم الشخصي.
- يوفر للشباب المشاركة في تحديد الأولويات التي يحتاجها المجتمع والمشاركة في اتخاذ القرارات.
- بناء علاقات اجتماعية جديدة تسهل عملية الاندماج في المجتمع والتكيف معه.
- يساهم في قضاء وقت الفراغ بأعمال تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

2- مجالات العمل التطوعي:

من أبرز المجالات التي يمارس فيها الشباب العمل الاجتماعي التطوعي ما يلي:

أ- المجال الديني:

الدعوة إلى الله تعالى، وهي أفضل أعمال التطوع قاطبة وهي أصل دعوة الرسل الذين لم يطلبوا من الناس عليها أجراً، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: 109]. ويدخل في هذا القسم: الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال والعلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها (الحسن، 1435هـ: 192).

من أهم مظاهر العمل التطوعي في هذا المجال: دعوة أفراد المجتمع إلى الخير من خلال المحاضرات والندوات الدينية التي تهدف إلى ربط المعاملات بالعبادات، وتوزيع

الكتب والأشرطة والمطويات. أيضاً بدعوة الجاليات وترجمة الكتب بعدة لغات ، عن طريق استخدام أساليب العمل الدعوي المذكورة في القرآن الكريم والسنة النبوية (المالكي، 1431هـ: 50). كما يشمل ذلك بناء المساجد وملحقاتها من سكن للقائمين على المساجد وفصول لحفظ القرآن الكريم (حجازي، وآخرون، 2011: 4111).

ب- المجال التعليمي والتربوي:

التطوع في مجال التعليم له أشكال عديدة، من أبرزها: الإسهام في بناء مدارس وجامعات وكليات ومعاهد للتعليم المجاني من قبل القطاع الخاص، وتشبيد مؤسسات المجتمع الأهلي، وبعث الطلاب المتفوقين لإكمال دراساتهم على حساب القطاع الأهلي، أو من قبل المحسنين، وأيضاً من أشكال التعليم التطوعي هو قيام مجموعة من المعلمين أو الطلاب الجامعيين بإعطاء التلاميذ دروساً في التقوية للمناهج التعليمية أيام الامتحانات خارج المدرسة من دون أي مقابل مادي (اليوسف، 2005: 45). كذلك من أشكال العمل التطوعي بناء فصول محو الأمية لغير المتعلمين من أفراد المجتمع والقيام بتعليمهم.

ج- المجال الثقافي:

من أهم الأنشطة في هذا المجال تقديم المحاضرات الدينية والعلمية، إقامة المناسبات الثقافية والأمسيات الشعرية، ومعارض الكتب وطباعة وتوزيع الكتيبات الإرشادية والتوعوية إقامة مسارح الأطفال والشباب (حجازي، وآخرون، 2011: 41).

د- المجال الاجتماعي:

العمل الاجتماعي التطوعي في المجال الاجتماعي يعد من أوسع المجالات التي يمارس فيها العمل التطوعي، ونشأ في كل مكان نشأت فيه حضارة من الحضارات وتطور بتطور المجتمعات الإنسانية حتى انتقل من الطابع الفردي التلقائي إلى تضافر الجهود وبروز فكرة الجمعيات والمؤسسات التطوعية (ذات النفع العام)، والتي تسهم في خدمة المجتمع ومواكبة ما يستجد من احتياجاته وشرائحه المختلفة (المالكي، 1431هـ: 50-51)، ويشمل: المسنين والمعاقين، وإغاثة المنكوبين ودفع الضرر عن الفقراء، ورعاية الأطفال اليتامى وكفالتهم في أسرهم، وإقامة المشاريع الخيرية، ويتضمن أيضاً (رعاية الطفولة - رعاية المرأة - إعادة تأهيل مدمني المخدرات - رعاية

الأحداث - مكافحة التدخين - رعاية المسنين - الإرشاد الأسري - مساعدة المشردين - رعاية الأيتام - مساعدة الأسر الفقيرة (السلطان، 2009: 15).

هـ- المجال الطبي:

يمكن أن يشارك المتطوع في خدمات الإسعاف والرعاية الصحية، ومجالات التطعيم، وتوعية الأفراد، وإقامة الندوات الصحية، كما أن بإمكانه تقديم خدمات جليلة في مجال مكافحة المخدرات، ورعاية كبار السن، والتنمية الريفية، ورعاية الشباب، والمعاقين، والموهوبين (الشهراني، 2006، 60). كذلك يتمثل في: تقديم الإسعافات وغيرها لمصابي الحوادث والكوارث، وجرحى الحروب والأسرى، والتطوع بالتبرع بالدم، وكذلك تعلم ثقافة الوقاية من الأمراض الخطرة التي انتشرت في هذه الأيام وتعليمها للآخرين (الحسن، 1435هـ: 193).

و- المجال الإعلامي:

للإعلام دور فاعل تجاه العمل الاجتماعي التطوعي لأهمية وسائل الإعلام في تنمية الوعي الاجتماعي فهي تخاطب الجمهور وتؤثر في مواقفه، وبالتالي توجه سلوكه تجاه ما يجري حوله، فالجمهور يعتمد في مواقفه واتجاهاته بشأن العمل الاجتماعي التطوعي على ما يصل إليه من معلومات وأفكار كماً وكيفاً. ويتجلى دور الإعلام ببيجاد ما يسمى بالإعلام التطوعي الذي يسهم في مجال حقوق الإنسان، وفي نشر الوعي الحقوقي بين الناس، وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم، وتأليف المصنفات في مجال حقوق الإنسان، والدفاع عن أية انتهاكات تقع من أي جهة ضد الإنسان وحقوقه المشروعة (اليوسف، 2005: 48-49).

3- معوقات العمل التطوعي:

أ- المعوقات المجتمعية:

قلة الوعي من قبل كثير من الأفراد بالعمل الاجتماعي التطوعي ودوره وأهميته في تنمية المجتمع. كذلك أنّ هناك تصوراً لدى كثير من الأفراد أنّ الدولة يجب عليها القيام بكل شيء، وليس هناك حاجة للأفراد لتقديم أعمال تطوعية أو المشاركة فيها؛ مما أدى إلى خلق اتكالية على الأجهزة الحكومية، وتهميش الجهود الشعبية التطوعية (الباز، 2002: 103).

كذلك يمكن أن تسهم الأنماط الثقافية السائدة في المجتمع في تقليص مشاركة الأفراد في العمل التطوعي، كالتقليل من أهميتهم الاجتماعية ومن دورهم في بناء المجتمع (السلطان، 2009: 91)، وقلة البرامج التدريبية التي تدعم التطوع أو تصقل مهارات المتطوعين، وقصور بعض الدعاة والأئمة في الحث على المشاركة في العمل التطوعي. كما أن غياب التقدير المجتمعي لإسهامات العمل الاجتماعي التطوعي أو المتطوع قد يكون من ضمن المعوقات لغياب التحفيز المعنوي والتقدير للمتطوع (المالكي، 1431: 72). كما أن تجاهل وسائل الإعلام بأهمية دور العمل الاجتماعي التطوعي في أمن المجتمع وتنميته يؤثر سلباً في المشاركة بالعمل التطوعي (الباز، 2002: 104).

فالمنظومة الثقافية المجتمعية تعد من أهم العوائق التي تؤثر في القيام بالعمل الاجتماعي التطوعي من حيث عدم دعم القائمين والعاملين بالتطوع وتشجيعهم؛ مما ينتج عن ذلك تدني الجهود التطوعية التي تخدم فئات المجتمع المختلفة.

ب- المعوقات المتعلقة بالتطوع:

وضحت بعض الدراسات أن المعوقات التي تواجه المتطوع تتمثل في: عدم توافر وسائل مواصلات تساعد في المشاركة بالأعمال التطوعية، وعدم قناعة ذوي المتطوعة بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي (المالكي، 1431: 70)، وعدم جدية المتطوع والاستمرار في أداء العمل الاجتماعي التطوعي (التويجري، 2013: 113)، وعدم الإحساس بالمسؤولية تجاه العمل الاجتماعي التطوعي، وجود صراع بين العاملين الدائمين في المؤسسة والمتطوعين، وتعارض النشاط التطوعي مع وقت الراغب في التطوع، والخوف من الالتزام بالعمل الاجتماعي التطوعي فيصعب التخلي والانسحاب منه.

ج- المعوقات المتعلقة بالمؤسسة:

من المعوقات المتعلقة بالمؤسسة: قلة الموارد المالية للمؤسسة، عدم تهيئة الأماكن المناسبة للعمل والإنتاج، عدم وضع المتطوع في العمل المناسب لقدراته وميوله واستعداداته (الليحاني، 1997: 192). عدم وجود إعلانات للجمعيات عن مدى احتياجها للمتطوعين، فقد يكون هناك العديد ممن لديهم الاستعداد للتطوع، لكنهم

لا يعلمون عن هذه الجمعيات أو ما يحتاجون إليه، عدم وجود أهداف واضحة لدى الجمعية أو المؤسسة الخيرية تمكنها من جلب الكثير من المتطوعين. عدم تعريف المتطوع بالمؤسسة التطوعية وأهدافها وطرق تنظيمها. قلة التعريف بالبرامج والنشاطات التطوعية التي تنفذها المؤسسات. عدم مشاركة المتطوعين في اتخاذ القرارات داخل المؤسسات (التويجري، 2013: 118).

الإطار المنهجي للدراسة:

تعد هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية التي تحاول فيها الباحثة أن تصف وتحلل دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي، ومعرفة المجالات التي يمارسون فيها العمل التطوعي، والوسائل والآليات، والمعوقات التي تواجههم، ويشمل الإطار المنهجي التالي:

أولاً- منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة منهج المسح الاجتماعي بأسلوب العينة في عملية جمع البيانات. نظراً لأنه من المناهج الأساسية التي تستخدم في الدراسات الوصفية، ويمكن من خلاله جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها، كذلك استخدمت المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي في عملية تحليل البيانات، وذلك باستخدام برنامج (spss)، وبعض المقاييس الإحصائية.

ثانياً- مجتمع الدراسة ومكانها:

مجتمع الدراسة هو كامل المفردات أو الوحدات التي يستهدفها الباحث في دراسته للموضوع المراد دراسته، وبمعنى آخر هو كل من يمكن أن تعم عليه نتائج البحث (العساف، 2012: 95).

ويشمل مجتمع الدراسة الحالية طالبات كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطلابها بجامعة النيلين: السودان، والذي شمل الأقسام الآتية: (الاجتماع والإنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية، العلوم السياسية، وعلم الاقتصاد).

ثالثاً- عينة الدراسة:

طبقت الدراسة على عينة عشوائية بسيطة من طلاب كلية الدراسات الاقتصادية

والاجتماعية وطالبتها بجامعة النيلين عن طريق النسبة والتناسب، ونسبة لتجانس المجتمع أخذت عينة بلغ حجمها (240) طالباً وطالبة من مجموع الطلاب والطالبات (7000)، شملت الأقسام الآتية: قسم الاقتصاد (140) طالباً وطالبة، قسم الاجتماع والإنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية (60) طالباً وطالبة، قسم العلوم السياسية (40) طالباً وطالبة.

رابعاً- أدوات الدراسة:

بناءً على البيانات التي يراد جمعها والمنهج المتبع في هذه الدراسة استخدمت الباحثة أداة الاستبانة لجمع البيانات، وقامت بإعدادها وتصميمها، حيث شملت مجموعة من الأسئلة المرتبطة بمشكلة، وأهداف، وتساؤلات الدراسة ووجهت لمجموعة من الطلاب والطالبات بكلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية بجامعة النيلين: السودان.

وصممت الاستبانة على النحو التالي:

- أ- قسمت الاستبانة إلى ثلاثة محاور بالإضافة إلى البيانات الأولية.
- ب- استخدم المقياس الثلاثي لبيان الدرجة التي تطابق طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي حول العبارات الواردة في الاستبانة الخاصة بالمحور الأول، كما يلي: (دائماً، أحياناً، وأبداً)
- ج- احتوت بقية المحاور (الثاني، الثالث، والرابع) على مجموعة من العبارات لكل محور، يختار المبحوث منها أكثر من عبارة في كل محور. (انظر الجزء الخاص بنتائج الدراسة الميدانية).

خامساً- صدق أداة الدراسة (الاستبانة) :

1- الصدق الظاهري:

من أجل التحقق من الصدق الظاهري لأداة الدراسة (الاستبانة) عرضت على ذوي الاختصاص من عضوات وأعضاء هيئة التدريس بمختلف الجامعات لتحكيمها من حيث ارتباط العبارات بالمحاور المراد قياسها وسلامتها من حيث الصياغة والمضمون ومدى تناسبها مع أهداف وتساؤلات الدراسة، وقد أبدوا ملاحظات قيمة أخذ بها.

2- الصدق الداخلي للاستبانة (الاتساق الداخلي):

لحساب صدق الاتساق الداخلي للاستبانة حُسب معامل ارتباط بيرسون بين الدرجة لكل عبارة والدرجة الكلية لمحور طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي، واستخدم لذلك برنامج (SPSS) والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم: (1) معاملات ارتباط بيرسون لعبارات محور طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي في العمل التطوعي وبين الدرجة الكلية للمحور

م	العبارات	معامل الارتباط بالمحور	مستوى الدلالة الإحصائية
1	أزور المرضى بالمستشفيات وأقدم لهم الدعم والعون.	0.67	**0.00
2	أشارك في البرامج التطوعية والحملات في مجال رعاية الأيتام.	0.63	**0.00
3	أسهم في الجهود التطوعية في مجال رعاية المسنين.	0.65	**0.00
4	أساعد وأرعى الفقراء والمحتاجين.	0.28	**0.00
5	أتعاون مع المؤسسات العاملة في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.	0.61	**0.00
6	أشارك في حملات محو الأمية.	0.61	**0.00
7	أدعو أفراد المجتمع إلى الخير من خلال المحاضرات وتوزيع الكتيبات الدينية والمطويات.	0.61	**0.00
8	أسهم في تقديم العون للمؤسسات العاملة في المجال الثقافي.	0.64	**0.00
9	أسهم في البرامج التطوعية للحفاظ على البيئة.	0.53	**0.00
10	أقدم خدمات إعلامية للجمعيات الخيرية.	0.60	**0.00
11	أسهم في نشر الوعي الحقوقي بين أفراد المجتمع.	0.44	**0.00
12	أسهم في تكوين بعض اللجان الخاصة بالجمعيات الخيرية.	0.58	**0.00
13	أسهم في حملات الإغاثة والمنكوبين.	0.50	**0.00
14	أنا عضو في جمعية خيرية.	0.57	**0.00

* يعني مستوى الدلالة (0.05)، ** يعني مستوى الدلالة (0.01)

يتضح من الجدول (1) ارتباط جميع العبارات بمحور طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي بالدرجة الكلية للمحور وجميع هذه الارتباطات ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.01)، ويدل ذلك على ارتفاع صدق الاتساق الداخلي للاستبانة؛ مما يؤكد الارتباط الداخلي لعبارات الاستبانة ويدل على أن أداة الدراسة تتسم بدرجة عالية من الصدق، وأنها صالحة لقياس ما وضعت لقياسه.

سادسا- الأساليب الإحصائية:

- 1- التكرارات والنسب المئوية لوصف خصائص أفراد العينة.
- 2- المتوسط الحسابي «Mean» لمعرفة مدى ارتفاع استجابات أفراد الدراسة أو انخفاضه حول عبارات محاور الاستبانة.
- 3- الانحراف المعياري «Standard Deviation» لمعرفة مدى انحراف استجابات أفراد الدراسة لكل عبارة من عبارات محاور الاستبانة.
- 4- معامل ارتباط «بيرسون» لقياس صدق الاستبانة.

عرض البيانات وتحليلها والمعالجة الإحصائية:
أولاً: خصائص أفراد العينة (الشباب الجامعي: طلاب وطالبات):
جدول رقم: (2) خصائص أفراد العينة

النسبة %	التكرار	البيانات	الخصائص
61.25	147	ذكر	الجنس
38.75	93	أنثى	
100	240	الإجمالي	
11.67	28	أقل من 20 سنة	العمر
51.25	123	من 20 - أقل من 23 سنة	
17.92	43	من 23 - أقل من 26 سنة	
19.17	46	من 26 سنة فأكثر	
100	240	الإجمالي	
21.25	51	الأولى	السنة الدراسية
19.58	47	الثانية	
38.33	92	الثالثة	
20.83	50	الرابعة	
100	240	الإجمالي.	
25.00	60	الاجتماع والإنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية.	القسم
58.33	140	الاقتصاد	
16.67	40	العلوم السياسية	
100	240	الإجمالي	
72.92	175	أعزب / عازبة	الحالة الاجتماعية
11.67	28	متزوج / متزوجة	
11.67	28	منفصل / منفصلة	
3.75	9	أرمل / أرملة	
100	240	الإجمالي	
15.00	36	عمار	نوع السكن
2.92	7	فيلا	
11.25	27	شقة	
69.58	167	بيت شعبي	
1.25	3	أخرى	
100	240	الإجمالي	
50.42	121	ملك	نوع حيازة السكن
21.67	52	إيجار	
26.25	63	سكن حكومي	
1.67	4	أخرى	
100	240	الإجمالي	
26.25	63	أقل من 2000 جنيه	دخل أسرتك الشهرية
54.17	130	2000 إلى أقل من 4000 جنيه	
7.08	17	4000 إلى أقل من 6000 جنيه	
12.50	30	6000 جنيه فأكثر	
100	240	الإجمالي.	

يتضح من الجدول (2) ما يلي:

- معظم أفراد العينة من طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطالباتها بجامعة النيلين من الذكور حيث كانت نسبتهم المئوية (61.25%)، ثم الإناث بنسبة (38.75%).
- أكثر أفراد العينة ممن أعمارهم (من 20 - أقل من 23 سنة) حيث كانت نسبتهم المئوية (51.25%)، ثم الذين أعمارهم (من 26 سنة فأكثر) بنسبة (19.17%)، يليهم من أعمارهم (من 23 - أقل من 26 سنة) بنسبة (17.92%)، وأخيراً الذين أعمارهم (أقل من 20 سنة) بنسبة مئوية (11.67%).
- أكثر أفراد العينة يدرسون في السنة الدراسية الثالثة حيث كانت نسبتهم المئوية (38.33%)، ثم يليهم طلاب السنة الدراسية الأولى بنسبة (21.25%)، يليهم طلاب السنة الدراسية الرابعة بنسبة (20.83%)، وأخيراً طلاب السنة الدراسية الثانية بنسبة مئوية (19.58%).
- أكثر أفراد العينة من قسم (علم الاقتصاد) حيث كانت نسبتهم المئوية (58.33%)، ثم يليهم أفراد العينة من قسم (علم الاجتماع والإنثروبولوجيا والخدمة الاجتماعية) بنسبة (25.0%)، وأخيراً أفراد العينة من قسم (العلوم السياسية) بنسبة مئوية (16.67%).
- معظم أفراد العينة من العزاب والعازبات حيث كانت نسبتهم المئوية (72.92%)، ثم يأتي كل من المتزوجين والمتزوجات أو المطلقين والمطلقات بنسبة (11.67%) لكل منهما، وأخيراً الأراامل من الجنسين بنسبة مئوية (3.75%).
- معظم أفراد العينة يسكنون في بيت شعبي بنسبة مئوية (69.58%)، ثم يأتي من يسكنون في عمارة بنسبة (15.0%)، يليهم من يسكنون في شقة بنسبة (11.25%)، ثم يليهم من يسكنون في فيلا بنسبة (2.92%)، وأخيراً من يسكنون في مساكن أخرى بنسبة (1.25%).
- أكثر أفراد العينة يملكون سكنهم حيث كانت نسبتهم المئوية (50.42%)، ثم من يسكنون في سكن حكومي بنسبة مئوية (26.25%)، يليهم من يسكنون بالإيجار بنسبة مئوية (21.67%)، وهناك أنواع أخرى من ملكية السكن بنسبة مئوية (1.67%).
- أكثر أفراد العينة ممن كان دخل أسرهم (من 2000 - أقل من 4000 جنيه)

دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي

حيث كانت نسبتهم المئوية (54.17%)، ثم يأتي من دخل أسرهم (أقل من 2000 جنيه) بنسبة مئوية (26.25%)، يليهم من دخل أسرهم (من 6000 فأكثر) بنسبة مئوية (12.50%)، وأخيراً من كان دخل أسرهم (من 4000- أقل من 6000 جنيه) بنسبة مئوية (7.08%).

ثانياً- عرض بيانات أفراد العينة وتحليلها (الطلاب والطالبات):

جدول رقم: (3) طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي

م	العبارات	دائماً	أحياناً	أبداً	النسبة المتوسطة الحسابية	البيانات الوصفية	الرتبة
1	أزور المرضى بالمستشفيات وأقدم لهم الدعم والعون	82	138	20	2.26	0.6	2
		34.17 %	57.5	8.33			
2	أشارك في البرامج التطوعية والحملات في مجال رعاية الأيتام	86	98	56	2.13	0.76	5
		35.83 %	40.83	23.33			
3	أسهم في الجهود التطوعية في مجال رعاية المسنين	81	101	58	2.1	0.76	6
		33.75 %	42.08	24.17			
4	أساعد وأرعى الفقراء والمحتاجين	81	133	26	2.23	0.63	4
		33.75 %	55.42	10.83			
5	أتعاون مع المؤسسات العاملة في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة	55	125	60	1.98	0.69	13
		22.92 %	52.08	25			
6	أشارك في حملات محو الأمية	60	125	55	2.02	0.69	12
		25 %	52.08	22.92			
7	أدعو أفراد المجتمع إلى الخير من خلال المحاضرات وتوزيع الكتيبات الدينية والمطويات	70	122	48	2.09	0.7	8
		29.17 %	50.83	20			
8	أسهم في تقديم العون للمؤسسات العاملة في المجال الثقافي	66	122	52	2.06	0.7	11
		27.5 %	50.83	21.67			
9	أسهم في البرامج التطوعية للحفاظ على البيئة	99	114	27	2.3	0.66	1
		41.25 %	47.5	11.25			
10	أقدم خدمات إعلامية للجمعيات الخيرية	71	121	48	2.1	0.7	6
		29.58 %	50.42	20			
11	أسهم في نشر الوعي الحقوقي بين أفراد المجتمع	88	125	27	2.25	0.65	3
		36.67 %	52.08	11.25			
12	أسهم في تكوين بعض اللجان الخاصة بالجمعيات الخيرية	53	119	68	1.94	0.71	14
		22.08 %	49.58	28.33			
13	أسهم في حملات الإغاثة والمنكوبين	70	116	54	2.07	0.72	9
		29.17 %	48.33	22.5			
14	عضو في جمعية خيرية	77	102	61	2.07	0.76	9
		32.08 %	42.5	25.42			
	المتوسط العام للمحور				2.11	0.70	

يتضح من الجدول (3) وجهات نظر أفراد العينة من طلاب كلية الدراسات

الاقتصادية والاجتماعية وطالبتها بجامعة النيلين حول درجة ممارستهم لعبارات طبيعة الدور الذي تمارسه في العمل الاجتماعي التطوعي، فقد كان المتوسط الحسابي العام لهذا المحور (2.11)؛ مما يعني أن معظم أفراد العينة من الطلاب والطالبات يمارسون العمل الاجتماعي التطوعي بدرجة (أحياناً) بشكل عام، وقد تراوح المتوسط الحسابي لدرجة الممارسة من وجهة نظر أفراد العينة على عبارات هذا المحور ما بين (1.94 - 2.30) درجة من أصل (3) درجات وجميعها متوسطات تقابل درجتي الموافقة (دائماً، أحياناً)، ويمكن ترتيب هذه العبارات ترتيباً تنازلياً حسب المتوسط الحسابي كما يأتي:

- أسهم في البرامج التطوعية للحفاظ على البيئة في (المرتبة الأولى) بمتوسط حسابي (2.30).
- أزور المرضى بالمستشفيات وأقدم لهم الدعم والعون في (المرتبة الثانية) بمتوسط حسابي (2.26).
- أسهم في نشر الوعي الحقوقي بين أفراد المجتمع في (المرتبة الثالثة) بمتوسط حسابي (2.25).
- أساعد وأرعى الفقراء والمحتاجين في (المرتبة الرابعة) بمتوسط حسابي (2.23).
- أشرك في البرامج التطوعية والحملات في مجال رعاية الأيتام في (المرتبة الخامسة) بمتوسط حسابي (2.13).
- العبارتان أسهم في الجهود التطوعية في مجال رعاية المسنين، وأقدم خدمات إعلامية للجمعيات الخيرية في (المرتبة السادسة) نفسها بمتوسط حسابي (2.10) لكل منهما.
- أدعو أفراد المجتمع إلى الخير من خلال المحاضرات وتوزيع الكتيبات الدينية والمطويات في (المرتبة الثامنة) بمتوسط حسابي (2.09).
- العبارتان أسهم في حملات الإغاثة والمنكوبين، وعضو في جمعية خيرية في نفس (المرتبة التاسعة) بمتوسط حسابي (2.07) لكل منهما.
- أسهم في تقديم العون للمؤسسات العاملة في المجال الثقافي في (المرتبة الحادية عشرة) بمتوسط حسابي (2.06).
- أشرك في حملات محو الأمية في (المرتبة الثانية عشرة) بمتوسط حسابي (2.02).

- أتعاون مع المؤسسات العاملة في مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة في (المرتبة الثالثة عشرة) بمتوسط حسابي (1.98).

- أسهم في تكوين بعض اللجان الخاصة بالجمعيات الخيرية في (المرتبة الرابعة عشرة) بمتوسط حسابي (1.94).

وبالنظر إلى قيم الانحراف المعياري وهو مقدار تشتت استجابات أفراد العينة عن المتوسط الحسابي لكل عبارة، فكلما زاد الانحراف المعياري ازداد تشتت آراء أفراد العينة حول ثلاثة اختيارات (دائمًا، أحيانًا، وأبداً) حيث اتضح أن معظم قيم الانحراف المعياري لعبارات محور طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي تنحصر بين (0.60، 0.76) وجاءت أقل قيمة للانحراف المعياري للعبارة (أزور المرضى بالمستشفيات وأقدم لهم الدعم والعون)؛ مما يدل على أنها أكثر عبارة تقاربت آرائهم حولها، بينما كانت أكبر قيمة للانحراف المعياري للعبارات الثلاث (أشارك في البرامج التطوعية والحملات في مجال رعاية الأيتام، أسهم في الجهود التطوعية في مجال رعاية المسنين، وعضو في جمعية خيرية) مما يدل على أنها أكثر العبارات التي اختلفت آرائهم حولها. بملاحظة التكرارات في الجدول نلاحظ أن عدداً كبيراً من الطلاب والطالبات لهم دور كبير في ممارسة العمل التطوعي بأشكال عديدة كما موضح في عبارات الجدول، وهذا يدل على أن الأسرة تشجع أبناءها على ممارسة العمل التطوعي، وتغرس فيهم حب التطوع منذ الصغر، والمجتمع السوداني يعرف له ثقافة التطوع ومساعدة الفئات المحتاجة منذ وقت طويل.

جدول رقم: (4) المجالات التطوعية التي يمارس الشباب الجامعي من خلالها العمل الاجتماعي التطوعي

م	العبارات	التكرار	النسبة %
1	المجال الديني	161	67.08
2	مجال رعاية الأيتام	112	46.67
3	المجال الثقافي	108	45.00
4	المجال الطبي	78	32.50
5	مجال الحفاظ على البيئة	78	32.50
6	مجال نشر الوعي الحقوقي لأفراد المجتمع	78	32.50
7	مجال مساعدة الفقراء والمحتاجين ورعايتهم	75	31.25
8	مجال رعاية المسنين	70	29.17
9	المجال الإعلامي للجمعيات الخيرية	66	27.50
10	المجال التعليمي ومحو الأمية	59	24.58
11	مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة	49	20.42

يتضح من الجدول (4) أنّ من أهم المجالات التطوعية التي يمارس طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطالباتها بجامعة النيلين من خلالها العمل الاجتماعي التطوعي، وهي مرتبة تنازلياً حسب النسبة المئوية لتكرارها كما يأتي:

- المجال الديني بنسبة مئوية (67.08%).
 - مجال رعاية الأيتام بنسبة مئوية (46.67%).
 - المجال الثقافي بنسبة مئوية (45.0%).
 - (المجال الطبي، مجال الحفاظ على البيئة، ومجال نشر الوعي الحقوقي لأفراد المجتمع) بنسبة مئوية (32.50%) لكل منها.
 - مجال مساعدة الفقراء والمحتاجين ورعايتهم بنسبة مئوية (31.25%).
 - مجال رعاية المسنين بنسبة مئوية (29.17%).
 - المجال الإعلامي للجمعيات الخيرية بنسبة مئوية (27.50%).
 - المجال التعليمي ومحو الأمية بنسبة مئوية (24.58%).
 - وأخيراً مجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة بنسبة مئوية (20.42%).
- نلاحظ من نتائج هذا الجدول المجالات التطوعية التي يمارس الشباب الجامعي

دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي

(طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطالباتها بجامعة النيلين) العمل التطوعي من خلالها، وهي مجالات تطوع مهمة تعكس دور الشباب الجامعي ووعيهم بأهمية العمل التطوعي الذي يتيح لهم الفرصة للتعبير عن آرائهم وأفكارهم في القضايا العامة التي تخص المجتمع، وفي تنمية قدراتهم ومهاراتهم الشخصية والعلمية والعملية، ويسهم في بناء علاقات اجتماعية جديدة، وفي قضاء وقت الفراغ بأعمال تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

جدول رقم: (5) الوسائل والآليات التي تفعل من مشاركة الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي

م	العبارات	التكرار	النسبة %
1	غرس حب العمل الاجتماعي التطوعي في الفرد منذ الصغر من خلال الأسرة	135	56.25
2	زرع القيم الأخلاقية في الشباب	98	40.83
3	تدريب الشباب وتأهيلهم (ذكور و إناث) الراغبين بالمشاركة في العمل التطوعي	83	34.58
4	تفعيل دور وسائل الإعلام في تثقيف أفراد المجتمع بماهية العمل الاجتماعي التطوعي	81	33.75
5	التوعية ونشر ثقافة التطوع وتشجيع ممارستها عن طريق الندوات والبرامج الثقافية	78	32.50
6	توظيف وسائل الاتصال الحديثة مثل: (مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت) لتشجيع الشباب في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي	78	32.50
7	تطوير برامج تربية بالجامعات لتعريف الطلاب بالعمل الاجتماعي التطوعي	74	30.83
8	إشراك أئمة المساجد والدعاة في التوعية بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي	71	29.58
9	دعم المؤسسات والهيئات العاملة في مجال العمل التطوعي مادياً ومعنوياً	69	28.75
10	تضمين المقررات الدراسية بالمؤسسات التعليمية مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي	64	26.67
11	ضمان توافر وسائل المواصلات لتسهيل مشاركة الشباب الجامعي في الأعمال التطوعية	63	26.25
12	تقديم حوافز مادية و معنوية للمتطوعين تحفزهم للمشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي	61	25.42

يتبين من الجدول (5) أنّ من أهم الوسائل والآليات التي تفعل من مشاركة أفراد العينة من طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطالباتها بجامعة النيلين

- في العمل التطوعي، وهي مرتبة تنازلياً حسب النسب المئوية لتكرارها كما يأتي:
- غرس حب العمل الاجتماعي التطوعي في الفرد منذ الصغر من خلال الأسرة.
 - زرع القيم الأخلاقية في الشباب.
 - تدريب الشباب (ذكور و إناث) وتأهيلهم الراغبين بالمشاركة في العمل التطوعي.
 - تفعيل دور وسائل الإعلام في تثقيف أفراد المجتمع بماهية العمل الاجتماعي التطوعي.
 - التوعية ونشر ثقافة التطوع وتشجيع ممارستها عن طريق الندوات والبرامج الثقافية.
 - توظيف وسائل الاتصال الحديثة مثل: (مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت) لتشجيع الشباب في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي.
 - تطوير برامج تربوية بالجامعات لتعريف الطلاب بالعمل الاجتماعي التطوعي.
 - إشراك أئمة المساجد والدعاة في التوعية بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي.
 - دعم المؤسسات والهيئات العاملة في مجال العمل التطوعي مادياً ومعنوياً.
 - تضمين المقررات الدراسية بالمؤسسات التعليمية مفاهيم العمل الاجتماعي التطوعي.
 - ضمان توفر وسائل المواصلات لتسهيل مشاركة الشباب الجامعي في الأعمال التطوعية.
 - تقديم حوافز مادية و معنوية للمتطوعين تحفزهم للمشاركة في العمل الاجتماعي التطوعي.
- هذه الوسائل والآليات إذا توافرت فلها دور فاعل في مشاركة الشباب الجامعي في العمل التطوعي، وبالأخص الأسرة وغرس حب العمل التطوعي في أبنائها منذ الصغر، كذلك التدريب والتأهيل، ونشر ثقافة التطوع وتشجيع ممارستها عن طريق الندوات ووسائل الإعلام، وتطوير برامج تربوية بالجامعات لتعريف الطلاب بالعمل الاجتماعي التطوعي.

جدول رقم: (6) المعوقات التي تواجه الشباب الجامعي في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي

م	العبارات	التكرار	النسبة %
1	نظرة المجتمع السالبة وعدم تقديره لإسهامات الشباب المتطوعين	85	35.42
2	عدم توفر وسائل المواصلات التي تنقل المتطوع إلى مكان العمل الاجتماعي التطوعي	84	35.00
3	قصور التوعية الإعلامية في توضيح أهمية العمل الاجتماعي التطوعي	82	34.17
4	عدم وجود الحوافز المعنوية للمتطوع	81	33.75
5	عدم توفر الوقت الكافي لممارسة العمل الاجتماعي التطوعي	76	31.67
6	الجهل بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي من قبل بعض أفراد المجتمع	75	31.25
7	عدم وضوح الأهداف للمؤسسات التطوعية	71	29.58
8	مؤسسات التطوع لا تهتم بتدريب المتطوعين	68	28.33
9	غياب الإعلانات التي توضح مدى احتياج المؤسسات للمتطوعين	67	27.92
10	المؤسسات التطوعية لا تغطي مصاريف التطوع	65	27.08
11	بعض القيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية تحول دون القيام بالعمل الاجتماعي التطوعي	61	25.42
12	عدم رغبة المتطوع في الانتماء لجماعات العمل الاجتماعي التطوعي	58	24.17
13	غياب اللوائح والقوانين التي تنظم العمل الاجتماعي التطوعي داخل المؤسسات التطوعية	57	23.75

يتضح من الجدول (6) أنّ من أهم المعوقات التي تواجه أفراد العينة من طلاب كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وطالباتها بجامعة النيلين في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي، وهي مرتبة تنازلياً حسب النسبة المئوية لتكرارها كما يأتي:

- نظرة المجتمع السالبة وعدم تقديره لإسهامات الشباب المتطوعين.
- عدم توافر وسائل المواصلات التي تنقل المتطوع إلى مكان العمل الاجتماعي التطوعي.
- قصور التوعية الإعلامية في توضيح أهمية العمل الاجتماعي التطوعي.
- عدم وجود الحوافز المعنوية للمتطوع.
- عدم توافر الوقت الكافي لممارسة العمل الاجتماعي التطوعي.

- الجهل بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي من قبل بعض أفراد المجتمع.
- عدم وضوح الأهداف للمؤسسات التطوعية.
- مؤسسات التطوع لا تهتم بتدريب المتطوعين.
- غياب الإعلانات التي توضح مدى احتياج المؤسسات للمتطوعين.
- المؤسسات التطوعية لا تغطي مصاريف التطوع.
- بعض القيم والتقاليد والأعراف الاجتماعية تحول دون القيام بالعمل الاجتماعي التطوعي.
- عدم رغبة المتطوع في الانتماء لجماعات العمل الاجتماعي التطوعي.
- غياب اللوائح والقوانين التي تنظم العمل الاجتماعي التطوعي داخل المؤسسات التطوعية.

مناقشة نتائج الدراسة:

في ظل تساؤلات الدراسة يمكن مناقشة النتائج التي توصلت إليها؛ **بالنسبة للسؤال الأول:** ما دور الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي؟

للإجابة عن هذا السؤال حُسبت التكرارات والنسب المئوية والمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والترتيب للمتوسط الحسابي لعبارات المحور الأول: (طبيعة الدور الذي يمارسه الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي)، وقد أوضحت النتائج أن أغلب الشباب الجامعي يمارس العمل الاجتماعي التطوعي من خلال مشاركتهم في: البرامج التطوعية للحفاظ على البيئة، وزيارة المرضى بالمستشفيات وتقديم الدعم والعون لهم، نشر الوعي الحقوقي بين أفراد المجتمع، مساعدة ورعاية الفقراء والمحتاجين، والمشاركة في البرامج التطوعية والحملات في مجال رعاية الأيتام، وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة: (السلطان، 2009) في التوجه الإيجابي للشباب الجامعي نحو العمل التطوعي من خلال مساعدة الفقراء وزيارة المرضى في المستشفيات، وتختلف مع نتائج دراسات كل من: (الباز، 2002)، و(الزبيدي، 2006) في أن الغالبية العظمى من الشباب الجامعي غير مشاركين في العمل التطوعي، و(عطية، 2012)، و(عز العرب، 2012) في أن ممارسة الشباب

الجامعي للعمل التطوعي ضعيفة جداً ومشاركتهم منخفضة، وتتفق مع فرضيات نظرية الدور في أن الشباب الجامعي يمارسون دورهم في التطوع الذي ربما تعلموه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية وتشكل سلوكهم وفق معايير وتوقعات أسهمت في ممارستهم لهذا الدور.

السؤال الثاني: ما المجالات التطوعية التي يمارس فيها الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين العمل الاجتماعي التطوعي؟

تبين من نتائج الدراسة أن أهم المجالات التطوعية التي يمارس فيها الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين العمل الاجتماعي التطوعي تتمثل في: المجال الديني، مجال رعاية الأيتام، المجال الثقافي، المجال الطبي، مجال الحفاظ على البيئة، مجال نشر الوعي الحقوقي لأفراد المجتمع، مجال مساعدة ورعاية الفقراء والمحتاجين، مجال رعاية المسنين، المجال التعليمي ومحو الأمية، ومجال رعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، وتتفق هذه النتائج مع النتائج التي توصلت لها دراسة: (السلطان: 2009) في أن الشباب الجامعي يمارسون العمل التطوعي في مجالات عديدة منها: مساعدة الفقراء ورعايتهم، وزيارة المرضى، ورعاية المعوقين، والحفاظ على البيئة، وتتفق أيضاً مع فرضيات نظرية الدور في أن للشباب الجامعي دوراً في العمل التطوعي في هذه المجالات.

السؤال الثالث: ما الوسائل والآليات التي تفعل من مشاركة الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في العمل الاجتماعي التطوعي؟ توصلت الدراسة إلى أن من أهم الوسائل والآليات التي تفعل من مشاركة الشباب الجامعي في العمل الاجتماعي التطوعي: غرس حب العمل الاجتماعي التطوعي في الفرد منذ الصغر من خلال الأسرة، وزرع القيم الأخلاقية في الشباب، وتدريب الشباب الراغبين بالمشاركة في العمل التطوعي وتأهيلهم، تفعيل دور وسائل الإعلام في تثقيف أفراد المجتمع بماهية العمل الاجتماعي التطوعي، التوعية ونشر ثقافة التطوع وتشجيع ممارستها عن طريق الندوات والبرامج الثقافية، وتوظيف وسائل الاتصال الحديثة مثل: (مواقع التواصل الاجتماعي والإنترنت) لتشجيع الشباب في ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي.

بالنسبة للسؤال الرابع: ما المعوقات التي تواجه الشباب الجامعي السوداني

بجامعة النيلين في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي؟

اتضح من نتائج الدراسة أن أهم المعوقات التي تواجه الشباب الجامعي السوداني بجامعة النيلين في ممارستهم للعمل الاجتماعي التطوعي الآتي: نظرة المجتمع السالبة وعدم تقديره لإسهامات الشباب المتطوعين، عدم توافر وسائل المواصلات التي تنقل المتطوع إلى مكان العمل الاجتماعي التطوعي، وقصور التوعية الإعلامية في توضيح أهمية العمل الاجتماعي التطوعي، وعدم وجود الحوافز المعنوية للمتطوع، وعدم توافر الوقت الكافي لممارسة العمل الاجتماعي التطوعي، والجهل بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي من قبل بعض أفراد المجتمع، وعدم وضوح الأهداف للمؤسسات التطوعية، ومؤسسات التطوع لا تهتم بتدريب المتطوعين، وغياب الإعلانات التي توضح مدى احتياج المؤسسات للمتطوعين، وغياب اللوائح والقوانين التي تنظم العمل التطوعي داخل المؤسسات التطوعية، وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة: (الباز، 2002) التي توصلت إلى عدم تقدير المجتمع للمشاركة في العمل التطوعي، وعدم وجود توعية إعلامية توضح أهمية المشاركة في العمل التطوعي، ومعوقات إدارية تتعلق بالمؤسسات، ودراسة: (محمد، 2008) التي بينت أن من أهم معوقات العمل التطوعي في المنظمات ضعف تدريب العاملين وتأهيلهم، ودراسة: (السلطان، 2009) التي توصلت إلى عدم الإعلان عن برامج العمل التطوعي، عدم توافر برامج التدريب للشباب، ودراسة: (عز العرب، 2012) التي كشفت أن أهم معوقات العمل التطوعي البعد الإعلامي، ودراسة: (عطية، 2012) التي وضحت غياب الوعي المجتمعي بأهمية دور المتطوع، وعدم وجود الوقت الكافي للمتطوع، ودراسة: (الفائز، 2012) التي توصلت إلى: عدم وجود برامج تدريب للمتطوع، صعوبة توافر الوقت الكافي للمتطوع.

توصيات الدراسة:

- بناءً على النتائج التي توصلت إليها الباحثة توصي الدراسة بما يلي:
- 1- التوعية المجتمعية من خلال وسائل الإعلام بأهمية العمل الاجتماعي التطوعي.
- 2- على المؤسسات التطوعية توفير التدريب الكافي للشباب المتطوعين.
- 3- على إدارة الجامعة تفعيل الشراكة المجتمعية وخدمة المجتمع في الكليات حتى

دور الشباب الجامعي السوداني في العمل الاجتماعي التطوعي

يجد الشباب الوقت الكافي لممارسة العمل التطوعي.

4- على وزارة التعليم إدراج ثقافة التطوع في المناهج الدراسية في كل المراحل الدراسية.

5- على إدارة الجامعة تشجيع الطلبة على ممارسة العمل الاجتماعي التطوعي في كل المجالات التطوعية من خلال إقامة حملات تطوعية منظمة.

6- على وزارة الإعلام تخصيص برامج وإعلانات تعكس أهمية العمل الاجتماعي التطوعي.

دلالات العلاقات العامة من منظور إسلامي

دراسة وصفية تحليلية

د. محمد يوسف إبراهيم¹

مُقدِّمة:

إنَّ الهدف الأسمى للعلاقات العامة هو تحقيق الانسجام والتوافق في المجتمع الحديث الذي تعتريه التغيرات السريعة في نظم الحكم والسياسة والمخترعات العلمية والمستحدثات الجديدة التي غيرت وجه التاريخ، فالمهمة الكبرى للعلاقات العامة هي التوفيق بين عناصر المجتمع ومنظماته وهيئاته والتنسيق بين مصالحه المختلفة تحقيقاً لمصالح المجتمع العليا، والعمل على ترقية أسباب التفاهم والانسجام الاجتماعي بين مختلف المنظمات والهيئات⁽¹⁾.

وقد وجدت العلاقات العامة منذ وجود الإنسان ولكنها لم تكتشف اكتشافاً علمياً ولم تبحث بحثاً موضوعياً ولم تصل إلي مرتبة العلم والدراسة إلا في القرن العشرين، ولأن الإنسان كائن اجتماعي بطبعه فقد كان من الضروري أن يعيش في مجتمع آدمي يتصل ويتواصل مع غيره في إطار مجتمعه الصغير ومع المجتمعات البشرية الأخرى، ذلك مما تفرضه حتمية المصالح وتبادل المنافع، وقد أدى ذلك إلى وجود العلاقات العامة كظاهرة حتى تبلورت وأصبحت علم وفناً.

لذلك فإنَّ علم العلاقات العامة ما هو إلا تراكم خبرات عبر العصور والأزمنة انتقلت إلينا ليبدأ في تأطيره ووضع آلياته ومعالجه بالاستفادة من العلوم الإنسانية القائمة الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع والانثروبوجيا وعلم الاقتصاد وغيرها من العلوم، فاقترضت الحاجة الإنسانية أن يوجد هذا العلم عندما استدعت الظروف ذلك إبان الثورة الصناعية التي قامت في أمريكا وأوروبا في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين والتي كان من تبعاتها قيام الشركات العملاقة وازدياد عدد العمال⁽²⁾.

1 كلية العلوم الإسلامية والعربية جامعة سنار

2 خالد الصوفي، العلاقات العامة - أساليب وممارسات، ط1 (القاهرة: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، 2004م)، ص32.

مشكلة البحث:

إن مجتمعاتنا الإسلامية اليوم تعاني الكثير من المشكلات في كافة الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها مما يستدعي الحاجة الماسة لجلب المنافع بالبحث والاستقصاء والعمل على ترسيخ المفاهيم السليمة التي تشخص الواقع بصوره علميه سليمة.

وفي هذا المجال الذي نتحدث عنه أي العلاقات العامة لا يمكن أن نتناسى أهميتها وتأثيرها وحيويتها لأي مجتمع، وبالتالي يصبح التحدي هو كيفية الاستفادة القصوى من العلاقات العامة باعتبارها تنشيط في كل هذه الميادين - في حل الإشكالات وتقديم المبادرات وقيادة المجتمع وفق رؤية مقاصدية همها الأول عمران الأرض عملاً وعبادة وإرضاءً لله رب العالمين وفق نهج الدين الذي يأمر بدرء المفسد وجلب المنافع.

كان لظهور العلاقات العامة بصورتها الحديثة أثرٌ كبيرٌ في مفهوم العلاقات الإنسانية بصورة عامة وعلى مستوى الإدارة وعلى مستوى علاقات العمل بصورة خاصة وقد ترتب على ذلك نتائج ايجابية أسهمت في ترقية مستوى التعامل الإنساني واحترام حقوق الآخر وخلق صلات اتصال مباشرة وغير ذلك من النتائج الايجابية والتي استفادت من الجو الديمقراطي الحر في بلاد الغرب، فالتأمل في سرعة تطور العلاقات العامة وانفتاحها على ميادين جديدة واستيعابها لقضايا كثيرة متنوعة ومتجددة وتوسع الاستفادة منها في معالجة كثير من قضايا المجتمعات والدول وتحقيق مصالحها والتنبؤ بدورها في المستقبل يكاد يلمس غياباً تاماً للرؤية الإسلامية حول هذه الموضوعات، فالمنظور السائد للعلاقات العامة في مجتمعاتنا الإسلامية هو منظور غربي بحث دار المجهود فقط حول ترجمته وتعريب مصطلحاته ومفاهيمه، دون إعمال النظر حول مكوناته أو مبادئه أو مدى تناسبه مع مجتمعاتنا الإسلامية ذات النسق الحضاري الذي يختلف عن النسق الحضاري الغربي في قيمه ومعتقداته وأخلاقه.

لذا نجد أن الواقع العملي لممارسة للعلاقات العامة في مجتمعاتنا الإسلامية هو ضربٌ من التقليد المشابه لممارستها في الغرب دون الأخذ بالمبادرة والسبق وتلمس المصالح والاحتياجات وفق رؤية مقاصدية والسعي لتكون أنموذجاً يحتذى به في هذا المجال، وهنا يمكن طرح تساؤل موضوعي: هل المنظور الإسلامي للعلاقات

العامة يستطيع أن يقدم أنموذجاً أفضل وأقوى من الأنموذج الغربي الذي جاء نتيجة البحث عن المصلحة ونتيجة الحاجة العملية فقط وذلك بالاستناد لخصائص التصور الإسلامي للظاهرة الإنسانية ككل ولمقصد الإحسان والنفعة في العلاقات الإنسانية على وجه الخصوص ؟

تساؤلات البحث:

- 1- ما المنظور الإسلامي للعلاقات العامة ؟
- 2- ما الملامح التي يقوم عليها هذا المنظور؟
- 3- هل يتفق لمنظور الإسلامي أو يختلف مع المنظور الغربي بصورة عامة ؟
- 4- هل يمكن بناء منظور إسلامي للعلاقات العامة ؟

أهداف البحث:

- 1- التحقق من وجود منظور إسلامي للعلاقات العامة.
- 2- الكشف عن أهم خصائص هذا المنظور
- 3- معرفة جوانب الاتفاق والاختلاف مع المنظور الغربي.

أهمية البحث:

- 1- أهمية هذا البحث تتمثل في سعيه لإيجاد منظور إسلامي يسهم في الاستفادة من فاعلية العلاقات العامة المعاصرة خاصة بعد أن أثبتت نتائج كثير من البحوث والدراسات في الغرب أنها قد حققت نجاحات كبيرة في بناء الصورة الذهنية الجيدة للمؤسسات المعاصرة وفي التسويق لمشروعاتها والتفاعل مع الرأي العام.
- 2- التعرف على الخصائص التي يمكن أن تميز المنظور الإسلامي للعلاقات العامة والاستفادة منها قدر الإمكان في المجال المعرفي ومن ثم المجال التطبيقي.
- 3- الاهتمام بدراسة العلاقات العامة من خلال المنظور الإسلامي قد يسهم في زيادة الاهتمام والبحث التفصيلي لكل موضوعات العلاقات العامة والقضايا المعاصرة ذات الصلة بها من خلال هذا المنظور

المبحث الأول: المنظور الغربي للعلاقات العامة

الحديث عن المنظور الغربي للعلاقات العامة يقتضى بالضرورة الإشارة لظروف نشأة العلاقات العامة الحديثة حيث نشأت في الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن العشرين، ولكن هذا لا يعني بالطبع أنها ولدت بين عشية وضحاها وإنما كان هناك أنواع من الأنشطة التي سبقتها ومهدت لها، أهمها وكالات المؤسسة لشؤون الصحافة، والنشاط الاتصالي المرافق للحملات الانتخابية وحملات جمع التبرعات وغيرها، ولكن المصدر الذي كان له النصيب الأكبر في مولد العلاقات العامة هي المؤسسات الصناعية والتجارية، فقد كانت الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر فترة تطور سريع في ميدان الصناعة والإنتاج الضخم وما صاحب ذلك من استغلال للفرد العامل والمستهلك حتى أن هذه الفترة سميت بعصر الاستخفاف بالجماهير⁽³⁾.

وقد أدت هذه الأوضاع إلى التذمر والاحتجاج الذي تم ترويجه عن طريق الصحف والمجلات الواسعة الانتشار، التي قامت بمهاجمة أصحاب الأعمال الاحتكاريين وكشف أساليبهم في استغلال عمالهم وحملة أسهم شركاتهم وسرقة المستهلك وتأثيرهم على رجال السياسة بشتى الوسائل المشينة، وكانت إحدى نتائج هذه الحملة أن المؤسسات المعنية اضطرت إلى القيام ببعض الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية، وبذلك اقترنت حركة الإصلاح تلك بدور الصحافة والنشر التي كان لها النصيب الأكبر في التعبير عن وجهات النظر المعادية لأصحاب رؤوس الأموال، مما سبب حرجاً كبيراً لهم وقد التجأوا إلى استخدام الصحفيين المحترفين لشرح وجهة نظرهم وإيصالها إلى الجمهور وفي مقدمتهم «إيفي لي» الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للعلاقات العامة الحديثة.⁽⁴⁾

بدأ «إيفي لي» حياته في أعمال الدعاية الصحفية وهذا هو السبب الذي جعل بعض المؤرخين يخلطون بين الدعاية والعلاقات العامة، إلا أنه سرعان ما اكتشف أهم أسس العلاقات العامة، وهى أن الصراحة والأمانة في الأعمال والأقوال هي الدعاية الرئيسية لهذا النشاط الحديث، ولا شك أن هذا المبدأ قد لقي معارضة شديدة من رجال الأعمال وأصحاب الاحتكارات ولكن «إيفي لي» كان يجيب دائماً بقوله «إن العلاقات العامة مسئولية كبرى تتطلب دراسة الأحوال السائدة والعمل على الإصلاح

3 خالد الصوفي، مرجع سابق، ص 11.

4 خالد الصوفي، مرجع سابق، ص 40.

ثم إعلام الناس بذلك ولا بد أن يكون القول مدعماً بالعمل، والدعاية السليمة ليست إلا إعلاماً عن الحقائق فلا بد من الإصلاح أولاً ثم إخبار الناس بما يحدث فعلاً بكل أمانة وصراحة»⁽⁵⁾.

وقد أوضح "إيفي لي" أن مهمة العلاقات العامة مهمة مزدوجة فهي تبدأ بدراسة اتجاهات الرأي العام ونصح الشركة بتغيير خطتها وتعديل سياستها لخدمة المصلحة العامة، ثم تأتي المهمة الثانية وهي إعلام الناس بما تقوم به الشركة من أعمال تهم الناس وتخدم مصالحهم، وقد عبر "إيفي لي" عن هذه الاتجاهات الجديدة في نشرته التي أسماها إعلان المبادئ (Declaration of principles) والتي أوضح فيها أن عصر استغلال الجمهور قد ولي وذهب، كما أن عصر إهمال الجمهور قد انقضى تماماً ولا بد من الاعتراف بأهمية الجمهور وتزويده بالمعلومات وكسب وده والفوز بتأييده والتفاهم معه.⁽⁶⁾

وعندما فزع رجال الأعمال وأصحاب الاحتكارات إلى «إيفي لي» يطلبون العون والنجدة، لم يفعل ما فعله غيره من دعاية كاذبة ولم يكتب مقالات ممتعه ولم يلق خطباً طويلة رنانة ولكنه نادي بمبدأ جديد خطير هو أن المؤسسات الاقتصادية ينبغي أن تتحمل المسؤوليات الاجتماعية وأخذ يدعو إلى النزعة الإنسانية في العلاقات الاقتصادية وكان يعبر عن هذه النزعة الإنسانية الجديدة بقوله: «إنني أفسر الدولارات والسنتات والأرباح المالية بمصطلحات إنسانية⁽⁷⁾، أي أنه يبين خدمات الشركة أو المؤسسة صحياً واجتماعياً للعمال والجماهير المختلفة كالمستخدمين والمستهلكين والمساهمين والجمهور العام.

إذن بهذا السرد المختصر لشخصيه «إيفي لي» باعتباره أبا العلاقات العامة الحديثة باتفاق كثير من الباحثين والمختصين، يرى الباحث أن هذا التوضيح كان مهماً باعتبار أن النشأة والميلاد تدل على الاتجاه العام، وكذلك قراءة الظروف والبيئة المحيطة بها لها أهميتها في تحديد مسار اتجاه هذا العلم الحديث (علم العلاقات العامة) وبالتالي القدرة على التقييم أو إيجاد منظور فكري أو علمي للعلاقات العامة في الغرب.

5 خالد الصوفي، مرجع سابق، ص 41.

6 إبراهيم إمام، العلاقات العامة والمجتمع، ط2 (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، 1968م)، ص 77.

7 المرجع نفسه، ص 77.

وقد ساهمت أقوال وأحكام ومؤلفات مؤسسي العلاقات العامة الحديثة أمثال «ايفي لي» و«إدوارد بيرنز» في تحديد المنظور الغربي للعلاقات العامة وأصبحت تمثل إطاراً يستهدى به في مجال معرفة فلسفة وأهداف العلاقات العامة⁽⁸⁾.

ولقد كانت لجهود هؤلاء الرواد وغيرهم ممن مارسوا المهنة خلال النصف الأول من القرن العشرين دوراً كبيراً في بداية التقنين العلمي لهذه المهنة مما أدى في نهاية المطاف لظهور الجمعيات والاتحادات التي تضم الممارسين لها وتضع آداب المهنة وقواعدها وتساهم في التقنين العلمي لها، وبالنظر لدراسات هذه الجمعيات مثل دستور جمعية العلاقات العامة الدولية (1948م) ودستور جمعية العلاقات العامة الأمريكية (تعديل 1988م)، فإن الباحث بعد اطلاعه على هذه الدراسات وتكريزاً على دستور جمعية العلاقات العامة الأمريكية يرى أن هذه الدراسات قد وضعت مبادئها المهنية على أساس إعلاء قيمة الفرد وكرامته وإعلاء قيمة العمل والإنتاج، وتمسكاً بالممارسة الحرة لحقوق الإنسان، وبصفة خاصة حرية الخطابة وحرية الاجتماع وحرية الصحافة وكذلك الالتزام بالقيم الأخلاقية الإيجابية مثل الصدق والعدالة والمسئولية والأمانة، والابتعاد عن الكذب والخداع والادعاء وأخذ الرشوة والعمولات وما شابهها وغير ذلك من الممارسات غير الأخلاقية بالإضافة إلى الموجهات المهنية السليمة في العمل⁽⁹⁾.

مفهوم العلاقات العامة وفق هذا المنظور :

إن البيئة العامة التي عاشها الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية في بداية القرن العشرين والتي اتسمت بنهضة صناعية كبيرة وتطور في مختلف المجالات وظهور رأس المال العملاق قد أفرزت صراعات مصالح بين العمال وأصحاب العمل من جهة وبين أصحاب العمل والحكومات من جهة أخرى، فكان لابد من آلية توافق وتقارب بين وجهات نظر الجميع لوقف الاضطرابات وتحقيق المصالح المشتركة للجميع، وقد كانت هذه الآلية هي العلاقات العامة.

في هذه البيئة جاءت عدة تعريفات للعلاقات العامة خاصة بعد أن تطور عمل العلاقات العامة وازداد عدد المؤسسات التي أصبحت تؤمن بأهميتها وظهرت الجمعيات والاتحادات المهنية وأنشأت المعاهد والكليات المتخصصة.

8 إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص 79.

9 موقع المسئولية الاجتماعية على الانترنت، [www.Prarabic.com /site /7H=317](http://www.Prarabic.com/site/7H=317)

يعرف قاموس ويبستر الدولي (Webster's New Collegiate Dictionary) «العلاقات العامة بأنها مجموعة من النشاطات تقوم بها هيئة أو اتحاد أو حكومة أو أي نظام في البناء الاجتماعي، من أجل خلق علاقات جيدة وطيبة وسليمة مع الجماهير المختلفة التي تتعامل معها كجمهور المستهلكين والمستخدمين وحملة الأسهم، وكذلك الجمهور بوجه عام وذلك لتفسير نفسها للمجتمع حتى تكسب رضاه»⁽¹⁰⁾.

واهم ما أشار إليه هذا التعريف هو انه لم يقصر العلاقات العامة علي نوع معين من المؤسسات أو الأجهزة أو علي نوع معين من المهن بل انه أوضح أن العلاقات العامة تمارس في كافة المؤسسات والأجهزة المختلفة، سواء كانت حكومية أو غير حكومية تجارية أو خدمية أو غيرها، كما إن هذا التعريف اهتم بتوضيح الهدف من العلاقات العامة وهو تكوين علاقات طيبة بين تلك المؤسسات وبين الجماهير التي تتعامل معها أو تتصل بها، حتى تكتسب تلك المؤسسات في النهاية رضا المجتمع الذي تعيش فيه، كما أن هذا التعريف لم يغفل عن نوع الجماهير سواء كانت جماهير خارجية «الممولين أو المستهلكين» أو الجماهير الداخلية وهم الذين يعملون في هذه المؤسسات، ويؤخذ علي هذا التعريف انه اعتبر العلاقات العامة نشاط من جانب المؤسسات واستخدام كلمة نشاط فيه خلط بين مفهوم العلاقات العامة واستخدامها كمرادف لبعض وظائفها مثل الإعلام والدعاية والإعلان عن المنظمة، لكن مفهوم العلاقات العامة أوسع واشمل من مفهوم هذه المصطلحات كما إن هذا التعريف اعتبر العلاقات العامة نوعا من النشاط الإنساني دون أن يضيفي عليها طابع الفن أو العلم، فهو لم يحدد الأسس العلمية التي تقوم عليها العلاقات العامة باعتبار أن العلاقات العامة لا تقوم علي الارتجال، بل إنها تقيس وتحلل وتخطط وتنفذ وتتابع وتقيم والقيام بها يتطلب وجود أخصائيين مديرين علي عملياتها⁽¹¹⁾.

وعرف قاموس أكسفورد العلاقات العامة بأنها ” الفن القائم علي أسس علمية لبحث طرق التعامل الناجحة المتبادلة بين المنظمة وجمهورها الداخلي والخارجي، لتخصيص أهدافها مع مراعاة القيم والمعايير الاجتماعية والقوانين والأخلاق العامة بالمجتمع“⁽¹²⁾.

10 مزيد من الاطلاع على دستور جمعية العلاقات العامة الأمريكية يمكن الاستفادة من كتاب، علي عوجة الأسس العلمية للعلاقات العامة ص17-19.

11 فهمي محمد العدوي، مفاهيم جديدة في العلاقات العامة، ط1 (عمان : دار أسامة للنشر والتوزيع، 2011م). ص17.

12 فهمي محمد العدوي، مرجع سابق، ص 18.¹

ويؤخذ علي هذا التعريف انه ركز علي أن العلاقات العامة هي فن بالأساس، وكذلك من الأشياء المهمة التي ركز عليها التعريف أهمية مراعاة ثقافة المجتمع (القيم، الأخلاق، القوانين... الخ).

هناك تعريف شائع للعلاقات العامة نشرته مجلة العلاقات العامة الأمريكية (public relations news) حيث ذكرت أنّ العلاقات العامة «وظيفة إدارية تقيّم اتجاهات الجمهور وتحقق تناسق سياسات وتصرفات الفرد أو التنظيم مع المصلحة العامة، وتضع وتنفذ برنامج عمل للفوز بثقة الجمهور وتقبله للمؤسسة»⁽¹³⁾

يتضح من هذا التعريف أنّ العلاقات العامة هي جزء من نشاط أي مؤسسة وهو مستمر وليست عملاً وقتياً، كما يلاحظ من هذا التعريف أن مدخله إداري ولم يعط تصوراً للنشاط الاتصالي مع انه قد أشار بصورة واضحة للجمهور ونبه لأهمية الفوز بثقته.

وأول تعريف دقيق لمفهوم العلاقات العامة وضعه المعهد البريطاني للعلاقات العامة 1948م حيث عرفها بأنها "الجهود الإدارية المرسومة والمستمرة التي تهدف إلى إقامة وتدعيم تفاهم متبادل بين المنظمة وجمهورها"⁽¹⁴⁾

وفي هذا التعريف يلاحظ الباحث شموله على جوانب أساسية ومهام واضحة مثل الجهد أي وجود عمل أو برنامج مخطط ومدروس يسعى لتحقيق هدف التواصل والتفاهم مع الجمهور الذي يتسع في هذا التعريف ليشمل المجموعات أو الأفراد أو المنظمات، والتركيز على جانب الفهم عبر إشاعة المعلومات السليمة والصحيحة بهدف المحافظة على علاقة استراتيجيه مستمرة مع الجمهور.

وعرفت جمعية العلاقات العامة الدولية العلاقات العامة بأنها «وظيفة الإدارة المستمرة والمخططة والتي تسعى بها المؤسسات والمنظمات الخاصة والعامة لكسب تفاهم وتعاطف وتأييد الجماهير التي تهمها، والحفاظ على استمرار هذا التفاهم والتعاطف والتأييد، وذلك من خلال قياس اتجاه الرأي العام لضمان توافقه قدر الإمكان مع سياساتها ومناشطها، وتحقيق المزيد من التعاون الخلاق والأداء الفعال للمصالح المشتركة باستخدام الإعلام الشامل المخطط».

13 المرجع نفسه، ص 18.

14 المرجع نفسه، ص 20.

ويرى الباحث أن التعريف به عناصر كثيرة ولكن أهمها :

إنها وظيفة إدارية انطلاقاً من الاعتبار بأن العلاقات الناتجة عن نشاطات المؤسسة تؤلف قيمتها، فترى الإدارة نفسها ملزمة بالاضطلاع بمسؤولية تحسين تلك العلاقات إلى أقصى الدرجات الممكنة، تأميناً لتحقيق الغاية التي أنشئت المؤسسة من أجلها. أيضاً أنها وظيفة دائمة ومنظمة وهذا من شأنه أن يعطينا فكرة واضحة عما يجب أن تكون عليه باعتبار أنها نشاط تحققه المؤسسة من خلال علاقاتها المتعددة ومن خلال الجهود التي تلتزم ببذلها لإنشاء العلاقات الطيبة وتأمين استمرارها.

وعموماً يمكن القول إن الفلسفة الأمريكية للعلاقات العامة تظل في أساسها رأسماليه وتجارية⁽²⁾، بالرغم من أنها تعتبر من أكثر دول العالم تقدماً في العلاقات العامة علماً وفناً وتطويراً وبالرغم من أن المؤسسات فيها تخصص ميزانيات ضخمة لنشاطات العلاقات العامة، ويعتبر مدير العلاقات العامة شخصاً مهماً في الهيكل التنظيمي للمؤسسة لدى رئيس مجلس الإدارة أو المدير العام.

أما في إنجلترا، فإن العلاقات العامة تقوم على مبادئ أخلاقية رفيعة انطلاقاً من أنه لا توجد ديمقراطية سليمة إلا إذا ارتكزت على علاقات عامة جيدة تساعد المواطنين على فهم حقوقهم ومسئولياتهم تحت نظام الحكومة الديمقراطية، وتلتزم بجانب الصدق في الإدارة والسلوك إلا أنها ظلت تقليدية غير متطورة في نشاطاتها وفلسفتها.⁽¹⁵⁾

وفي فرنسا تركز العلاقات العامة على أن الإنسان الاجتماعي هو صانع الرأي العام ومن حقه أن يعلم كل شي وتقوم أخلاقيات العلاقات العامة هناك على تلبية الحاجات النوعية للإنسان الاجتماعي، فهي تحث على معاملة الإنسان كأنسان وتعمل على إجابة حاجاته النوعية ومعاملة الإنسان كزميل في العمل وتسعى لتحقيق مطالبه وهي تعطي الأخبار للجمهور وتعتبر تجسيدا للمنشأة ويجب أن تعبر عنها من خلال سلوك العاملين بالمنشأة، وترى أن المسئول الحقيقي للعلاقات العامة هو رئيس المنشأة وليس مدير إدارة العلاقات العامة، كما تقوم فلسفة العلاقات العامة في فرنسا على أن النظام الاقتصادي للدولة يجب أن تكون غايته إنسانية ويجب

15 المرجع نفسه، ص22.

أن يكون الفرد هو محور الأهداف والنشاط⁽¹⁶¹⁾، ومن هنا كانت العلاقات العامة فلسفة إنسانية تؤمن بحق المواطن في أن يعلم ويشارك ويحاور.

ويمكن أن نخلص إلي أن التطور المعاصر للعلاقات العامة في الغرب من حيث مفاهيمها وأدواتها وممارستها جاء محصلة جهد كبير وتطور تاريخي قام به الرواد الأوائل منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم، وتفاعل فيه فكر هؤلاء الرواد مع احتياجات المجتمع في كل مرحلة ومع ممارسة ومستلزمات القيادة السياسية والإدارية وخصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية وهذا التطور عكس وعبر عن سمات ثلاث هي⁽¹⁷⁾:

الأولي: التفاعل داخل قوي المجتمع من خلال الثورة الصناعية ثم الثورة التكنولوجية وهذا التفاعل خلف مشاكل وعضلات كثيرة كان لابد من التعامل معها من خلال العلاقات العامة

الثانية: تفاعل مناهج البحث العلمي وتكامله مع مناهج السلوك والتصرفات العملية فالتطور في مجال بحوث الإعلام والرأي العام والدعاية والأزمات انعكست آثاره على مجال اهتمامات العلاقات العامة، كما أن تطور الفكر الإعلامي وأدوات الاتصال الإعلامي الحديث ظهرت آثاره في سلوكيات وأعمال المسؤولين عن العلاقات العامة.

الثالثة: تشابك وتعقد الحياة المعاصرة مما جعل الوحدة الصناعية أو المؤسسة أو حتى الدولة مهما انتهجت مبدأ الحرية الاقتصادية واقتصاديات السوق، لا تستطيع أن تتخلي عن أو تتجاهل المسؤولية الاجتماعية بصورها المتعددة تجاه المجتمع عموماً أو مجتمع المنشأة والبيئة المحيطة بها وذلك بالنسبة للعاملين في المؤسسة أو الشركة، أو بالنسبة للموردين والزبائن المتعاملين أداء وتنظيماً وهيكلًا، سواء كانت هذه المؤسسة جامعة أو شركة أو وزارة من وزارات الدولة أو جهازاً من أجهزتها الإدارية، لهذا فلا غرو أن نجد إدارة الخدمة البيئية أو المجتمع في الكثير من المؤسسات التعليمية والخدمية والإدارية السيادية.

16 خالد الصوفي، مرجع سابق، ص23.

17 أحمد إبراهيم أبو سن، العلاقات العامة في الدولة الحديثة، ط2(دبي : المطبعة العصرية، 1986م)، ص350.

هذا التطور انعكس علي العلاقات العامة في التسمية وفي اتساع مجالات عملها فقد تطورت التسمية التي تطلق علي النشاط و أصبحت عدة إدارات تحمل أسماء إدارة خدمة العملاء، إدارة خدمة المجتمع، إدارة التواصل والاتصالات مع المجتمع، إدارة التخطيط والمتابعة، إدارة الإعلام والاتصالات ونحو ذلك من التسميات، بهذا السرد حاول الباحث أن يتناول المنظور الغربي للعلاقات العامة

المبحث الثاني : المنظور الإسلامي للعلاقات العامة

إدارة المؤسسة بصورة عامة وإدارة العلاقات العامة بصورة خاصة لا تستطيع تحقيق أهدافها بمعزل عن تأثيرات البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والقانونية والتعليمية والدينية وهذه العوامل تؤثر سلباً أو إيجاباً على العملية الإدارية بكاملها.

ومن بين هذه العوامل المؤثرة في وظيفة العلاقات العامة العوامل الدينية، حيث إن للدين أثرٌ بالغ في الإدارة و يتضح ذلك في سلوك الأفراد العاملين فيها وفي المقاصد والأهداف السامية التي تدعو الأديان إلى تبنيها والأخذ بها، ومن المعلوم أيضاً أن العلاقات العامة لا تنشأ إلاّ في جو ثقافي وحضاري يؤمن بقيمة الإنسان من حيث هو إنسان له كرامته وله حقوقه على الآخرين وعليه واجبات نحوهم، ولقد توفرت هذه المعاني في المجتمع الإسلامي الأول، الذي تحدت مبادئه في القرآن الكريم والسنة النبوية، فأصبح الدين أكثر وضوحاً في التأثير في الأفراد وفي الإدارة فكان التخصص وتقسيم العمل والتخطيط والتنظيم والتوجيه والقيادة والرقابة، وبذلك أصبح أوضح قانون في التنظيم الإداري، وكان للحضارة الإسلامية إسهام بارز في تطوير العلاقات العامة بفضل حثها على القيم الفاضلة مثل الشورى والكرم، كما حث على الجوانب الإنسانية في معاملة الناس، وأولى الإسلام عناية فائقة الاهتمام بظاهرة الرأي ودعا إلى إشاعة المودة وإقامة العدل والتمسك بالحياة والتحلي بالحلم والأناة والرفق والإخلاص والأمانة والجود والكرم والتواضع ومراقبة النفس، وغيرها من الأخلاق الحميدة التي يسهم تبنيها في رقي الأمة ورفعته والتي ينبغي استلهاها والعمل بهديها في مؤسساتنا الإدارية المختلفة.

لهذا كله نجد أن الدعوة الإسلامية لم تأخذ نهج الإرغام بل اعتمدت على التعامل بالحسنى وإقامة علاقات صادقة قائمة على الود والإقناع القائم على البراهين والحجة

في نشرها، والرسول (صلى الله عليه وسلم) استخدم كل الوسائل المتاحة في توصيل الدعوة حيث استخدم الاتصال الشخصي وغير الشخصي وكان يوفد الرسل ويبعث الكتب إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الدخول في الإسلام، ويعد أسلوب الإقناع هذا من أهم الوسائل الحديثة التي يقوم عليها علم العلاقات العامة⁽¹⁾. كما اهتم الخلفاء الراشدون بالتعرف على أحوال الرعية وكثيراً ما كانوا يخرجون متنكرين ليطلعوا على حقيقة ما يجري في البلاد تحقيقاً لمبادئ الإسلام التي تحث على العدالة والمساواة والتمسك بالنزاهة ومبادئ الأخلاق في التعامل التجاري وهذا هو أحد المبادئ الأساسية في العلاقات العامة الحديثة.

ونجد أن للقرآن الكريم أثراً إعلامياً واضحاً في التأثير من حيث فصاحة الكلمة وبلاغة التعبير، فقد بلغ القرآن من عمق التأثير واتساعه ما لم تبلغه أي رسالة إعلامية عرفها البشر، فقد جمع الملايين من الناس على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وحضاراتهم، وما زالت معجزة القرآن الخالدة أسمى الطرق لرفع الروح المعنوية بين الناس في أيام المحن والحروب، كما لعبت الخطب الدينية دوراً خطيراً في العلاقات العامة في العصور الإسلامية المختلفة حيث كان الخطباء يقومون إلى جانب الإرشاد الديني بدور مهم في مجال العلاقات العامة.

وفي الوقت ذاته حذر الإسلام من تبني الأخلاق الذميمة التي تتسبب في تفرقة الأمة وتشتت جهودها وتدمر العمل المؤسسي، ومن أمثلة هذه الأخلاق السيئة: الجور والظلم، الحقد والضغينة، الإثرة والأنانية، الكذب والنفاق، الشرثرة والفجور في الكلام، الكبر واحتقار الآخرين، نقض العهد وعدم الوفاء بالعقود والمواثيق، الغضب في غير محله، الشك في الآخرين واتهام نواياهم بالباطل وغير ذلك من الخصال والقيم السالبة التي تؤثر في نفوس الناس وتهتك النسيج الاجتماعي وتؤدي إلى إشاعة البغضاء والتنافر بين الناس، وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن القرآن الكريم وحياء الرسول (صلى الله عليه وسلم) قولاً وفعلاً وتقريراً كانت تطبيقاً لمفاهيم العلاقات العامة بوضعها الحديث، بل أكثر تطوراً مما لم تستوعبه مفاهيم العلاقات العامة التي جاءت كنتيجة لتطورات المجتمع الرأسمالي كما أسلفنا في المبحث السابق.

ومن هنا، فإن الأخلاق في الإسلام لها طابع يطبق في كل جوانب الحياة والفكر كما

لها سلطانها وأثرها في السياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية والأدب والقانون، والأخلاق في الإسلام ليست « مثالية » بمعنى أنها نظرية فوق التطبيق فالأخلاق في الإسلام منهج عملي تقوم على الالتزام والجزاء الأخروي،⁽¹⁾ وتستمد وجودها من حرية الإنسان وإراداته في الاختيار وتحمل المسؤولية، فالفرد مسئول عن عمله وقد ربط الإسلام بين مفهوم الأخلاق وبين التطبيق العملي ورسم للناس قواعد العمل الصالح الذي ينبغي أن يسيروا عليها استمداداً من القرآن الكريم والسنة النبوية، كما يتميز المجتمع المسلم بعقائده وشعائره ومفاهيمه ومشاعره ويتميز أيضاً بأخلاقه وفضائله، فالأخلاق والفضائل جزء أصيل من كيان هذا المجتمع وليست الأخلاق ما يتعلق بما بين الإنسان والإنسان فحسب وإنما تشمل ما بين الإنسان وخالقه أيضاً، لذلك نجد أن الإسلام قد دعا لتبني كل الأخلاق الفاضلة التي تعرفها الفطر السليمة والعقول الراشدة ويسعد بسيادتها الأفراد والجماعات وفي ذات الوقت أنكروا وألح في إنكار كل رذيلة تنكرها الفطر السليمة والعقول الراشدة.

والذي يتلو كتاب الله تعالى أو يقرأ أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) يرى أن هذه الأخلاق والفضائل من المقومات الأساسية للمجتمع المسلم وليست من الأعراض الطارئة عليه ولا من الأمور الهامشية في حياته، فهي في القرآن من الصفات الأساسية للمؤمنين والمتقين الذين لا يدخل الجنة غيرهم ولا ينجو من النار غيرهم ولا يسعد بالحياة الدنيا غيرهم، وهي في السنة من شعب الإيمان لا يتم الإيمان إلا بالتحلي بها والتخلي عن أصدائها، ومن أعرض عنها فقد جانب أو صاف المؤمنين وتعرض لسخط الله ولعنته وبرئت منه ذمة الله وذمة رسوله (صلى الله عليه وسلم).⁽¹⁸⁾

ومن نظام الأخلاق في الإسلام أن الالتزام بمقتضى الأخلاق مطلوب في الوسائل والغايات فلا يجوز الوصول إلى الغاية الشريفة بالوسيلة الخسيسة ولهذا لا مكان في مفاهيم الأخلاق الإسلامية للمبدأ الخبيث (الغاية تبرر الوسيلة) وهو ما يدل على ضرورة مشروعية الوسيلة ومراعاة معاني الأخلاق، ويتأكد هذا في قول الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجَرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يَهَاجَرُوا وَإِنْ أَسْتَضَرُّوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٧٢﴾ [سورة الأنفال، الآية رقم 72].

فهذه الآية توجب على المسلمين نصره إخوانهم المظلومين قياماً بحق الأخوة في الدين، ولكن إذا كانت نصرتهم تستلزم نقض العهد مع الكفار الظالمين لم تجز النصره، لأنّ هذا يعد من الخيانة ونقض العهد والإسلام يمقت الخيانة ويكره الخائنين.

وعموماً يمكن الحديث بصورة مطولة ومفصلة عن الأخلاق والقيم السامية التي يدعو لها الإسلام ويأمر بالعمل بها وهذا ما يعتبر من صميم عمل العلاقات العامة بمفهومها الحديث، إذ أنّ جوهر الأخلاق يكون في العمل بها وهذا ما يؤدي إلى إشاعة التعامل السليم بين الأفراد والجماعات والمؤسسات وبين المجتمعات والدول. في هذا الجو الاجتماعي المفعم بتكريم الإنسان واحترام الفرد المسلم عرّف المجتمع الإسلامي العلاقات العامة كفلسفة، تحكم سلوك أفراد المجتمع - حكماً ومحكومين - وكنشاط إعلامي متخصص يهدف إلى ربط الدولة بالفرد والجماعة بشتى الوسائل وأساليب الاتصال الفردي والجماعي.

ولكن يرى الباحث أنّ الاختلاف لا يدور حول هذا المبادئ وإنّما في كيفية تحويل هذه الأخلاق والقيم إلى إجراءات ومناهج عملية واقعية تؤدي لتكوين رؤية واضحة للمفهوم الإسلامي للعلاقات العامة بمفهومها الحديث.

وفي هذا المجال الذي نتحدث عنه أي العلاقات العامة لا يمكن أن نتناسى أهميتها وتأثيرها وحيويتها لأي مجتمع، وبالتالي يصبح التحدي هو كيفية الاستفادة القصوى من العلاقات العامة باعتبارها تنشيط في كل هذه الميادين - في حل الإشكالات وتقديم المبادرات وقيادة المجتمع وفق رؤية مقاصدية همها الأول عمران الأرض عملاً وعبادة وإرضاءً لله رب العالمين وفق نهج الدين الذي يأمر بدرء المفاصد وجلب المنافع.

ولإعادة الدور الريادي للإسلام لا بد أن يعي المسلمون بأنّ ما كان سبب قوة الإسلام «حرية التفكير ومسؤولية الإنسان أمام أفعاله» أصبح سبب ضعفه «التقليد والتواكل وفهم خاطئ للقدر»⁽¹⁹⁾ وهكذا فقط يستطيع المسلمون المشاركة في إنقاذ العالم من الخطر الذي يهدد الجميع بسبب فلسفة السوق التي لا تعطي قيمة إلا للربح المادي على حساب مصالح أغلبية سكان العالم وعلى حساب الطبيعة «التجارب النووية والتلوث» وإعطاء العالم وجهه صحيحة لإعادة معنى الحياة وإعطاء وجه

19 أحمد إبراهيم أبو سن، مرجع سابق، ص 350.

جديد للقرن الواحد والعشرين وجه إنساني تتمظهر فيه علامات التوحيد. فالإسلام اليوم، أكثر من أي وقت مضى مدعو أن يسهم في إنقاذ الإنسانية وليوفر شروط النجاح لا بد أن يعي العناصر الإنسانية التي ساهمت في أن يكون رائداً للحضارة الإنسانية وهي⁽²⁰⁾:

أولاً: الوعي بالبعد الكوني والعالمي لدعوته هو الانفتاح على المكونات الثقافية للشعوب على اختلافها.

ثانياً: البعد الروحي الذي يتجسد في علاقة المحبة بين الشعوب والأفراد وهي انعكاس لمحبة الله.

ثالثاً: البعد الاجتماعي المتمثل في العدالة الاجتماعية :

ولا يمكن أن يتحقق هذا النداء إلا بإرادة هذه الملايين بأن تكون المبادرة إلي وضع حجر في بناء مستقبل ذي وجه إنساني متعلق بالله.

أهداف العلاقات العامة في الإسلام :

إن العلاقات العامة الحديثة تركز نشاطها وتقصره على الهيئات والمؤسسات ذات التعامل مع الجمهور بهدف إرضاء الجماهير وبالتالي تحقيقها للأرباح المادية الوفيرة أو بهدف تحقيق بعض المكاسب السياسية لبعض الأفراد، بينما يتسع مجال العلاقات الإسلامية ليكون الهدف منه إنشاء العلاقات الودية القائمة على المحبة والتعاون بين البشر جميعاً بقصد تكوين مجتمع بشري متكاتف متماسك متآلف أي إن العلاقات العامة الإسلامية يقصد منها العلاقات العامة من أجل النفع العام للبشر ويقصد منها كذلك حسن العلاقة في حد ذاتها وليس تحقيق كسب مادي أو سياسي لمؤسسة ما أو فرد من الأفراد.

وتعتمد العلاقات العامة الحديثة على تقديم الجوانب المشرقة لبعض الأشخاص أو المؤسسات والهيئات دون الجوانب الأخرى وقد تكون هذه الجوانب المشرقة صادقة أو حقيقية كما تمسك البعض بذلك وقد تكون كاذبة أو مختلفة كما فعل الذين يرون أن العلاقات العامة تعني استغلال 98% من الناس لفترة طولها 98% من الوقت،⁽²¹⁾ أي أن تقديم الجوانب المشرقة بصدق قد يكون حقيقة وقد يكون كذباً

20 فهمي محمد العدوي، مرجع سابق، ص 279.

21 فهمي محمد العدوي، مرجع سابق، ص 47.

وفي كلتا الحالتين تتجاهل العلاقات العامة الحديثة الجوانب الأخرى غير المناسبة، بهدف تغيير وجهة نظر الجماهير من الأسوأ إلي الأفضل لتحقيق استجابة معينة من الجمهور سواء إلي الفرد أو المؤسسة في موقف معين أو وقت معين وذلك لتحقيق كسب أو نصر قد يكون سياسياً أو اجتماعياً أو مادياً.

أمّا العلاقات العامة الإسلامية فتمتد أبعادها لتجعل حياة جميع الأفراد في المجتمع الإسلامي كلها مشرقة دائماً وليس فيها مكان للجوانب غير المشرقة فهي لا تتصنع هذا ولا تختلقه.

فإنما كان «إيفي لي» قد طلب من «روكفلر» إظهار التواضع في لعب الجولف، ومداعبة الأطفال، والإنفاق في وجوه الخير، فإن الإسلام يأمر الناس جميعاً بالتواضع دائماً وينهاهم عن التكبر والتعالي، كما ينهى عن الذل في ذات الوقت (22)، قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿﴾ [سورة لقمان الآيتان 18-19]..، كما يأمر الإسلام الناس جميعاً بالسخاء والكرم والجود والبر، والإنفاق في سبيل الله عز وجل، وللفقراء والمحتاجين، بل فرض الزكاة على الأغنياء فرضاً، قال تعالى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿﴾ [سورة آل عمران، الآية 92]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿﴾ [سورة البقرة، الآية 195]. وقد حذر الله من عدم الإنفاق، وبين عقابه فقال: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿﴾ [سورة التوبة الآيتان 34-35]، ويبين الله عز وجل أن الدنيا حقيرة، وأن البخيل بها إنما جزاؤه على نفسه فيقول: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ سَأَلْتُمْوهَا فَيُخَفِّفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّرْكُمْ أَضْعَانُ ﴿٣٧﴾ هَاتَمْتُمْ هَتُولًا تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْعَفِيُّ ۗ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿﴾ [سورة محمد الآية 36-38]، وهذه الأوامر الإسلامية تجعل الجمهور

الإسلامي المتمثل لها، يمارس العلاقات العامة الإسلامية بتلقائية وطبيعية وبطريقة

لا تكلف فيها، ولا تصنع ولا كذب، ولا رياء، وبذلك يكون المجتمع كله صوراً مشرقة ومشرقة ويسودها الوئام والمحبة والسلام.

وظائف العلاقات العامة من المنظور الإسلامي :

منذ ظهور الدعوات الروحية الدينية في حياة البشرية نجد أن جميع الرسائل الدينية بما في ذلك الديانات الوضعية بدون استثناء، تحض على العلاقات الطيبة وحسن المعاملة بين أفراد المجتمع وما قام أي نبي أو رسول بتحقيق رسالته إلا على أسس وطيدة من العلاقات الطيبة وخاصة بينه وبين جمهور القاعدة الشعبية من عامة الناس.

فالعلاقات العامة «رغم إنها لم تعرف بهذا الاسم» قد اعتمدت عليها الدعوات والرسالات لتحقيق أهدافها والوصول إلى قلوب الناس لينضموا تحت لوائها ويؤمنوا بدعوتها على أسس من قيم المجتمع الروحية والخلقية فالمعروف أن الدين هو المعاملة.

والعلاقات العامة لا تنشأ إلا في جو ثقافي وحضاري يؤمن بقيمة الإنسان من حيث هو إنسان له كرامته وله حقوقه على الآخرين، وعليه واجبات نحوهم ولقد توافرت هذه المعايير في المجتمع الإسلامي الأول، حيث جاء بها القرءان الكريم وتولى رعايتها رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين من بعده، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [سورة الإسراء الآية رقم 70].

كما نظم القران الكريم العلاقة بين المسلمين نظاماً يدعو إلي تبادل الاحترام بينهم والابتعاد عن تحقير بعضهم بعضاً قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نَسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات الآية رقم 11] وفي الحديث الشريف فالمسلمون أخوة متحابون متعاونون متساوون لا فضل بينهم إلا بالتقوى، يقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى))⁽²³⁾.

23 يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، (القاهرة : مكتبة وهبة، 1993م)، ص91.

في هذا الجو الاجتماعي المفعم بتكريم الإنسان واحترام الفرد المسلم عرف المجتمع الإسلامي العلاقات العامة كفلسفة تحكم سلوك أفراد المجتمع حكماً ومحكومين، وكنشاط إعلامي متخصص يهدف إلى ربط الدولة بالفرد والجماعة بشتى الوسائل وأساليب الاتصال الفردي و الجماعي⁽²⁴⁾، حيث نجد أن العلاقات العامة تؤدي وظائف مهمة تتمثل في غرس المحبة والمودة والإخاء بين الأفراد مع بعضهم، وذلك لأن الإسلام دين يحترم حسن العلاقات بين الناس ويأمر بذلك ويضرب الرسول (صلى الله عليه وسلم) المثل الأعلى في ذلك قولاً وعملاً في قوله: ((رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى))⁽²⁵⁾، وبهذا قد وضع الإسلام موجهاً راشداً وأساليب فاعلة لكيفية ممارسة العلاقات العامة في المجتمع وكيفية التعامل وحسن الخلق بين الناس بطريقة فعلية، ولو سار الناس عليها لأصبحوا أحباً وسادت بينهم علاقات المحبة والمودة والوئام ومن هذه الأساليب:

- غرس المحبة بين الأفراد داخل المجتمع من خلال حسن المعاملة مع الأقارب والأرحام ومن خلال حسن المعاملة مع الجار وسائر الناس.

- تحسين العلاقات والروابط بين الحاكم والمحكوم.

- تحسين العلاقات والروابط بين المجتمعات والمؤسسات داخلها مع بعضها البعض على المستوى المحلي وعلى المستوى الخارجي⁽²⁶⁾.

جمهور العلاقات العامة من منظور إسلامي :

الإنسان في التصور الإسلامي كائن كرمه الله وفضله وأعلى من قيمته وقيمة عقله، ومنحه الإرادة والاختيار وهما أبرز خصائص هذا التكريم وجعل يده مبسوطاً على العالم وما فيه باستخلافه له، وهذا ما يؤكد القرآن الكريم بقوله الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْبِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء الآية، رقم 70].

فهذا الإنسان جعله الله خليفة في الأرض وهو تشریف وتمكين لا نعلم مخلوقاً آخر

24 روجيه جارودي، عظمة الإسلام ومظاهر ضعفه، نقلًا عن مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد السادس عشر، السنة الرابعة، ص185.

25 روجيه جارودي، مرجع سابق، ص186

26 خالد الصوفي، مرجع سابق، ص 45.

حظي به، والله تعالى علم آدم الأسماء كلها والأسماء هي مفاتيح العلم والتعلم وهو سبحانه علمه ما لم يكن يعلم ومن ذلك أن علمه البيان، وقد خلقه في أحسن تقويم وأكمل هيئته والأهم من هذا كله هو انه سبحانه نفخ فيه من روحه، وهذه الميزة في الحقيقة تمثل نوعاً من التشريف والتكريم لا يكاد يدركه عقل أو يستوعبه فكر.

وقد بلغ هذا التكريم والتفضيل للإنسان في كثير من آيات القرآن الكريم وما صح من السنة النبوية الشريفة حداً يدرك معه المتأمل أن « المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود زمام هذه الأرض وتطلق فيها يده، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين والتحليل والتركيب، وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات وكنوز وخامات، وتسخير هذا كله بإذن الله في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه وإذن فهي منزلة عظيمة، منزلة هذا الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض الفسيحة، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه الكريم »⁽²⁷⁾.

فهذا التكريم الإلهي للإنسان جاء تمهيداً للمهمة التي جعلت بعهدته وهي الخلافة وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة، الآية رقم 30]

وفي قوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْقَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَانِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة الأنعام آية رقم 165].

وهذه الخلافة - المهمة الوجودية للإنسان - تعني استخلاف الله للإنسان لتحقيق معنى العبودية في الأرض وأداء أحكامه فيها وهذا معناه أن يكون الإنسان سلطاناً في الكون ليباشر تلك المهمة والغاية الوجودية على الوجه الأكمل عبر التفاعل مع الكون اعتباراً وتعميراً في خط العبودية لله تعالى⁽²⁸⁾.

واستناداً على هذه المرجعية نجد أن مجال العلاقات العامة الإسلامية يتسع ليكون الهدف منه إنشاء العلاقات الودية القائمة على المحبة والتعاون بين البشر جميعاً بقصد تكوين مجتمع بشري متكاتف متماسك متآلف، أي أن العلاقات العامة

27 إبراهيم إمام، مرجع سابق، ص 79.

28 مسند الإمام أحمد، ج38، حديث رقم 23489، ص 474.

الإسلامية يقصد منها العلاقات من أجل النفع العام للبشر ويقصد بها حسن العلاقة في حد ذاتها وليس تحقيق كسب مادي أو سياسي لمؤسسة ما أو فرد من الأفراد، كما نلاحظ ذلك في العلاقات العامة الحديثة التي تهتم بإقامة العلاقات العامة وممارستها من أجل هدف محدد بهدف إرضاء الجماهير وبالتالي تحقيق الأرباح المادية الوفيرة أو بهدف تحقيق بعض المكاسب السياسية للأفراد.

أيضاً تهتم العلاقات العامة الإسلامية بتقديم الصورة الحقيقية لجمهور المؤسسة دون تصنيع أو اختلاق أي أنها تخاطب الجمهور بكل صدق وتجرد ولا تتعمد إخفاء الجوانب غير المشرقة أو تزيين الصورة كذباً واستغفالاً.

وسائل العلاقات العامة من منظور إسلامي :

ورد في بعض الكتابات الفقهية الإسلامية مفهوم فتح الذرائع ومفهوم سد الذرائع، فالذريعة هي الوسيلة التي يتوصل بها إلى غاية أو مقصد، والوسائل «اجتهادية» في الغالب والاجتهاد في الوسائل هو أوسع أبواب الاجتهاد، ومن المعلوم أن لكل عصر وسائله أو ذرائعه وأن من رحمة الله أنه لم يلزم الناس في العصور كافة بذرائع معينه لا ينفك سعيهم وكدحهم عنها لأن التكليف بذلك هو « تكليف بما لا يطاق »،⁽²⁹⁾ وقد قضت شريعة الله أنه لا تكليف بما لا يطاق ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ [سورة الحج، الآية رقم 78] .

ومن المعلوم أيضاً أن الدين قد اكتمل وتم، فلا يحتاج إلى إضافات جديدة من حيث الحقائق العقائدية والتعبدية والتشريعية، بل إن الإضافة إلى الدين بدعه مبنية على أن الدين ناقص فإذا أعلقتنا باب الإضافة والإحداث في ذات الدين فإن باب الاجتهاد في الوسائل أو الذرائع الموصلة إلى الغاية أو المقصد يظل مفتوحاً، ومن المقرر أيضاً في أصول الفقه الإسلامي أن الأصل في الأشياء والأفعال الحل والإباحة، وأن من يسر الإسلام وسماحته سعة دائرة المباح، وهذا الأصل قد أخذ من استقرار نصوص الشريعة استقراراً يفيد القطع، فهو صحيح يبني عليه ويرجع إليه في الحكم على

29 جمال خضر، العلاقات العامة، ط1 (عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع، 1998م)، ص48.

مفردات الأعمال (كبعض ضروب الفن مثلاً) إذا لم يوجد فيها بعينها نص ثابت صريح أو إجماع [فتاوى وتوصيات ندوات أقرأ الفقهية الإعلامية، (جده : الشركة الإعلامية العربية، 1998م)، ص 11].

وقد أعطى الإسلام للإنسان الحق الكامل في أن يفكر تفكيراً حراً مستقلاً في جميع ما يكتنفه من شئون وما يقع تحت إدراكه من ظواهر وأن يأخذ بما يهديه إليه إدراكه ويعبر عنه بمختلف وسائل التعبير المتاحة له وبأي طريقة يشاء، وقد أباح الإسلام لكل مسلم الاجتهاد في فروع الشريعة الإسلامية لكل قادر عليه⁽³⁰⁾.

ويمكن عند الحديث عن الوسائل التي تستخدمها العلاقات العامة أن يتم التعامل معها بهذه المنهجية الإسلامية التي أشرنا إليها سالفاً، وفي مقدمة تلك الوسائل وسائل الاتصال الجماهيري فقد تعددت وسائل الإعلام في العصر الحديث وتعاضم دورها وأصبحت تشكل الشيء ونقيضه في نفس الوقت، فهي تنجح في تقديم بعض الأبرياء كمجرمين خطيرين وعلى صعيد آخر تضيف هالات الإكبار والإجلال والتقوى على بعض الأفاقيين ومحترفي النصب والإجرام، وهى تساهم في تحقيق التقدم والرخاء ودعم القيم الفاضلة إذا أحسن استخدامها وإذا أسئ هذا الاستخدام أصبحت معولاً خطيراً لتدمير القيم والأخلاقيات.

ومن هنا جاءت المعادلة الصعبة لاستخدام هذه الوسائل بطريقة مفيدة تحقق ما تسعى إليه من أهداف لخدمة الإسلام والمسلمين وفي نفس الوقت تجنب شرور هذه الوسائل وآثارها المدمرة على قيمنا وتراثنا الإسلامي⁽³¹⁾. كذلك من وسائل العلاقات العامة وسيله الاتصال الشخصي المباشر وذلك من خلال الدعاة المتمكنين في الإقناع والتأثير وسيظل الاتصال الشخصي هو الوسيلة المثلى للتأثير مهما تقدمت الوسائل الجماهيرية، لما تتميز به من قدرة على تحقيق التفاعل والتجاوب والتكيف مع مقتضيات الموقف الاتصالي، ومن الضروري أن تعتمد الدعوة والإعلام الإسلامي على الاتصال الشخصي والجماهيري معاً وعلى نفس القدر من الاهتمام لما يحققه هذا التكامل من ذيوع أوسع وتأثير أعمق⁽³²⁾.

30 صحيح البخاري، ج3، حديث رقم 2076، ص 57.

31 دفع الله موسى رزق الله، دور تقنيات الاتصال في ترقية العلاقات العامة، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة الجزيرة : معهد إسلام المعرفة، 2001م)، ص30.

32 سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة : دار الشرق، 1987م) المجلد الأول، ص56.

نخلص من هذا السرد إلى أنّ الإسلام قد عَنِيَ بالإنسان وكرامته ورغباته وأفكاره ويظهر ذلك من التعاليم التي جاء بها الإسلام، لينتقل بالبشر خطوات فسيحات إلى حياة مشرقة بالفضائل والآداب وأنه اعتبر المراحل المؤدية إلى هذا الهدف النبيل من صميم رسالته، كما أنه عد الإخلال بهذه الوسائل خروجاً عليه وابتعاداً عنه، فليست الأخلاق من مواد الترف التي يمكن الاستغناء عنها بل هي من أصول الحياة التي يرتضيها الدين ويحترم ذويها.

فإذا أحسنت العلاقات العامة عموماً استخدام تلك القيم التي تفيض بالحيوية وتنطق بالصدق، فإنها ستشد الفكر وتوقظ الوجدان وتسمو بالروح وستكون النتيجة ت أثراً يعقبه انقياد يثمر تمثلاً وتطبعاً يستجيبان لدواعي الفطرة وبواعث الإيمان، وستنشر الأخلاق والمثل العليا إلى العالم أجمع قصداً لخير للبشرية وإلحاق الرحمة بالعلمين استجابة لقوله تعالى وهو يحدد الغاية من النبوة: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

المبحث الثالث: خاتمة البحث

مناقشة النتائج:

- إنَّ التحولات السياسية الكبرى نحو الديمقراطية عبر العالم وما صاحبها من سرعة الإعلام والتحرك نحو تشكيل تحالفات تجارية بين الأمم الإقليمية قد ركز انتباهها جديداً على العلاقات العامة، فانهايار الشيوعية وتكاتف الاقتصاديات الأوربية وتفشي الديمقراطية في كل مكان من أوروبا الشرقية إلى جنوب أفريقيا قد دفع بالدور العالمي للعلاقات العامة إلى وسط ضوء جديد.

- بهذا الاستطراد نقول إنه كلما اشتدت أهمية العلاقات العامة تشتد التحديات التي تواجهها كمفهوم « علم » و« تطبيق » مهنة » وهذه التحديات ستكون في كل العالم لأن أهمية العلاقات العامة أصبحت في كل العالم.

- قضايا مثل العولمة، تزايد قوة الرأي العام، تطور التكنولوجيا، تطور وسائل الإعلام، المنافسة، والأزمات بأنواعها المختلفة وغير ذلك، من القضايا يؤدي إلى إبراز تحدي يواجه الإنسانية كلها دون استثناء، وان كان هناك اختلاف

في نوع هذه التحديات وتفصيلاتها لكن يبقى أن التحدي واحد خاصة أن المجال الذي تنشط فيه العلاقات العامة هو مجال العلاقات الإنسانية.

المؤسسات بصورة عامة، وإدارة العلاقات العامة بصورة خاصة لا تستطيع تحقيق أهدافها بمعزل عن تأثيرات البيئة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية، وهذا يستدعي محاولة إيجاد إطار أو منظور إنساني شامل للعلاقات العامة تتكامل فيه النظرية مع التطبيق وترتبط فيه المبادئ والأخلاق بالممارسة دون انفصال ودون تجزئه، وتتفاعل فيه الوسائل والتقنيات الحديثة جنباً إلى جنب مع نداءات الفطرة الإنسانية الراشدة من أجل الإسهام في صناعة منظومة حضارية ترتبط فيها قيم الأرض بوحى السماء الهادي إلى صراط مستقيم.

العلوم الاجتماعية الغربية امتداد لعقلية دراسات السُنن والنواميس الكونية في عالم المادة ليمتد لاحقاً إلى دراسة الفطرة الإنسانية الاجتماعية والتعرف على أسرارها وتوليد الفكر الاجتماعي بواسطتها في مختلف مجالات علاقاتها، وبناء المؤسسات وتوليد الفكر القانوني اللازم لإدارة شؤون مجتمعاتها وفق رؤية حضارتهم ومفاهيمهم المادية التي ما زال العالم يعاني بسببها حتى اليوم، بسبب ثنائية قيمها ومعاييرها التي أفرزت ويلات الاستعمار والظلم والعدوان والتفنن في إبداع وسائل الحرب والدمار.⁽¹⁾

إنّ الحضارة الإنسانية اليوم تعاني من سيطرة المادية والعنصرية « الأمانة بالسوء» ومن دعاوي «الديمقراطية الزائفة» ومن «الحريات» الفوضوية العبثية المفسدة، ومن «كهنة» تضليل الإعلام والمراكز البحثية الزائفة التي يتحكم فيها وفي أدواتها ومؤسساتها طبقة رجال السلطة والمال، وما يستتبع ذلك من احتكارات ومن مظالم ومن تحصيل وإفقار لجماهير الأمم ومن ترف وإسراف وتدمير إنما تدفع بالإنسانية إلى الدمار.

إنّ المحتوى الفكري الغربي للعلوم الاجتماعية الغربية (العلاقات العامة جزء منها) يتأثر بجانبين : الأول منهما هو الجانب الذاتي الأيدلوجي المتمثل في الرؤية الكونية الغربية، والتي هي رؤية أيدلوجيه مادية، بحيث لم يعد لأديان شعوبها تأثير ذو وزن على واقع رؤيتها وتعاملها وعلاقاتها الاجتماعية

فهم (لا أدريون) (Agnostic)).⁽³³⁾

- الجانب الموضوعي في هذه العلوم الاجتماعية الغربية يتمثل في منهجية دراسة الفطرة والطبائع البشرية، وبالتالي معرفة كيفية تفاعلها مع واقعها وكيفية تطويع هذه الفطرة والطاقة النفسية لتحقيق أهداف الرؤية وما تعبر عنه من قيم ومفاهيم ومبادئ واستفادتها من الإمكانيات لإبداع الوسائل والحلول والمؤسسات ومواجهة التحديات،³⁴³ ومن هنا فإنه يمكن الاستفادة من الجانب الموضوعي والوضعي ومن كثير من إبداعات الوسائل والأنظمة والمؤسسات.

- من المهم أن ندرك أن قصد الإعمار والإبداع والإصلاح إنما هو مبدأ وغاية فطرية سوية لا تنفصم عن الرؤية القرآنية الحضارية لمشروع الوجود الإنساني على الأرض وأنه لا قيمه ولا معنى للوجود الإنساني في الأرض ولن يحقق الإنسان ذاته من دون قصد السعي والعمل والإبداع وذلك باستصحاب مبادئ التوحيد والأخلاق وبالتزام قصد الخير والإصلاح والإعمار إذ إن التزام قصد الإعمار والتسخير الخير في الأرض وتحقيق غايات الفطرة الإنسانية السوية، إنما هو تحقيق للذات الإنسانية، وإن الجحود والكبر والسعي بالظلم والفساد في الأرض هو هلاك وإلغاء وتدمير للذات الإنسانية وانتهاك لحرمة مقاصد إبداع نظام الكون والخلق.

- الآليات والأدوات ليست إلا وسائل لتحقيق رؤية وغاية وقصد، فإذا انتفت الرؤية والغاية والقصد والدافع الإعماري، لم تعد للوسائل والأدوات والآليات - مهما تكدست - جدوى ولا نفع لأنه لن يستخدم الأداة إلا من كانت له رؤية تجعل له غاية أو قصداً، وعندها تكون الأداة وسيلة لتحقيق تلك الغاية والحصول عليها، وفي مثل هذه الحالة يكون فكر الأمة وهمها متمحوراً حول كيف نفعل؟ وكيف نصنع؟ وكيف نحقق؟ وكيف نرقى؟ وكيف نبعد؟ وكيف نسبق إلى الخير والإصلاح والإعمار؟ وعندها سوف تبعد الأمة في أدواتها ووسائلها وتنميتها وتطورها وتستخدمها ولا يعود حتى

33 محمد عبد الفتاح الخطيب، حرية الرأي في الإسلام، ط 1 (الدوحة : وزارة الأوقاف- سلسلة كتاب الأمة، 2007 م) ص 34.

34 محمد عبد الفتاح الخطيب، مرجع سابق، ص 34.

القليل منها مهماً مهجوراً كما هو عليه حال الأمة اليوم مقارناً بسواها من الأمم ذات الدافعية الهادفة⁽³⁵⁾.

- كما بيننا سابقاً فإن العلاقات العامة بشكلها الحديث قد نشأت في الغرب وذلك لأن أوضاع حقوق الإنسان قد تطورت عندهم كثيراً وتطورت تبعاً لذلك حركة البحث العلمي والإنتاج العملي، مما ساعد في تنظيم وترتيب عمل المؤسسات والذي أسهم بدوره في الاهتمام بالعلاقات الإنسانية عموماً والعلاقات العامة على وجه أخص، لذلك تتوافر العلاقات العامة في الغرب عموماً وفي أمريكا تحديداً في كل المنظمات، والمهم هناك ليس هو وجود جهاز خاص بالعلاقات العامة بقدر ما هو عمل العلاقات العامة بطريقة صحيحة ومنظمة ومخططة وليست طارئة وبأساليب غير مناسبة⁽³⁶⁾، وقد أسهمت العلاقات العامة في الغرب على حل مشكلات الحكومات والشعوب والمؤسسات والشركات، وساعدت كذلك في إدارة أزماتها وتقوية صلاتها وتحقيق المنافع لها، وغير ذلك من الإفادات والمنافع الكبيرة التي حققتها العلاقات العامة.

- نحن كمسلمين يمكن أن نستفيد من هذا التراث الإنساني وهذه التجارب البشرية طالما أنها لا تتعارض مع مبادئنا (فالكلمة الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أولى الناس بها⁽³⁷⁾).

وكذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ((إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ))⁽³⁸⁾، ومن قبل ذلك قول الله تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لُمُسْرِفُونَ ﴾ [سورة المائدة، الآية رقم 32].

- إنَّ التفاعل والتدافع والتشارك في المنافع والمصالح سنة كونية أوجدها الله لعمران الأرض، قال تعالى: ﴿ فَهَكَزَ مُوْهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ دُجَالُوتَ وَعَاتَكَهُ اللَّهُ

35 محي الدين عبد الحلیم، الرأي العام في الإسلام، ط2 (القاهرة : دار الفكر العربي، 1990م)، ص73.

36 علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية (القاهرة : عالم الكتب، 2003 م)، ص179.

37 المرجع نفسه، ص181.

38 فريزر بي سيل، مستقبل العلاقات العامة، ترجمة سعد الحسن، ط1(غزة : دار الكتاب الجامعي،

2007م)، ص296.

أَمْلَكُ وَالْحِكْمَةَ وَعَلْمَهُ، مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ۗ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ [سورة البقرة، الآية رقم 251] وفي قوله أيضاً: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ۗ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۗ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحج، الآية رقم 40].

التوصيات :

يخلص الباحث من خلال هذا التناول المتعلق بالمنظور الفكري والإنساني للعلاقات العامة في الإسلام وفي الغرب لعمل مقاربات وملاحظات قد تسهم في تكوين رؤية إنسانية واسعة وشاملة للعلاقات العامة تؤدي بدورها لنهضة حضارية في مجال العلاقات العامة خاصة أنه حقل يهتم بالإنسان وبملاقاته وذلك على النحو التالي :

1- أهمية التزام العلاقات العامة في جميع مجالاتها بالمعايير الأخلاقية الثابتة والصادقة والتي تتفق مع ما جاءت به جميع الأديان السماوية وما توصلت إليه الأعراف الكريمة وأقرته العقول السليمة، فلا مكان في الأخلاق السليمة للفصل بين الغايات والوسائل وبين الممارسة والفكر وغير ذلك، وبالتالي يؤدي ذلك إلى أن تعيد العلاقات العامة صياغة دورها ووظيفتها وأهدافها تحت مظلة الأخلاق الفاضلة لأن في ذلك تحقيق الخير الأسمى والأكمل في حياة البشر (أي الخير المادي والروحي) وهنا يمكن الإفادة بصورة مباشرة من الفكر الإسلامي وذلك لوضوح التصور الأخلاقي فيه خاصة أن أهم قواعد دساتير جمعيات العلاقات العامة لم تأتِ بجديد علي ما جاء به ديننا الإسلامي.

2- أهمية انفتاح العلاقات العامة على كل المجالات وفق المصلحة الحقيقية لمجتمعاتها ولحل المشكلات فيها وليس معنى ذلك أن تظل العلاقات العامة نشطة في المؤسسات العامة أو الخاصة كما هو حادث الآن وإنما تتجه نحو القضايا الإنسانية المباشرة مثل الفقر، المرض، الحرب.....الخ، وذلك

استشعاراً لأهمية الإنسان وتكريمه وتفضيله، أي المبادرة والعمل بالمفهوم الصحيح لبرامج المسؤولية الاجتماعية.

3- الاستفادة من تجارب العلاقات العامة في الغرب - والتي أتت من الاستقرار في مجال حقوق الإنسان في الجانب السياسي والقانوني - وذلك في مجال البحوث والدراسات والتخطيط للبرامج والتقويم والاهتمام بظاهرة الرأي العام والتطور في استخدام وسائل الاتصال المختلفة وازدياد قوة وتأثير برامج العلاقات العامة في كل المجالات تقريباً.

4- التوجيه والاستفادة من قوة ودفع العلاقات العامة في معالجة الكثير من القضايا والتحديات الإنسانية على المستوى الدولي مثل قضايا العولمة والهيمنة والحروب والأزمات بأنواعها المختلفة وحظر أسلحة الدمار الشامل والتلوث البيئي و... الخ، وغيرها من القضايا والمشكلات التي تهدد الإنسانية جمعاء وذلك انطلاقاً من التصور القرآني في ذلك: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم، الآية رقم 41]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية رقم 76].

إنّ المنظور الإسلامي أوسع وأشمل من مجرد أن يقتصر في تعليماته ورؤيته على علاقة وقتية قصيرة، وإذا كانت المراجع العلمية وآراء الخبراء والباحثين تضع قواعد وإرشادات ونصائح وأساليب وفنون يمكن من خلالها تقديم خدمة متميزة إلى الجمهور أثناء العمل، فإن الإسلام يضع مبادئ وأسس يتم اتباعها من قبل المسلمين في كل أفعالهم وأقوالهم وأعمالهم داخل وخارج العمل في السر والعلانية وفي جميع جوانب حياتهم، حيث إنّها عقيدة يؤمنون بها، ومن هنا كان الأحرى بنا كمجتمع مسلم أن يكون كل ما نقوم به متميزاً، وتكون هذه الأعمال عالية الجودة، لأننا مراقبون من الله عز وجل في كافة أعمالنا الظاهرة والباطنة.

دلالات العلاقات العامة من منظور إسلامي

احتفالية الوعدة بالجزائر وأدوارها في التنمية المحلية مقاربة سوسيو أنثروبولوجية بمنطقة سبدو

د. بووشمة الهادي¹

تقديم:

طقس الوعدة أو الموسم أو الزردة أو الركب، أو الطعام، أو الزيارة أو الموكار وغيرها، على الرغم من تعدد اصطلاحاته واستعمالاته إلا أنه يمكن اختصاره تعريفاً في اعتباره ذلك الطقس الاحتفالي المغاربي، المركب، والجماعي، والدوري (الموسمي) في أغلب جغرافياته، تمارسه العديد من الجماعات والقبائل المغاربية سنوياً حول أرضحة أوليائها خصوصاً منهم المؤسسون، مثلما تقوم به جماعات أخرى لولي من الجن كما هو حال سيدي شمهروش بالمغرب، عادة ما يتوسط خصب الفصول (طقس زراعي)، أو يتوافق ورزنامة المولد النبوي، يتضمن العديد من الطقوس الفرعية، التي تحيل إلى ثنائيتي المقدس أولاً عبر طقوس التضحية والزيارة والمعروف، وكذا شموله للعناصر التي تحيل إلى الدنيوي والفرجوي-الاحتفالي، وكذا النشاط التجاري.

يمكن وصف هذا الطقس الاحتفالي اختصاراً بالعالم الاجتماعي المصغر، الذي يعكس ذات المجتمع الفاعل له، ولتقاليد وأعرافه وتاريخه وأصوله، مثلما يمكن اعتباره بالمرح الاجتماعي الذي تتمسرح على ركحه هذه الجماعات والقبائل، ويكون ذلك في العادة في ارتباط بمركز ثقل قدسي (الضريح) ولزمن يمتد في الغالب لثلاثة أيام، تعيد من خلاله الجماعات والقبائل تحيين أحداثها الماضية ولحظات تأسيسها الأول، فبالرغم أنّ القبيلة اليوم قد تخفت في أثواب حديثة عديدة ولم تعد جسداً فيزيقياً متجلياً في وجوده، ولكن هذا الطقس الاحتفالي وفر لها فرص للتجلي الدوري ولو على المستويين الرمزي والذهني.

وجدت هذه القبائل في الوعدة ميكانيزم إعادة بناء وترميم الذاكرة الجماعية. وشحن الهوية المحلية عبر ربط الحاضر بالماضي عبر آلية التذكر، يُواكب ذلك بنشاط احتفالي وفرجوي واقتصادي وتجاري، ومن ثمة كانت ولا تزال هاته المواسم لحظة فارقة ومهمة في حياة هذه الجماعات سواء أكان بالجزائر أم بالمناطق المغاربية

1 مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تامنغست، المركز الجامعي بتامنغست

الأخرى، خصوصاً منها الريفية، باعتبار أن الظاهرة تراجعت في الحواضر المدنية، واختلفت في أحيان أخرى، ولم تعد طقساً جماعياً يحيل إلى معانيه الهوياتية والذاكرتية، وإنما كل ما أصبح يعنيه فهو وجبة طعام بمناسبة نجاح فردي، أو تحقق وعد، أو منام...، ولكن مع الإشارة إلى أن ذلك لا يعني كل سكان الحواضر، فمنطقة سبدو مثلاً تشارك في طقوسها الاحتفالية عديد الأسر والعوائل سواء منها الساكنة بالمجال الحضري أو الريفى، ولكن مع غلبة في الحضور والمشاركة لهذا الأخير.

عموماً، ما يههم من كل هذا هو ما يحيل إليه هذا الطقس الاحتفالي المتكرر في جانبه التنموي والاقتصادي، باعتبار أن إحدى وظائفه هو جانب المبادلات التجارية في جانبها المادي والرمزي - الروحاني، بمعنى أنه في فترة الموسم تزدهر تجارة البركة من خلال اتساع قاعدة ونطاق الاستهلاك على كل المعروضات، فالموسم يحيل في جانب منه إلى الاستهلاك الباذخ، ومن ثمة إنه يوفر مجالاً مناسباً اقتصادياً لتنمية المنطقة ولو ظرفياً، فهو إلى جانب اعتباره موسماً للسياحة الدينية (الصوفية) فهو أيضاً ملائمة للمجتمع، وللاحتفال والفرجة، ما يوفر فرصاً للاستثمار في التقاليد والعبادات من فروسية ورقص وغناء ووسائلها الناتجة عن الصناعة التقليدية، التي لاتزال تصارع التهميش والاندثار، فبفعل مواسم الأولياء فإنها تزدهر، وبالتالي إن الكثير من الصنائع والعبادات والتقاليد ترتبط وتستفيد من بعضها، ويبقى أن الودة توفر المجال المناسب الدوري لتداول واستهلاك ذلك.

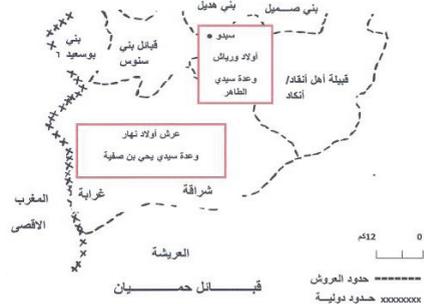
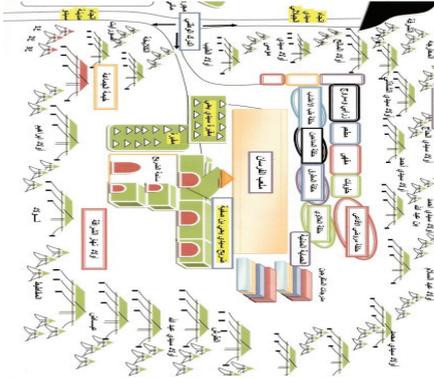
أولاً: ميدان الدراسة:

بالنسبة للمجال الميداني لهذه الدراسة، فإنه يختص بجغرافية محددة بعينها، تخص منطقة سبدو الواقعة بتلمسان ضمن مجال الغرب الوهراني، وقد تأسس اختيارنا لها لعدة أسباب ودوافع سواء منها الموضوعية أو حتى الذاتية المرتبطة بانتمائنا إلى مجالها ومعرفتنا البسيطة بها، وبالمجموعات التي تسكنها، ومن الناحية الموضوعية نحن أمام منطقة تعرف هذا الطقس بشكل متواصل منذ القرن 16م، ما يطرح معه عديد الأسئلة المستفهمة في أسباب استمراره ورهانات الجماعات الفاعلة له (فيه).

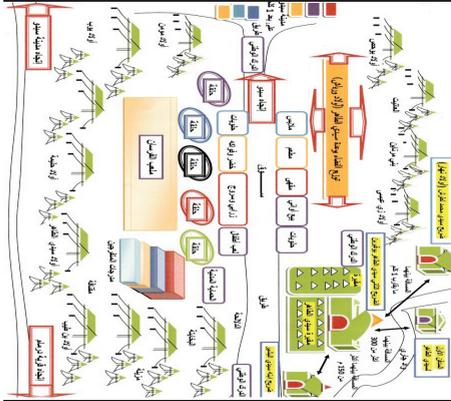
إذن، شروط الدراسة متوفرة في المكان، فيإلى جانب العمر الزمني لهذا الطقس الاحتفالي، فإن بالمنطقة مجموعتين كبيرتين (عرش أولاد نهار وأولاد ورياش) تعمران مجالها، إضافة إلى ذلك توفرها على المجال القدسي، ممثلاً في الوليين الصالحين: اللذين أسسا هاتين المجموعتين (سيدي يحي بن صافية وسيدي الطاهر)، كل هذا دفعنا إلى بحث الظاهرة بهذه المنطقة الحدودية مع المغرب، وهي من المناطق المهمشة، يقوم اقتصادها على حرفتي الرعي والزراعة البورية، ولكن في السنوات الأخيرة ومع التغير المناخي تأثرت المنطقة كثيراً، ما اضطر الكثير من سكانها إلى تغيير نشاطهم وحتى الهجرة إلى تلمسان والمدن الأخرى.

غير أنه وبالرغم من هذا يبقى طقس الوعدة يحافظ على استمراريته ووجوده، ومن خلاله وجد السكان المحليون مجالاً ولو موسمياً لتصريف جزء مهم من منتوجهم الرعوي والزراعي، فهم لا يزالون يستثمرون في هذا الطقس، الذي يبقى يساهم اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً في تنمية ولو ظرفية بالمنطقة.

احتفالية الوعدة بالجزائر وأدوارها في التنمية المحلية



الخرطة رقم (1): تبين عروش منطقة سيدو



ثانياً: إشكالية العلاقة بين الوعدة والتنمية المحلية:

السؤال الإشكالي الذي يمكن نبدأ به مقارنة هذا الطقس في جانبه التأثيري ودوره في عمليات التنمية للمنطقة هو كيف تسهم الوعدة في عملية التنمية المحلية؟، بمعنى آخر أي دور تنموي محلي للوعدة بالمنطقة؟.

من المعروف أنّ الوعدة توفر شكلاً من المسرحة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية سنوياً، ما يسهم بشكل أو بآخر في نوع من الاستثمار في التقاليد والعادات والموروث والتراث الثقافي بصفة عامة، كما أنّ هذا الحدث يشد اجتماعياً الرجال إليه العديد من الأفراد والجماعات من مختلف مناطق الوطن، حيث يصل مثلاً عدد الحضور في

وعدة سيدي يحي بأولاد نهار في يومها الثالث أكثر من عشرة آلاف شخص، ونفس الأمر تقريباً مع عدة سيدي الطاهر بسبدو، هذا العدد الهائل يوفر مجالاً مهماً للاستهلاك، وهو رأسمال مادي وبشري مهم في دعم استمرار الوعدة، مثلما يسهم من ناحية أخرى دعماً للاستمرار التقاليد والصناعات التقليدية ومختلف الصنائع والحرف الأخرى.

فالوعدة إلى جانب اعتبارها مجال روحاني ينمي المنطقة من خلال توافد آلاف السياح الدينيين إليها لزيارة الضريح والاستلها من نفحاته القدسية، فهي أيضاً لحظة مهمة لتصريف الثقافي والاجتماعي والاقتصادي خصوصاً، فهي سوق سنوية عامرة بالسلع تلتقي فيها الجماعات المختلفة تجاراً وحرفيين وصناع ومربين ومزارعين، كلهم يستثمرون في هذا الطقس من خلال محاولتهم تصريف منتجاتهم، خصوصاً الوعدة لحظة مهمة للبذخ في الاستهلاك كما أنّها فرصة لرواج التجارة باسم القدسي والبركاتي.

كل هذا سنقاربه ضمن هذا البحث، فالوعدة كطقس احتفالي تحيل في الكثير من وظائفها وأدوارها إلى جوانب تخص التنمية المحلية للمنطقة، ولو بشكل ظرفي، غير أنّ ذلك يبقى نسقاً يشتغل عليه طوال السنة، باعتبار أنّ تنظيمها يحتاج إلى التحضير له طوال السنة، كما أنّ كثيراً من الفاعلين يشتغلون ويتغذون من هذا الموسم - كما سبق الذكر -، فالصناعات التقليدية والعادات والتقاليد تجد فرصتها للتجدد والاستمرار، كما أنّ الفروسية وتربية الخيول وكل المصنوعات المرتبطة بها وجدت في الموسم الداعم الأساسي لبقائها واستمرارها، مثلما يوفر الضريح بدوره فرصة مهمة للاستثمار في السياحة الدينية للكثير من المريدين من كل بقاع الجزائر، مثلما تزدهر حركة البيع والشراء لكل السلع، وكل ذلك يستفيد منه معظم الفاعلين المشاركين والحاضرين بالموسم.

إذن، تبرز من خلال هذا التحليل البسيط أنه يمكن الحديث عن علاقة وثيقة تاريخياً بين هذا الطقس والتنمية المحلية، فقد دأبت قبائل المنطقة منذ القرن 16 ميلادي على إقامة هذا الموسم فترة الخريف، وهي فترة تتوسط خصب الصيف والشتاء، حيث الانتهاء من جني المحصول والاستعداد للبذر والزرع، وبالتالي كان يوفر الموسم لها فرصة مثالية لعقد سوق سنوي تعرض فيه مختلف منتوجاتها

وحيواناتها وصنائعها للبيع والتبادل، خصوصاً أنّ منطقة سبدو كانت منطقة وسطاً للعبور وتجارة القوافل نحو الصحراء وتبقى إلى اليوم ولو باختلاف الوسائل والسياقات.

من ناحية الدينية المنطقة كانت مجالاً قدسياً، باعتبار توفرها على عدد من الزوايا وانتمائها لطرق صوفية بعينها، كما أن العديد من الأولياء الصوفيين أقاموا وماتوا بها، وبالتالي هذا جعل من أضرحتهم مقصداً لآلاف من مريديهم على طول هذه الفترة، مما يسهم إلى اليوم في إزدهار السياحة الدينية، التي يمكن أن تكون رافداً مهماً ومغذي للتنمية محلية للمنطقة، إذا ما تم الاستثمار فيها بشكل جيد.

ثالثاً: المقاربة المنهجية في الدراسة:

بالنسبة للمقاربة المنهجية التي سنستخدمها في هذا البحث فهي المقاربة السوسيو-أنثروبولوجية، لماذا استخدام هذه المقاربة بالضبط دون أخرى؟، إنّ طابع البحث في موضوع الوعدة، وسياقاته المطروحة بشكل يشعب الاهتمامات، ويعدها في توافق مع تعريفه كطقس مركب يضم الاجتماعي والاقتصادي والاحتفالي الفرجوي والتعبدي-الديني والقدسي والسياسي وغيره، جعلنا نبحت عن نسق مقارباتي مرن وسلس وبين-تخصصاتي يجعلنا قادرين على مقاربة الموضوع من زوايا متعددة، خصوصاً أنّ هذا الأخير سيتطلب توطيد عنصر الفهم أكثر منه التفسير لمجريات الظاهرة وتحديد مختلف العلائق المرتبطة بإنتاجها واستمرارها ودورها خصوصاً، الذي نريد مقاربه في جانب التنمية المحلية.

ومن ثمّ كان اعتمادنا على هذه المقاربة لما توفره من سبل وميكانيزم في التحليل، ومن مجال أمام الباحث السوسولوجي لتعدي تيهان وزيج أنساق التفسير المعمول بها إلى الاستفادة من مكاسب الأنثروبولوجية وعلى وجه الخصوص طريقتها في ملاحظة الظواهر الاجتماعية وتفكيك أنساقها، ومن ثمة نعتبر أنّ اتجاهنا للبحث في الموضوع من زاوية هاته المقاربة ينم عن الإمكانات، التي توفرها والتي تسمح بتحليل هذا الطقس من خلال تقاطع العديد من عناصره السوسولوجية والأنثروبولوجية على حد سواء.

بالنسبة لمنهج الدراسة هذه فسيكون منهج البحث الميداني، فالوعدة من الظواهر

الاجتماعية، التي لا تزال تحافظ على نسقتها في التواصل والاستمرار، مثلما يقابل هذا بفاعلين اجتماعيين يصهرون ويؤطرون هذا الطقس باستمرار، ومن ثمة إن توفر هذه الشروط يساعد على استخدام منهج البحث الميداني في مقاربة هذا الموضوع. يضاف إلى هذا مرونة هذا المنهج لما يوفره من سبل لمقاربة الميدان واستتطاق مكوناته في إطار محاولة معرفة الظاهرة ورهاناتها ووظائفها خصوصاً في جانب علاقتها بالتنمية المحلية.

رابعاً: الأدوات والتقنيات المستعملة في الدراسة:

طبيعة هذا الموضوع، وتركيبته الطقوسية، وديناميته، إضافة إلى زمنه في الانعقاد، وكذا حاجتنا إلى إخراج هذا البحث مستوفياً لشروطه وملماً بجميع الأدوات والتقنيات، التي يمكن أن يحتاجها الباحث في هكذا بحث يدفعنا إلى استعمال ما أمكن منها لاستفءاء ذلك، حيث سنعمد إلى استغلال الملاحظة بالمعايشة والمقابلة نصف الموجهة، والمخبرين، إضافة إلى المستحضرات الفوتوغرافية، لأجل الكشف ما يمكن عن دور هذا الطقس الاحتفالي في عمليات التنمية المحلية بمنطقة سبدو.

خامساً: المفاهيم الإجرائية في الدراسة:

1 - الوعدة:

الوعدة محددة بمنطقة الغرب الوهراني ومنه منطقة سبدو وهي طقس يجري كشكل احتفالي جماعي دوري كل سنة يجمع الكل في وحدة متناهية حول ضريح وليه المؤسس له، في جو من الفرحة والخشوع يتزواج في لحظته ماضي البدء بحاضرهم ومستقبلهم، يعيدون من خلاله عملية إعادة التجديد وشحن الذاكرة بمآثر الأجداد، من خلال توظيف كل العناصر المكونة لهم، لإثبات وضع ما يتعدى في أبعاده ومرامييه ومجالاته.

2 - التنمية المحلية:

التنمية هي الكيفية التي يعالج بها المجتمع المحلي مشكلاته، وهي أيضاً تشير إلى الخطوات التي يتخذها هذا المجتمع بالاعتماد على نفسه لتغيير حياته المادية والروحية نحو وضع أحسن، كما يمكن وصفها بالعملية المتخذة من طرف المجتمعات المحلية لمناقشة الحاجيات ورسم خطط وتفعيلها بما يؤدي إلى حل مشكلاتها، وتنمية وتحسين أوضاع سكانها وجغرافياتها واقتصادها.

سادسا: احتفالية الوعدة في الأدبيات السوسولوجية والأنثروبولوجية:

حاولت العديد من الأعمال السوسولوجية والأنثروبولوجية مقارنة طقس الوعدة والموسم والزردة وغيرها، وذلك منذ القرن 19م، فقد أثار هذا الطقس الاحتفالي الاهتمام عند بعض الباحثين سواء أكان في الفترة الاستشراقية أم في المرحلة الكولونيالية، لتأتي بعد ذلك اهتمام الدراسات الأنثروبولوجية الأنجلو ساكسونية به خلال القرن 20م، وبعده - في مرحلة ما بعد الكولونيالية-، انصبت عدد من الدراسات السوسولوجية والأنثروبولوجية الأخرى حول الموضوع، خصوصاً، والتي حاولت مقارنة هذا طقس ومن خلاله الإسلام الشعبي في ظل ظروف وسياقات زمانية ومعرفية وفكرية مختلفة عن المرحلة الكولونيالية وما سبقها.

1- المقاربة الاستشراقية الكلاسيكية: (نموذج ويسترمارك):

بداية حاول إدوارد ويسترمارك (E. Westermarck)، وهو أحد أبرز ممثلي الفكر الاستشراقي الكلاسيكي، دراسة العديد من مواسم الأولياء بالمغرب الأقصى مع بداية القرن 20م وذلك في جزء هام من عمله الذي عنوانه بـ "الطقوس والمعتقدات في المغرب" "Ritual and belief in Morocco"، الذي ألفه سنة 1926م، وخلص من خلاله إلى استنتاجات عديدة مفادها أن هناك صلة وثيقة ورابط بين مواسم وعبادة الأولياء، والآلهة القديمة.

فالإسلام حسب ويسترمارك وبشكله التجريدي الذي كان عليه دعم فكرة وضرة ملُ الفراغ، الذي يفصل الناس والإله، فكان الولي وسيطاً حسيّاً بين الإنسان الشعبي والله، ومن ناحية أخرى اعتبر ويسترمارك وَرَدَّ توسع طقوس المواسم وعبادة الأولياء بالشمال الأفريقي إلى دعم البربر ونمط تفكيرهم، والمعتقدات التي كانت رائجة بينهم، والمرتبطة أساساً بإيمانهم بالشعوذة، ما ساهم حسبه في استمرار ذلك ضمن نسق ممارستهم للإسلام⁽²⁾.

بالنسبة لأدوار ووظائف ذلك في حياة الجماعات التي درسها، فقد توقف ويسترمارك بالدراسة عند مختلف المستويات والبنى التي تمسها مثل هذه العوائد والطقوس، من الجانب الروحاني والرمزي إلى الاقتصادي والتجاري بنوعه المادي والبركاتي والسياسي.

2 - WESTERMARCK Edward, Ritual and belief in Morocco, Volume 01, University Books, New Hyde Park New York, 1968, p 51.

2- مقارنة المدرسة الكولونiale:

بالنسبة للسوسيولوجيا الكولونiale بدورها حاولت عن طريق روادها إدموند دوتي (Edmond Doutté)، وألفرد بل (E. Bel)، وهنري باصي (H. Basset)، وإيميل دورمنغهام (E. Dermenghem)، وجاك بيرك (J. Berque) مقارنة احتفالية الوعدة، سواء بأرض الجزائر أو المغرب وقد خلصت دراساتهم الكثيفة في الموضوع إلى استنتاجات متقاربة ولو مع اختلاف مع الأخير جاك بيرك المتمرد إلى حد ما عن الأيديولوجية الكولونiale ومناهجها وتقاليدها في مقارنة الشعوب المغاربية وظواهرها وممارساتها، حيث إن معظم أعماله لم تندرج في السياقات الأيديولوجية، التي كانت تطرحها هذه المدرسة⁽³⁾.

بالعموم كانت احتفالية الوعدة أحد الموضوعات، التي خُصت بالبحث والتنقيب سواء أكان من طرف الضباط أم الأكاديميين والباحثين، وكل ذلك كان لأجل إثبات فرضياتهم المعدّة سلفاً في ربطهم هذه الاحتفالية الطقسية بالممارسات الوثنية ما قبل إسلامية وبعادة الأسلاف في مقابل التوحيد الإسلامي المفرط حسبهم، الذي أنتج في المقابل له تدين شعبي احتفالي- فلكلوري مزيج لممارسات متعددة، وخليط بين معتقدات البربر والعرب قبل الأسلمة وبعدها بشكل جعله مناقضاً ونداً لنسق الإسلام النصي- الأرثوذكسي.

إذن، ذلك جعل مقارنة طقس الوعدة، تتم أولاً من خلال تفكيك عناصرها كطقس مركب مندرج في نظام أشمل ويتقاطع مع كثير من الرواسب الوثنية والدينية والثقافية لساكني شمال أفريقيا قبل عملية الأسلمة، وثانياً من خلال ربط ذلك بثنائية الإسلام الأرثوذكسي الفقهي والشعبي المغاربي (إسلام الصلحاء والمرابطين)، ولأجل تحقيق كل ذلك، لجأ رواد المدرسة الكولونiale إلى تجريب بعض الفروض المرتبطة بذلك، مع اعتمادهم أيضاً على المناهج والأدوات المفاهيمية، التي كانت متوفرة حينذاك في حقول ومدارس ونظريات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الكلاسيكية.

3 الديالمي عبد الصمد، «ملاح تطور السوسيولوجيا في المغرب»، من الكتاب الجماعي: نحو علم اجتماع عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1986، ص 297.

إذن، حسب هؤلاء، برغم الأسلمة التي عرفها شمال أفريقيا، فإنَّ إسلام الإنسان الأمازيغي لم يكن نقياً، بمعنى أنَّ دخول هذا الإنسان واعتناقه الدين الجديد لم يغفله عن مصاحبة طقوس أجداده ومعتقداتهم، التي كانوا يمارسونها منذ عصور ما قبل التاريخ، أو أنه كان سطحياً غير ملم ومتعمق في جميع عناصر هذا الدين، هذا الأمر أدركته الأرتوذكسية الاسلامية، لكن لعدم تأثير هذه العناصر الدخيلة في إسلام البربر، في ما يخصّ عنصر التوحيد، جعل فقهاء الدين يغضون الطرف عن ذلك إلى حين توطد الإسلام في كل مجالات شمال أفريقيا، وحينذاك سيكون رأي آخر.

لقد استغل رواد المدرسة الفرنسية كل هذه العناصر والمؤشرات لتفكيك الجسد المجتمعي لسكانة الشمال الأفريقي، خصوصاً من خلال فهم العقلية الدينية للإنسان المغربي ومن خلاله الجزائري، ولأجل ذلك قاربت المدرسة الكولونيالية بين العقلية الدينية للإنسان الأمازيغي والإنسان العربي، فتوصلت إلى إحداث شرح هام في معتقدات وطقوس وممارسات كل طرف من هذه الأطراف، فاعتبرت في ذلك أن إسلام البربر كان سطحياً وقسرياً في نفس الوقت، نظراً لطول مدة وتاريخ الأسلمة (أكثر من 80 سنة من المقاومة البربرية لدخول الفاتحين العرب لبلاد المغرب)، من جهة، ولإسلام هؤلاء، الذي كان في مراحل لاحقة على يد المتصوفة والمرابطين، لأنَّ الإسلام الأول لم ينفذ ويصل لكل برابرة جبال شمال أفريقيا.

هذا جعل تفسيرات رواد المدرسة الكولونيالية بناءً على مؤشرات مرتبطة بالطقوس والمعتقدات الممارسة عند البربر وبقية ساكنة شمال أفريقيا، وبالعودة لوضع ذلك في السياقين التاريخي والاعتقادي للإنسان الأمازيغي الأول، تصبُّ في خانة اعتبار ما هو ممارس من الإسلام بالمنطقة المغربية في خانة بقايا ومعتقدات وثنية نفذت إلى الإسلام، وجعلت منه إسلاماً معيشاً ومغاربياً وشعبياً، مختلط وعملياً ويحيل إلى المقدس أكثر منه الدين.

هذا جعل هؤلاء يشككون في أسلمة البربر، التي لم تكن في نهاية المطاف - حسبهم-، إلا انعكاساً وأسلمة قسرية يمكن تفسيرها بعدة تفسيرات، وردها إلى الاختلاف والتمايز بين الجنس البربري والعربي لشمال أفريقيا، وتأثير الرواسب الماقبل إسلامية وإعادة إنتاج وجودها في قالب وسياق ونسق جديد، نسق قريب من التعدية أكثر منه التوحيد، وإسلام بربري وشعبي ومغربي ومعيش للإسلام أكثر منه إسلام سلفي وفقهي ونصي ونقيّ.

واختصاراً نقف من خلال النقاط التي تلي عند أهم الفرضيات والاستنتاجات لرواد السوسيولوجيا الكولونيلية على النحو التالي:

1- ربط رواد هذه المدرسة بين مواسم الأولياء والعبادات والمعتقدات الوثنية التي

كانت موجودة في نسق ممارسة الإنسان الشمال الأفريقي القديم، وحاولوا تفسير هذا الربط من خلال منهج تطوري، أكدوا من خلاله على تأسلم الكثير من طقوس وممارسات الإنسان الشمال الأفريقي، وبقاء بعضها الآخر محافظاً على جوهره السحري والمدنس رغم حركة التوحيد المفرط⁽⁴⁾.

2- أكدت هذه الدراسات على أنّ الطقوس والمعتقدات المرتبطة باحتفالية الوعدة جميعها متضمنة في معتقدات وعبادات السلف القدامى، ذلك يؤدي حسبهم واستناداً إلى فرضيات المدرسة التطورية والوضعية إلى استنتاج واحد مفاده اعتبار مثل هذه الممارسات كبقايا وثنية⁽⁵⁾ تأسلمت أو حافظت عن وجودها ضمن نسق الإسلام بعد الغزو العربي لشمال أفريقيا البربرية بتعبير هؤلاء الرواد.

3- من ناحية أخرى وقف هؤلاء عند ما تتضمنه الوعدة من طعام مشترك وتضحية [...]، ذلك يمثل عند هؤلاء مفتاح تفسيري في ربط طقس الوعدة بالطقوس الزراعية والخصب والاستسقاء⁽⁶⁾.

4- انتهى رواد المدرسة الكولونيلية في دراستهم لهذا الطقس إلى نتيجة مفادها أن

4 - DERMENGHEM Emile, *le Culte des Saints dans l'islam Maghrébin*, édition Gallimard, Paris, 1954, p 35.

5 - منديب عبد الغني، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 30.

باصي روني، أبحاث في دين الأمازيغ، ت. بوشخار حمو، سلسلة دفاتر وجهة نظر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ط1، 2012، ص 12.

-BEL Alfred, *la Religion Musulmane en Berbérie : « Esquisse d'histoire et sociologie religieuses »* tome I: « Etablissement et développement de l'Islam en Berbérie du VII au XX siècle », Librairie Orientaliste PAUL GEUTHNER, Paris, 1938, p 76.

- DERMENGHEM Emile, *le Culte des Saints dans l'islam Maghrébin*, ibid, p 34.

BERQUE Jacques, *Structures sociales du haut-atlas*, Presses universitaires de France, Paris, 2eme édition, 1978, pp254, 293.

6 - باصي روني، أبحاث في دين الأمازيغ، نفس المرجع، ص 49-50، 68.

- DERMENGHEM Emile, ibid, 159.

- BEL Alfred, ibid, p 7172 -.

- BERQUE Jacques, ibid, p254

الوعدة ومن خلالها النذر يمكن اعتبارها كطقس وثني لم تغير منه عملية الأسلمة غير الاسم.

5- في ربطهم احتفالية الوعدة بنسق المعتقدات والرواسب بعد الأسلمة اتفق رواد المدرسة الكولونيالية باستثناء جاك بيرك على أنه من أسباب وعوامل استمرار الكثير من المعتقدات والطقوس القديمة في قالب الإسلام الجديد، هي ما تعلق أساساً بالطابع الخشن للعقيدة أو ما عبر عنه دوتي "بالطابع الصلب للعقيدة"⁽⁷⁾ ومعها نسق التوحيد المفرط، الذي كان معه الإسلام أكثر الأديان السماوية توحيدا وأقلها تجسيدا للمعتقد والتواصل الملموس، الذي لا يبدو معه الله متجلياً للإنسان الشعبي، ومن ثم كان هذا الأخير خصوصاً منه الإنسان البربري الضعيف في تقاليده بالدين، مضطراً حسب هذا التفسير إلى إعادة إنتاجه واستمراره في بعض عقائده وتقاليده الدينية والاحتفالية القديمة، خصوصاً منها تلك التي تمكنه من تحقيق عنصر الوساطة مع الذات والعوالم المحيطة به والله بالخصوص.

إن، هذا التجريد، الذي تعرض له الحضور الإلهي في حياة ومعيش المؤمنين المغاربة، أدى حسب هؤلاء إلى إحلال فكرة الوسيط مع الله⁽⁸⁾، ممثلاً في صورة الولي الصالح كإنسان فوق طبيعي يتحسس آلام الإنسان الشعبي المغربي ويعيشها معه، ونتيجة لذلك أفرزت هذه العلاقة طقوس وممارسات عديدة خصوصاً منها الزيارة والوعدة والموسم، التي ملئت الهوة السحيقة بين التجريد الإلهي، وبحث الإنسان الشعبي عن إسلام معيش وعملي ومختصر للمسافات⁽⁹⁾.

التفسير الآخر الذي قدمه رواد المدرسة الكولونيالية هو ربطهم عبادة الأسلاف بعبادة الأولياء⁽¹⁰⁾، حيث تحاكي عندهم عبادة الأولياء في الإسلام المغربي، ما كانت عليه عبادة الأسلاف (المقدس المسجد)، إذ رغم الأسلمة وما يقتضيه التوحيد الديني ببلاد المغرب من إقصاء لكل المعتقدات والممارسات الماقبل إسلامية، التي تهدد

7 - دوتي إدموند، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، ت. الزاهي فريد، منشورات مرسوم، الرباط، 2008، ص 16.
8 - منديب عبد الغني، الدين والمجتمع: دراسة سوسيولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 30.

9 - DOUTTE. E, les Marabouts : « Extrait de la Revue de l'Histoire des Religions éditée en 1900 par ERNEST LEROUX, Paris », éditions Alger Livres (G.A.L), Alger, 2008, pp 08- 14.
10 - DERMENGHEM Emile, le Culte des Saints dans l'Islam Maghrébin, op-cit, p 35.

نسق التوحيد الأقل تجسيدا، إلا أن ذلك لم يمنع كما سلف الذكر من أن يصطحب الإنسان المغربي الكثير من ذلك ضمن تدينه الجديد، يقول دوتي: ” ظلت الشعائر والمعتقدات السابقة حية مستقرة بجانب المعتقد الإسلامي السني تارة، ومندمجة تارة أخرى في الشعائر الإسلامية نفسها ومنصهرة فيها، كما أن المعتقدات البالية نفسها لم تندثر نهائيا“⁽¹¹⁾.

كل هذا أسهم حسب ألفرد بل (Bel) في انتشار وتوطد عقيدة تقديس الأولياء عند البربر والعرب بعد الأسلمة وبالأخص بعد إدراج التصوف في الإسلام الرسمي منذ القرن 12م، والذي لم يفعل ”أكثر من تقوية وبسط نفوذ الولي الوريث للآلهة الوثنيين في معتقدات البربري المسلم“⁽¹²⁾، وبذلك تمكنت وعوضت عبادة الأولياء في الإسلام المغربي وفي بلاد البربر البقايا الإلهية القديمة، أكثر من ذلك التمس تقديس الأولياء مع عبادة الله⁽¹³⁾، وبذلك صار الأولياء والمتصوفة بوجه عام يملكون قوة إلهية صانعة للخوارق والكرامات⁽¹⁴⁾ وقدرة على المعجزات لحصولهم على الدعم الإلهي، الذي قربهم إليه ومنحهم قوة غير عادية تسمى البركة، جعلت منهم محل عبادة، خصوصا كما يقول بل (Bel) ” قد وجدت هذه العقائد شعوباً ميالة ومتقبلة طبيعياً لعبادة الإنسان“⁽¹⁵⁾، وقبلها كانت غارقة في السحر والأوثان⁽¹⁶⁾.

بالنسبة لطروحات هذه المدرسة في ما يتعلق بالجانب الوظيفي ودور هذا الطقس في جانبه التنموي، فرغم أن فروض روادها كانت متجهة نحو البحث عن رابط للطرح الوثني بطقوس الوعدة، وهذا لتأكيد فرضيات تطويرية كانت معدة سلفا، إلا أن هؤلاء لم يغفلوا هذا الجانب الوظيفي وأبرزوا ذلك في جل دراساتهم مركزين على الجانب التجاري (الرمزي والمادي)، وأثر ذلك على الإخوانيات (الزوايا، والطرق، الصوفية)، التي كانت تتغذى في جزء من استمرارها على ذلك، إلى جانب ما كان يوفره الوقف

11 - دوتي إدموند، السحر والدين في إفريقيا الشمالية، نفس المرجع السابق، ص 16، 40.

12 - BEL Alfred, la Religion Musulmane en Berbérie op-cit, p 342.

13 - ألفرد بال، بني سنوس ومساجدها في بداية القرن العشرين: دراسة تاريخية أثرية، ت. حمداوي محمد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص 54.

14 - BEL Alfred, la Religion Musulmane en Berbérie ibid, pp 351

15 - BEL Alfred, « Islam mystique », Revue Africaine, n=68, année 1927, OPU, Alger, pp 347, 364.

16 - BEL Alfred, « caractères et développement de l'islam en Berbérie et plus spécialement en Algérie », histoire et historien de l'Algérie, Revue historique, librairie Félix Alcan, Paris, 1930, p28.

الإسلامي من دعم لها، قبل أن تلجأ السلطة الاستعمارية إلى وفقه وتجريمه واختلاسه عبر قوانينها الجائرة.

3- المقاربة الأنثروبولوجية الأنجلوساكسونية:

بعد مقارنة السوسيولوجيا الكولونiale لطقس الوعدة، كان الموعد في بداية الستينات والسبعينات مع الدراسة الأنجلوساكسونية، التي تضمنت أبحاثاً غير متناهية لعدد من الأنثروبولوجيين الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم، حيث قارب هؤلاء موضوع الموعدة والموسم في بعض دراساتهم، من هؤلاء للتمثيل لا الحصر أرنست غيلنر (E. Gellner) وكليفورد غيرتز (C. Geertz)، وفانسونكرابانزانو (V. Crapanzano)، وديل إكلمان (D. F. Eickelman) وكيفين دواير (Kevin Dwyer)، ودافيد هارت (D. Hart) وغيرهم.

لقد قارب هؤلاء طقس الوعدة في توافق مع اتجاهاتهم الأنثروبولوجية التي شملت الاتجاه الانقسامي ويمثله غيلنر ودفيد هارت وجون ووتربوري وجيمس ميلر، أما الاتجاه الثاني فكان الاتجاه الدينامي ويمثله رسام فنوغرادوف وكيفين دواير وفليب بويل وفانسونكرابانزانو وغيرهم، أما الاتجاه الثالث فهو الاتجاه التأويلي ويمثله كل من كليفورد غيرتز وديل إكلمان وهلدرد غيرتز وبول رابنو وغيرهم⁽¹⁷⁾.

اختصاراً لكل هذه الاتجاهات فإننا اخترنا مقارنة الوعدة من خلال النظرية الانقسامية (Segmentarisme) لأرنست غيلنر كمثال لبقية المقاربات الأنجلوساكسونية الأخرى، والبداية فإنه من الواجب الإشارة أولاً إلى أن المنطلق الإشكالي الذي طرحه غيلنر (Gellner) من خلال كتابه "صلحاء الأطلس"⁽¹⁸⁾ وقارب من خلاله عدداً من الموضوعات ومنها طقس الوعدة، حيث تضمن التساؤل التالي: كيف تستطيع قبائل الأطلس العيش والاستمرار في المحافظة على النظام والأمن في ظل غياب سلطة مركزية؟⁽¹⁹⁾.

17 - منديب عبد الغني، الدين والمجتمع، مرجع سابق، ص 53.

18 - GELLNER Ernest, les Saints de l'Atlas, traduction de Paul Coatalen, Editions Bouchene, 2003.

19 الحمودي عبد الله، «الانقسامية والتراتب الاجتماعي والسلطة السياسية والقداسة: ملاحظات حول أطروحات كلنير»، من الكتاب الجماعي الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي، ت. السبتي عبد الأحد والفلق عبد اللطيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2007، ص 60.

ضمن حيثيات الإجابة على إشكاليته هذه، درس **غيلنر** (Gellner) عدد من مواسم الأولياء، ومَوْضَع ذلك في إطار تحليله الانقسامي لعدد من القبائل المغربية، وبالخصوص منها قبائل الأطلس الأوسط (آيت عطا)، وكذا للدين الإسلامي الذي فصل نسقه بشكل تجزيئي إلى قسمين وثنائيتين متضادتين إسلام شعبي وقبلي وصوفي "وريفي" يمارس طقوس الوعدة، يقابله إسلام أرثوذكسي وجمهوري و"مديني"⁽²⁰⁾ يرفضها ويشجب ممارساتها.

عموما انتهى غيلنر (Gellner) من خلال مختلف أعماله إلى عدد من النتائج يمكن تلخيصها بالشكل التالي:

- أ - من خلال دراسته لمواسم الأولياء وفي إطار اتجاهه الانقسامي، انتهى غيلنر (Gellner) إلى استخلاص نظريته المسماة بـ "البندلوم (Pendulum)"⁽²¹⁾، وفيها أكد على فكرة الولي الوسيط الفو طبيعي في العلاقة بين بشر- بشر، أو في إطار العلاقة بين البشر والله، وهنا سجلنا عودة غيلنر لبعض أفكار الفيلسوف ديفيد هيوم في فكرة ابتعاد الله للتعاليم الأرثوذكسية المجردة عن وعي الإنسان العادي، ما أدى حسه إلى إحلال فكرة الوسيط مع الله، فكان الولي، الذي هو من لحم ودم النبي وممثل للإسلام والرب الصغير واسطة للوصل بين الإنسان الشعبي والله البعيد التجريد.
- ب- في إطار تحقيق ذلك، أنتج الإنسان الشعبي حسب غيلنر ممارسات تقرّبه من الولي، فكان الموسم والوعدة طقوساً احتفالية جماعية تمارسها عدد من القبائل والجماعات المغاربية حول زوايا وأضرحة أوليائها بشكل دوري، يحيل ذلك في مضمونه حسب غيلنر إلى طقوس زراعية وعبادة الطبيعة، التي كانت متأصلة في بلاد البربر القديمة، من خلال عديد الاحتفالات والطقوس المحددة وفقا للزراعة وطقوس الخصب⁽²²⁾، وهنا نسجل نقطة التقاء بين انق rty سامية غيلنر والطرح الكولونيالي حول طقس الوعدة.

20 - ADDI Lahouari, Deux anthropologues au Maghreb: Ernest Gellner & Clifford Geertz, éditions des archives contemporaines, Paris, 2013, p 110, 114.

21 غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، ت. باقادر أبو بكر أحمد، دار المدار الإسلامي، ط1، 2005، ص 260.

22 أبو اللغد ليلي، «المجالات النظرية في أنثروبولوجيا العالم العربي»، ت. باقادر أبو بكر أحمد، من مجلة منبر الحوار: مجلة فصلية لحوار الأفكار والثقافات، السنة التاسعة، العددان 32-33 ربيع وصيف 1994، دار الكوثر، بيروت، 1994، ص 48.

ج - نجد الإشارة هنا بخصوص ذلك أن غيلنر تطرق من خلال كتابه "صلحاء الأطلس"، لعدد من هاته المعتقدات والطقوس بقبيلة آيت عطا وبعض القبائل المجاورة لها بالمغرب، وحتى في الجزائر من خلال مواسم أولاد نايل، وانتهى إلى اعتبار ذلك كجذور لطقوس وعبادات قديمة للطبيعة، وبالتالي ذلك يحيل حسبه إلى نوع من التقاطع بين عبادة الأولياء ومثل هاته الاعتقادات القديمة، خصوصاً منها المواسم وطقوس الاستسقاء وطلب المطر القديمة في الشمال الأفريقي زمن الجفاف خصوصاً⁽²³⁾.

د - في سياق ذي صلة، اعتبر غيلنر الأضرحة ومن خلالها المواسم خزانات موفرة للعديد من الحاجات للإنسان الشعبي، خصوصاً عندما يتعلق الحال بمجتمع قبلي أغلب أفراده أميين وصلتهم بالدين النصي ضعيفة، ذلك جعل من الضريح وموسمه حدث طقوسي مهم في حياة هؤلاء، وفي توفير حاجياتهم، سواء منها ذات الطابع الروحي والعاطفي والديني، أو الدنيوي وحتى المدنس من التوسط في حل النزاعات وضمان الحدود وإبرام المعاهدات، إضافة إلى اقتران الموسم في العادة بسوق موسمي ملبي للعديد من الحاجات الاستهلاكية، كل ذلك أدى حسبه إلى استدامة المواسم⁽²⁴⁾، مع ما توفره هاته الأخيرة حسبه من جو للترفيه واللعب والرقص، إضافة إلى الاستهلاك الباذخ خصوصاً لطبق الكسكسي بلحم الأضاحي، وعادة ما تختتم هاته المواسم بالزيارات المصاحبة بطلب الصحة والفرج والخصوبة⁽²⁵⁾.

هـ - من وجهة نظر أخرى لعبت هاته المواسم حسب غيلنر دوراً مؤكداً لهوية وحدود الجماعات الفاعلة واستمرارها، التي هي حسبه ذات طبيعة شفوية أو على الأقل تعبيرية وليس نصوصية (مكتوبة)، كما كان تكريم الأولياء أثناء هاته المواسم حسبه وسيلة للوصول إلى الهوية المسلمة للجزء السانج من السكان، الذي لا يمكنه الوصول بسهولة إلى العقيدة عن طريق الكتاب، ويفضل أن تكون الكلمة جسداً حياً⁽²⁶⁾، وبالتالي ذلك يؤدي حسبه دوراً مهماً في إدماج المجتمع داخل النسق الإسلامي العام، اعتباراً لأن جميع الأولياء

23 - GELLNER Ernest, les Saints de l'Atlas, op-cit, p 272.

- غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، نفس المرجع السابق، ص 286.

24 - نفس المرجع، ص 302.

25 - GELLNER Ernest, les Saints de l'Atlas, ibid, p 272.

26 - غيلنر إرنست، مجتمع مسلم، نفس المرجع، ص 298، 307.

أشرف في الاعتقاد المحلي لانحدارهم من الرسول (صلى الله عليه وسلم) (الذاكرة والهوية النسبية)، ومن ثمة فممارساتهم كلها تحيل إلى الإسلام⁽²⁷⁾.

4- المقاربات بعد الكولونيالية:

بالنسبة للمقاربات بعد الكولونيالية لاحتفالية الوعدة فهي بدورها متعددة ويمكن توزيع مجالها على جميع مورفولوجيا الجغرافية المغربية ومن طرف باحثين غربيين ومغاربة، ولكن للاختصار كذلك سنقف عند نماذج منها، والبداية مع بول باسكون (Paul Pascon)، الذي كان ولا يزال أحد أهم الدارسين لنسق الدين والمعتقد والتحويلات التي كان يعرفها مغرب الاستقلال.

لقد انطلق هذا الباحث في دراسته للمعتقدات وطقوس ومواسم الأولياء بالمغرب من سؤال جوهرى، حول أسباب استمرار مواسم الأولياء في إطار شمولى لاستمرار مجموعة من المعتقدات والممارسات الأخرى بالمجتمع المغربي، رغم مظاهر الحركة التصنيعية الملموسة، التي عرفتها مناطق عديدة من المغرب، وكذا انتشار مظاهر الحداثة كتوسع قاعدة المتدربين وارتفاع مستوى الخدمات الطبية⁽²⁸⁾ يضاف لها مواعيد الإسلام الأرثوذكسي، ورغم كل ذلك استمرت هذه المعتقدات والطقوس⁽²⁹⁾، إذن، إلى ما يعود ذلك؟

انتهى باسكون (P. Pascon) في تحليل ذلك إلى اعتبار أن مواسم الأولياء بالمغرب تعكس في العديد من مظاهرها تقاطعا لمعتقدات ما قبل اسلامية، أعادت إنتاج حضورها بعد الأسلمة، كما أن عامل التجريد بالنسبة له كان بدوره عاملا مؤثرا في ظهور عبادة الأولياء (الوسيط الحسي) ومواسمهم، رأيه هذا يبرز إعادة إنتاجه لبعض من فروض وأفكار المدرسة الكولونيالية (Doutté) والأنجلوساكسونية (Gellner)⁽³⁰⁾.

27 كلنير إنرست، «السلطة السياسية والوظيفة الدينية في البوادي المغربية»، من الكتاب الجماعي: الأنثروبولوجيا والتاريخ: حالة المغرب العربي، ت. السبتي عبد الأحد والفلق عبد اللطيف، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط2، 2007، ص 52-53.

28 منديب عبد الغني، «الأضرحة بالمجتمع القروي المغربي، آليات الوجود والاستمرار»، من مجلة التحويلات الاجتماعية والثقافية بالبوادي المغربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة : ندوات ومحاضرات رقم 102، الرباط، ط1، 2002، ص 135.

29 PASCON. Paul, « Mythes et croyances au Maroc », article pris du livre de : 30 ans sociologie du Maroc, bulletin économique et social, société d'études économiques, sociales et statistiques sous l'égide du Centre universitaire de la recherche scientifique, Rabat, imprimé Najah El-Jadida, Casablanca, 1986, p 81.

30 Ibid, pp 72, 79- 81.

بالنسبة للباحثة الفرنسية فاني كولونا (Fanny Colonna)، فإنها درست مواسم الأولياء بمنطقة الأوراس وبالضبط عند قبائل المصامدة، لأجل ذلك قامت هذه الباحثة بعمل بحثي كلل بإنجاز العديد من المقالات، التي نشرتها في العديد من الدوريات، ولكن كتابها، الذي نشرته سنة 1996م، تحت عنوان: "Les Versets de l'invincibilité : permanence et changements religieux dans l'Algérie contemporaine"، كان مهماً في هذا الجانب، حيث خصصت من خلاله فصلاً كاملاً لدراسة طقوس الموسم (شعائر الأولياء) التي كانت تمارسها قبائل المصامدة.

عموماً تنتهي فاني كولونا من خلال وصفها لهذه المواسم ومختلف مراحلها، باعتبارها الوعدة كطقس مركب يمتزج فيه الطقوسي (يحيل إليه كطقس زراعي قديم)، والاحتفالي والفرجوي والسحري (التنبؤ)، ومن ثمة يتميز هذا النوع من الطقوس حسبها بخصائص الجماعية، وهو من الطقوس التي دأبت القبائل المغاربية على إقامتها بشكل دوري حول قبر جدها الأول ومؤسسها، تسمى في العديد من المناطق بالزيارة، وتتم بالمصامدة مرتين في السنة الأولى تتوافق وفصل الربيع (طلب المطر)، والثانية في فصل الخريف بعد الحصاد، وتشمل حسبها تقديم الأضحية المذبوحة مع وجبة طعام يتم إعدادها بشكل جماعي في نفس المكان، ويتم توزيعها بين الحضور، حيث ذلك يشكل جزءاً مهماً من نسق هذا الاحتفال، يكلل ذلك بالحصول على بركة الولي⁽³¹⁾.

يعكس هذا، أنّ نظرة فاني كولونا أعادت إنتاج بعض عناصر المقاربة السوسيولوجية الكولونيالية لطقس الوعدة، حينما ربطت بين عبادة الأولياء ومواسمهم والطقوس الزراعية القديمة، التي كانت تمارسها الشعوب البربرية القديمة في الشمال الأفريقي، إذن، رغم محاولة القطيعة مع الفكر الكولونيالي وأطروحاته، نلاحظ أنّ فاني كولونا أعادت بدورها إنتاج واستعمال بعض المفاهيم، التي كانت سائدة حينذاك.

بالنسبة للدراسات العربية التي درست احتفالية الوعدة فإنها تتوزع عموماً بين منحيين الأول سوسيولوجي والثاني أنثروبولوجي، ولأجل الاختصار ارتأينا

31 COLONNA Fanny, Les Versets de l'invincibilité : permanence et changements religieux dans l'Algérie contemporaine, presses de la fondation nationale des sciences politiques, Paris, 1996, pp 174- 175.

أن نختر عددا منها، فكان أن شملت قراءتنا هاته لأعمال عديد الباحثين المغربيين مثل عبد الله حمودي وحسن رشيق، ومن الجزائر مع الباحثين نور الدين طوالي وراسمال عبد العزيز، وابن أحمد أحمد.

بداية، طرح كلاً من عبد الله حمودي وحسن رشيق الموسم من زاوية الأنثروبولوجية التأويلية، حيث الطقس هذا متضمن لحاوية من الرموز، التي من شأن تفكيكها، أن تؤدي لفهم لعالم اجتماعي وصورة للمجتمع الفاعل، فالمواسم -حسب عبد الله حمودي- عادة ما تكون موعداً لاحتفال شعبي يجمع العديد من الفئات الاجتماعية، ويمتزج فيه البدو بالحضر والرجال بالنساء، فهو تجمع يجمع الكل في شكل من التمازج بين الديني والقدسي والاحتفالي والفرجوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي⁽³²⁾.

بالنسبة لحسن رشيق، بدوره تطرق من خلال عديد أعماله إلى العديد من طقوس المعروف، والمواسم بالمغرب الأقصى، وفي ذلك عاد إلى كثير من الدراسات سواء منها، التي جاءت مع المرحلة الكولونيالية أو بعدها، حيث يستند إليها في التأصيل النظري لمعنى ومفهوم المعروف والموسم، والوعدة والموكار وغيره.

من ناحية الطرح المنهجي والمعرفي، لا يختلف حسن رشيق في بحوثه عن الذي قام به عبد الله حمودي، ما عدا أن دراسته كان بأكثر تفصيل وتوصيف للمعروف ومواسم الأولياء، وهنا نشير إلى أنه خصّص في ذلك عملين كاملين لدراسة طقس المعروف⁽³³⁾، والموسم، ونخص هنا بالذكر دراسته لموسم سيدي شمهروش ومن خلاله قبائل آيت ميزان⁽³⁴⁾.

بالنسبة للأعمال الجزائرية، التي درست الموضوع، فإننا سنكتفي بالإشارة إلى ثلاثة مهمة من حيث إسهاماتها في الكشف عن الكثير من العناصر والمضامين، التي تتضمنها طقوس الوعدة، وإجمالاً يعتبر كلٌّ من نور الدين طوالي وعبد العزيز راسمال وأحمد بن أحمد، أهم الباحثين الجزائريين، الذين حاولوا مقاربة

32 حمودي عبد الله، الشيخ والمريد، ت. جحفة عبد المجيد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 2010، ص 227.
33 RACHIK Hassan, Sacré et Sacrifice dans le haut Atlas MAROCAIN, éditions Afrique Orient, Casablanca, 1990.

34 رشيق حسن، سيدي شمهروش: الطقوسي والسياسي في الأطلس الكبير، ت. جحفة عبد المجيد ومصطفى النحال، أفريقيا الشرق، 2010.

هذا الطقس علمياً سواء أكان ذلك في سياق البحث السوسيو نفسي أم السوسيو أنثروبولوجي، أو حتى من خلال الفنون الشعبية.

بالنسبة لـ طواليبي نورالدين، فقد عالج طقس الوعدة في إطار مظاهر التدين الشعبي وممارساته بالجزائر في إطار التغيرات، التي عرفها الحقل الديني في كليته خصوصاً بعد الاستقلال، وكان من ضمن ما درسه في هذا التحوّل ما وصمه بالطقوس البدعية، وبالخصوص منها طقس الزردة والوعدة، ومن منظور سوسيو نفسي، حاول الباحث مقارنة هذا الطقس، كما وقف على اشتقاقاته اللغوية والاصطلاحية، وركز على معناه السوسيوولوجي، والتشعبات التي يعرفها المصطلح في العديد من المناطق الجزائرية⁽³⁵⁾.

بالنسبة للباحثين الجزائريين الآخرين الذين اشتغلوا جزئياً في الموضوع نذكر من هؤلاء، الباحث عبد العزيز راس مال، وقد عُرضَ عملان منشوران على مستوى مجلتي المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، العدد الأول، سنة 2003، (ص 31-59)، أو تلك التي نشرها بكراسات Cread العدد 79-80، سنة 2007، (ص 105-134)، وضمنها بحثين الأول حول "المعروف المحدد بالمجال: الخصائص والصور"، أما الثاني فكان حول "الركب والوعدة والمعروف"⁽³⁶⁾.

أما الباحث الجزائري المرحوم أحمد بن أحمد فقد قام بدوره بمجموعة من البحوث الأكاديمية حول الوعدة، بداية مع رسالة الماجستير ومعها مقال علمي حول الظاهرة، وانتهاء إلى أطروحة الدكتوراه، التي درس من خلالها طقس الوعدة في الغرب الجزائري⁽³⁷⁾.

35 طواليبي نور الدين، الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة وجيه البعيني، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1988، ص 92-151.

36 لأكثر تفصيل أنظر:

- رأس مال عبد العزيز، «الركب والوعدة والمعروف»، من مجلة Les Cahiers du CREAD, Revue publiée par le Centre de Recherche en Economie Appliquée pour le Développement, Alger, N= 79-80, 2007, pp 106-107.

- رأس مال عبد العزيز، «المعروف المحدد بالمجال: الخصائص والصور»، من مجلة سلسلة جديدة، العدد الأول: الجزائري وأسطورته، منشورات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ (CNRPAH)، الجزائر، 2003، ص 37-38.

37 بن أحمد أحمد، «ظاهرة الوعدة: تطورها وخصائصها الاجتماعية والثقافية» - وعدة سيدي يحي

خلاصة للأدبيات السوسولوجية والأنثروبولوجية (باختلافها) التي تناولت في طروحاتها احتفالية الوعدة، يمكن أن نقف عند طرحين أساسين وقفت عندهما هذه الدراسات، أولها البحث عن رابط بين البقايا الوثنية وإسلام البربر، باعتبار أن هذه الطقوس الاحتفالية هي نتاج ديني- ثقافي صاحب مرحلة الأسلمة، ومن ناحية أخرى ربط طرف آخر ذلك بأثر الإسلام الصوفي والشعبي ومجموعة مؤثرات أخرى مع التركيز في جزء من ذلك على الهوية والذاكرة الجماعية.

بالنسبة للطرح الثاني حاول التركيز على احتفالية الوعدة في بعدها الوظيفي، فهذا الطقس هو فرجوي احتفالي يتقاطع فيه المقدس والديني، الاقتصادي بالتجاري والسياسي، والثقافي والقيمي والروحي (الرمزي) بالاجتماعي والسياحي، ومن ثمة نحن أمام طقس احتفالي شمولي للعديد من التظاهرات الاقتصادية والاجتماعية والروحية والسياحية وغيرها، وهو ما يمكن أن يعبر عن الدور الوجودي والاستمراري لهذا الطقس في الجانب التنموي المحلي بالأساس.

سابعاً: الوعدة والتنمية المحلية: الأدوار والعلاقات:

ما نقصده من هذا العنوان الفرعي، أنّ الوعدة كطقس وكظاهرة اجتماعية، تؤدي ويؤدي من خلالها عددا من الوظائف والأدوار للمجتمعات الفاعلة لها، قد تتعدد على عدد المستويات، مثلما يكون في العادة لهذه الوظائف والأدوار تبعا لرؤية ميرتون (R. Merton) وجهين مختلفين الأول معلن وظاهر، أما الثاني فعادة ما يكون ضمني كامناً في الإجابات والكشف عنه صعب، يتطلب من الباحث الربط بين بعض الأبعاد والمؤثرات الممكنة، لاستكشاف فواصل البحث وإظهار وجهه الخفي أو المتخلف عن الإجابات.

إذن، الوعدة هي الظاهرة المحملة بالعناصر الوظيفية، وبمجموعة أدوار تؤدي خلالها ويستفيد منها مختلف الفاعلين فيها، الشيء الذي عدّ استمرارها واستدامة ممارستها شعبياً إلى اليوم، ومن ثمة كانت ولا تزال الوعدة رغم اختلاف

بصيرة-»، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفنون والتقاليد الشعبية، اشراف حاجيات عبد الحميد، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 1996-1997.
- بن أحمد أحمد، «الوعدة بين الضوابط الدينية والممارسة الاجتماعية»، مقال ضمن مجلة الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، العدد الثاني، المجلد الثاني، نشر كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، نوفمبر 2001، ص 25-39.

الدلالات، والأهداف، والرهانات، كنسق وظائفي يمارس من خلال هؤلاء رمزية البقاء والاستمرار والولاء والوفاء للأولياء ولتقاليد وتراث الأجداد، مع محاولات الاحتفاظ به، وترسيخه في الذاكرة الشعبية المحلية كتعبير دوري متكرر ومعلم لهوية مميزة لهذه الجماعات والقبائل، مع ما يوفره هذا الطقس من سبل للتجمع واللقاء للحموي، ومن فرص سانحة للاندماج بين السياسي والثقافي والاقتصادي، ومنه يبدو للعيان أن استمرارية هذا الطقس ووجوده لم يكن اعتبارياً ودون معنى، وإنما محموله الوظيفي وأدواره المهمة في حياة الأفراد والجماعات والقبائل ومعها السلطة السياسية، جعل الجميع يصهر على استدامته، لجني كل طرف ثمار دوافعه وrehاناته الكامنة والظاهرة وما يريد من ذلك.

ولعل الجانب التنموي يبقى أحد الوظائف المهمة والأدوار التي تؤديها الوعدة، فإلى جانب ما توفره خلال فترة انعقادها من سوق لتصريف مختلف المنتوجات والسلع، وكذا التجارة الروحانية والبركاتية من خلال التوافد الهائل للزوار والمريدين وعطاياهم، فإنها من ناحية أخرى تبقى طقس دافعا للحفاظ والاستثمار في مختلف الصناعات التقليدية المرتبطة به، وعلى طول الموسم، باعتبار أن التحضير له يقتضي الوقت الكافي، فصناعة السروج والزرابي وغيرها تحتاج إلى زمن، وهذه الصناعات تجد تصريفها مع ألعاب الفروسية المنتشرة خلال فترة الوعدة وكذا الزرابي التي يحتاجونها المشاركون لاستقبال الضيوف وتزيين الخيام والمنازل.

اختصاراً سنحاول تفكيك هذا الدور على أربع مستويات أساسية، هي:

1 - الوعدة والتنمية في بعدهما الاجتماعي:

- الوعدة كطقس تكتسي طابع تعاقدية اجتماعي، ذا دور لحموي وربط بين مختلف الأفراد والجماعات المشاركة والحاضرة للموسم.
- الوعدة أيضاً تسهم في إعادة تشكيل المفكك اجتماعياً، بعدما تشتت بفعل الحراك الاجتماعي والعمل الصناعي والهجرة والنزوح الريفي.
- كل هذا يسهم تنموياً في المنطقة من خلال عودة أبنائها إليها أو حتى بحضور وإبرام تعاقدات مع مناطق وجماعات أخرى، وكذا تعاونهم وقيامهم بالتوزيع في الحرث والزراعة، وتنمية مجالتهم من خلال الاستثمار في تنمية مواردها إلى غير ذلك.



الصورة (1،2،3): الغذاء الجماعي بالوعة
المصدر: العمل الميداني للباحث

2 - الوعدة والتنمية في أبعادهما الثقافية والتراثية والفرجوية:

- الوعدة فضاء مهم لشحن وإعادة شحن الهوية المحلية بما توفره من ظروف رامزة ومحينة لهوية وتراث الأسلاف، كما أن استمرارها الدائم عامل ذا دور مهم في بناء وتشديد روابط الذاكرة والتذكر بين السلف والخلف.
- تجلّي هذه الهوية والذاكرة والتواصل والتراث في المعاش الثقافي لهؤلاء يبرز من خلال الحضور اللافت لكل ما يحيل إلى ذلك من صنائع تقليدية وعادات وتقاليد متوارثة وألعاب ورقص وفنطازيا خلال الوعدة، وكل هذا يسهم من ناحية أخرى في التغذية، والاستثمار في التنمية المحلية بالمنطقة.
- الوعدات في جانبها الفرجوي هي نسق لصناعة كثير من الفرجة والمتعة، فهي بالنسبة لأفراد هذه المجتمعات أشبه بالمرح الاحتفالي والفرجوي، الذي يمتزج فيه الفرح والافراط في اللهو والتسلية والاستهلاك، ويختلط فيها العجيب والخارق بالفرجوي، فالإنسان المحلي وجد في الوعدة المناسبة، التي تمكنه من تجاوزه للروتين اليومي وشعور الفقدان والضياع، كما هي السبيل لتحرره من اليومي والعادي ومن أزمات الحياة.
- هذا الدور الفرجوي جعل من موسم الوعدة بالمنطقة مقصداً لعشرات الآلاف من الأفراد، والسائحين، الذين يبحثون عن عناصر الفرجة والاستمتاع والسياحة الروحية، وهو ما انعكس بشكل إيجابي على تنمية بقية القطاعات خصوصاً منها التجارية والخدماتية.



الصورة (4،5،6): طقوس الفنتازيا والرقص الشعبي والحلقة بالوعدة
المصدر: العمل الميداني للباحث

3 - الوعدة والتنمية في بُعدهما الاقتصادي:

- الوعدة هي ذلك السوق الموسمي والسنوي، الذي ينظم موازاة مع الاحتفال بالولي، عادة ما يؤدي دوراً محركاً وديناميكياً للحركة الاقتصادية والتجارية بالمنطقة، ولو بصفة استثنائية تنتهي مع انتهاء الوعدة، حيث يعرف حضوراً وعرضاً للسلع والمنتجات المختلفة، ما يسهم في تنشيط الحركة التبادلية بين الوافدين والتجار، كما يعرف الموسم استهلاك وبيع مئات الخرفان من طرف المشاركين، وهذا بدوره يشكل محركاً مهماً للاقتصاد المحلي الرعوي أساساً بالمنطقة.
- قديماً كانت المنطقة ملتقى للطرق التجارية، بين الشمال والجنوب والغرب ومع المغاربة خصوصاً، واليوم وإن عرف ذلك تحولاً نوعياً، فإنّ الوعدة لا تزال تحافظ على بعض ذلك، وتؤدي دور المتنفس للكثير من التجار والناقلين أصحاب سيارات الأجرة والحافلات وكذا الشاحنات، إذ يسهم هؤلاء في نقل أكبر عدد من الحضور والمشاركين ومسلّزمتهم من خيم وخيول... الخ خلال أيام الوعدة.
- إذن، الوعدة بالنسبة للعديد من الحضور والمشاركين هي مناسبة سانحة لممارسة التجارة المادية والروحية، حيث الرأسمال المادي عادة ما يقدم في شكل هبات وعطايا وصدقات (الزيارة محلياً)، والتي يرجى من تقديمها صرفها في شراء بعض المواد، تحقيق وتحصيل للرأسمال الرمزي والبركاتي للولي، حيث "كل نقل للبركة يترافق دائماً بتبادل نقدي"³⁸، كما أنّ المخيال

38 SIMENEL Romaine, « le Grande commerce de la baraka : les Moussem du sud Marocain », article pris du livre de : Mondes et places du marché en Méditerranée : formes sociales et spatiales de l'échange, Editions Karthala, Paris, 2011, p 21

الشعبي عادة ما ينظر للكثير من السلع المعروضة في هذه المناسبة أنها سلع متشعبة ببركة الولي، ومن ثمّة تكون الوعدة فضاء ممتازاً للتداخل بين "الصفقات التجارية والصفقات الروحية"³⁹ (ومجالاً لتمفصل الاقتصادي مع القدسي، حيث تحقق "تجارة البركة" رواجاً لا تعرفه فترات السنة الأخرى، فكل مستلزمات الهدية والزيارة متوفرة على طول المساحة المحيطة بالصريح (شموع، بخور، حلوى...))، كما أن المشرفين على الأضرحة (المقدمين محلياً) ذاتهم يمارسون بدورهم تجارة البركة عبر وسائط مادية كالعلام (قماش أخضر من الصريح...) نظير المقابل المادي، الذي يجنونه من الزوار، "وبفضل ذلك يشكل الموسم إضافة إلى بعده الطقوسي البارز طقساً جماعياً ومركباً للأبعاد الاجتماعية والرمزية والاقتصادية"⁽⁴⁰⁾.

وبذلك تؤدي الوعدة وظيفة ودور اقتصادي محرك للنسق التجاري بين الأفراد والجماعات، وموفرًا لفرص الاستهلاك البازخ، الذي يتخلل مثل هذه المناسبات، حيث جميع الفئات تجد متعتها في الاستهلاك، خصوصاً منهم فئة الأطفال، التي تخصص لها فضاءات مهمة من السوق لعرض مختلف اللعب، وبذلك الوعدة اليوم هي سوق كبيرة تجمع الجميع في شكل من التواصل والحوار المتبادل بين الجديد والقديم، التقليدي والعصري، الماضي والحاضر، الروحي والمادي، البركاتي والعيني، وتبقى معها التجارة مع الولي في المخيال الشعبي المحلي أكثرها درأً للريح وجالبة للخير والنجاح، وكل هذا يسهم بشكل أو بآخر في تنمية محلية ولو ظرفية تنتفع بها ساكنة المنطقة.



الصورة (7،8،9): فضاءات التجارة والتسوق بالوعدة
المصدر: العمل الميداني للباحث

39 SIMENEL Romaine, Ibid, p 21.

40 (الزاهي نور الدين، المقدس والمجتمع، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2011، ص 87-88.

4 - الوعدة والتنمية في بُعدهما السياحي والديني:

- تعرف الوعدة تقديم ما يسمى بالصدقات أو ما يسميه أهل المنطقة بالمعروف، كما أنها تحمل معاني التكافل وتضطلع بإصلاح الشأن العام وذات البين، وفك الخصومات، ومساعدة المساكين، وفي جمع التبرعات وبناء المساجد والزوايا وغيرها.
- المخيال الشعبي المحلي يبقى مشدوداً إلى سلطة الأولياء، كما لا يزال يشعر ويعتبر أن "الموسم (الوعدة) هو الزمن الأكثر ملاءمة للظفر بالنفحات القدسية والحصول على بركة الأولياء"⁽⁴¹⁾.
- إذن، الوعدة بالنسبة للمجتمع المحلي فرصة سانحة "لتجارة البركة ولتحقيق صفقات روحية"⁽⁴²⁾، ولذلك يقصد سنوياً إلى أضرحة أولياء المنطقة آلاف الزوار والمريدين، مما يسهم في رواج سياحي ذا طابع ديني بالمنطقة، وهو ما ينعكس على القطاعات الأخرى (الاستهلاكية - التجارية والخدماتية).



الصورة (12): ضريح سيدي الطاهر جد أولاد ورباش

الصورة (10،11): ضريح سيدي بن صفية جد أولاد نهار
المصدر: العمل الميداني للباحث



الصورة (13،14): طقوس التضحية بالوعدة
المصدر: العمل الميداني للباحث

41 منديب عبد الغني، الدين والمجتمع: دراسة سوسولوجية للتدين بالمغرب، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2006، ص 148.

42 SIMENEL Romaine, op-cit, pp 215, 217.

د. بوشمة الهادي



الصورة (15،16،17): طقس الزيارة بالوعدة



الصورة (18،19،20): طقس تجديد غطاء (علم) الضريح، وطقوس المعروف
المصدر: العمل الميداني للباحث

خلاصة:

حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نقف عند الدور الوظيفي لاحتفالية الوعدة في بعدها التنموي المحلي، ولأجل طرح ذلك في سياقاته وبناءه النظرية والميدانية، عملنا على تقديم تعريفي لهذا الطقس، الذي تعرفه العديد من مناطق شمال أفريقيا، كطقس احتفالي ودوري (موسي) مرتبط برزنامة زراعية وفصلية (الخريف والمولد النبوي) ويعقد في الغالب حول أضرحة الأولياء كأماكن لتجلي القدسي، تتقاطع فيه العديد من الأبعاد الاحتفالية والفرجوية، القدسية بالدنيوي والاقتصادي بالروحي والرمزي والثقافي بالاجتماعي وغير ذلك.

لتوطيد هذا الطقس الاحتفالي نظريا، عملنا على بحثه في سياق الأدبيات والطروحات السوسيولوجية والأنثروبولوجيا الكولونيالية منها وبعد الكولونيالية، التي حاولت في مجملها طرحه في إطار فروض إما معدة سلفا كما هو حال الأطروحتين الاستشراقية والكولونيالية، أو بحثه في إطار ربطه بالتصوف الطرقي والاسلام الشعبي المغربي، مع تركيز جزء من ذلك حول طروحات هذه المدارس حول علاقة هذه الطقوس الاحتفالية ببعدها الوظيفي في جانب التنمية والاقتصادي المحلي (الرعوي والزراعي والصنائع التقليدية).

ختاماً كان تركيز البحث عن علاقة الوعدة بالتنمية، حيث طرحنا ذلك من خلال عدد من الأبعاد (الاجتماعية والثقافية والتراثية والفرجوية والاقتصادية، والسياحية الدينية)، التي بينت الدور الوظيفي المهم للوعدة، الذي وجدت من أجله وتستمر له، حيث يستثمر عدد من الفاعلين في ذلك، منهم الجماعات المحلية والفاعل السلطوي المحلي والسلطة المركزية، إذ تعتبر هذه المناسبة ساحة مركبة ومتنفس بتمظهرات متعددة في جانبها الاقتصادي والتجاري والروحي والمجتمعي والسياحي.

المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم وزنه السياسي

دراسة في الجغرافيا السياسية

د. أحمد مبارك بابكر¹

الإطار المنهجي للبحث

المقدمة:

تعتمد قيمة الدولة من ناحية سياسية على مقومات عديدة يمكن أن نوجزها في المقومات الطبيعية والبشرية والاقتصادية وقد تناول هذا البحث دور المقومات الطبيعية للدولة في تقييم وزنها السياسي.

مشكلة البحث وأسئلته:

تبرز مشكلة البحث من خلال السؤال التالي:

هل لعبت المقومات الطبيعية لدولة السودان دوراً في تقييم وزنه السياسي؟

فروض البحث:

لعبت المقومات الطبيعية المتمثلة في الموقع والمساحة والشكل والتضاريس والمناخ في السودان دوراً كبيراً في تقييم وزنه السياسي.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى معرفة دور المقومات الطبيعية في تقييم الوزن السياسي للسودان.

حدود البحث:

أ. الحدود الزمانية: جمهورية السودان من 2010م إلى 2015م.

ب. الحدود المكانية: جمهورية السودان والتي يمكن تحديدها عن من خلال

موقعين:

1. الموقع الفلكي بين خطي الطول $21^{\circ} 49'$ ق - $38^{\circ} 34'$ ق ودوائر العرض 8

23° ش - $8^{\circ} 45'$ ش⁽²⁾

1 كلية التربية شعبة الجغرافيا، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

2 وزارة الإعلام: 2011: السودان أرض الفرص، حقائق وأرقام، ص 11

المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم وزنه السياسي

2. الموقع الجغرافي: يقع شمال شرق أفريقيا ويطل على البحر الأحمر وتجاوره سبع دول من الشمال مصر ومن الشمال الغربي ليبيا ومن الشرق اريتريا ومن الجنوب الشرقي أثيوبيا ومن الغرب تشاد ومن الجنوب الغربي أفريقيا الوسطى من الجنوب دولة جنوب السودان. أنظر خريطة رقم (1).

مناهج البحث: استخدم الباحث المناهج التالية:

1. المنهج التحليلي: لدراسة قوة الدولة، يهتمُّ هذا المنهج بدراسة تحليلية لمكونات الدولة وإظهار نقاط القوة والضعف بها وإيضاح العلاقة التي تربط أجزائها المرتبطة بالدول المجاورة وهو يعتمد على دراسة كل من المقومات الطبيعية والبشرية (3).

2. في استخراج النتائج المنهج العلمي المعاصر (الاستقرائي والاستنباطي).

مصادر جمع المعلومات:

تشمل المصادر والمراجع والكتب الخاصة بموضوع الدراسة (الجغرافيا السياسية).

خريطة رقم (1) موقع جمهورية السودان



المصدر: الإدارة العامة للمساحة

3 فائز محمد العيسوي، 2000، الجغرافيا السياسية المعاصرة، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص 48.

المبحث الأول: المقومات الطبيعية للدولة وأثرها في تقييم وزنها السياسي

وهي تشمل موقع الدولة ومساحتها وشكلها كما تشمل التضاريس والظواهر المناخية والنباتية والموارد الطبيعية.

1- الموقع: يعتبر من أهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في تحديد موقع الدولة وسياساتها الداخلية والخارجية ويترتب عليها اتخاذ كثير من القرارات وظهور كثير من النتائج العسكرية والاقتصادية والاجتماعية⁽⁴⁾
ندرس الموقع الفلكي من ناحية الآتي⁽⁵⁾:

أ الموقع الفلكي

ب الموقع بالنسبة لليابسة والماء.

ج الموقع بالنسبة للدول المجاورة.

أ/ **الموقع الفلكي**: هو الموقع بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض وموقع دوائر العرض أهم من خطوط الطول لأنه يؤثر في المناخ الذي يؤثر في مقدرة الإنسان على بذل الجهد كما يحدد الموقع الفلكي نوع المناخ السائد لذلك البلد نجد مثلاً الدول العظمى والتي تقع في منطقة معتدلة تساعد درجة الحرارة على العمل في كل فصول السنة.⁽⁶⁾

أما في الجهات القطبية والاستوائية نجد أنّ المناخ البارد أو الحار يؤثر على الإنتاج الزراعي والرعي والغابي ولذلك يكون توقع نشوء دولة عظمى في هذه المناطق صعباً. أما الآن نتيجة للتقدم التكنولوجي أصبح يمكن التغلب على هذه الصعوبات.⁽⁷⁾

ب/ **الموقع بالنسبة لليابسة والماء**: يلعب دوراً كبيراً في تحديد قيمة الدولة السياسية لأنّه يكسبها شخصية خاصة، ويساعد على تحديد طبيعة مصالحتها وحالتها الاقتصادية والسياسية. ويمكن أن نقسم الدول بالنسبة لهذا الموقع إلى دول قارية ودول بحرية. الدول القارية هي التي تطل على بحر وتكون محبوسة وتسمى بالدول الحبيسة انظر خريطة رقم (2) تحيط بالدول

4 صباح محمود وآخرون (د. ت) الجغرافيا السياسية بغداد، ص 29.

5 عبد الرزاق عباس حسن 1976م الجغرافيا السياسية، بغداد ص، 273.

6 متولي ابو العلا (د. ت) الجغرافيا السياسية، القاهرة، ص 58.

7 محمد محمود الديب 1973م، الجغرافيا السياسية، القاهرة، ص 48.

الحييسة أكثر من دولة مجاورة وهي تقع تحت رحمة جيرانها وخاصة الدول المطلة على البحر. وتعاني هذه الدول من مشكلات اقتصادية ومن أزمات العزلة وقد تسعى هذه الدول لإقامة اتحاد جمركي أو اتحاد سياسي أو الوصول إلى البحر عن طريق ممرات من أرض الدول الساحلية من أمثلة هذه الدول الحييسة تشاد.⁽⁸⁾

أما الدول البحرية التي تطل على البحر بواجهة بحرية واحدة أو أكثر وقد صنفت الدول على أساس البحار والمحيطات التي تشرف عليها إلى:

1. دول تقع على بحر واحد ويسود هذا الصنف على دول أمريكا الجنوبية وإفريقيا
2. دول تقع على بحرين (المكسيك).
3. دول تطل على ثلاثة بحار (الولايات المتحدة).
4. دول تقع على بحار متعددة (الاتحاد السوفيتي).
5. دول جزرية (اليابان).

تتوقف قيمة الجبهة البحرية على نوع البحر المطلة عليه إذا كان مفتوحاً أو شبه مغلقة وكذلك على الظهير الخلفي للساحل، فالبحار المفتوحة تكون قيمتها أكبر إذا قورنت بالمغلقة وكذلك أهمية الظهير تكون كبيرة إذا لم يكن هناك فاصل كالجبال والصحراء بينه وبين داخل الدولة كما في ساحل البحر الأحمر في مصر والسواحل التي لم تعترضها مثل هذه العقبات يمكن إقامة موانئ عليها.⁽⁹⁾

تمتاز البيئات الساحلية من الناحية الحضارية بأنها أرقى من الداخل لأن السواحل ترتبط دائماً بالعالم الخارجي وتيارات الحضارة الجديدة ومحاور التقدم وتشارك دائماً في التقدم الحضاري وفي الحضارة العالمية ويتوقف ذلك على طبيعة الساحل وظهيره ويؤثر الموقع الساحلي في اقتصاد الدولة وفي الدور الذي تلعبه وفي مصالحتها المختلفة.

يؤثر الموقع البري والبحري في نوع الدفاع الذي تعتمد عليه الدولة فالدول البحرية تركز اهتماماتها أكثر على بناء الأسطول التجاري والحربي والغواصات في

8 حسن عبد القادر صالح 1973م، المظهر الجغرافي لقوة الدولة، عمان، ص 6.

9 عبد الرازق عباس حسين 1976م، مرجع سابق، ص 278 - 279.

حين أن الدول القارية تركز بصورة أبر على إعداد الجيوش البرية⁽¹⁰⁾

ج / الموقع بالنسبة للدول المجاورة: يتركز الاهتمام هنا على الأثر الذي يتركه

الموقع الجغرافي على العلاقات بين الدول المجاورة ومجاورة الدول بعضها البعض تؤثر في علاقتها في السلم والحرب على حد سواء ويعتبر الجانب الاستراتيجي لموقع الدولة وتأثير في جغرافيتها السياسية أكثر جوانب المواقع حساسية. لأن وقوع دولتين كبيرتين متجاورتين أحدهما في مواجهة الأخرى من شأنه أن يوجه السياسة الخارجية والداخلية لكل منها وجهة دفاعية.⁽¹¹⁾

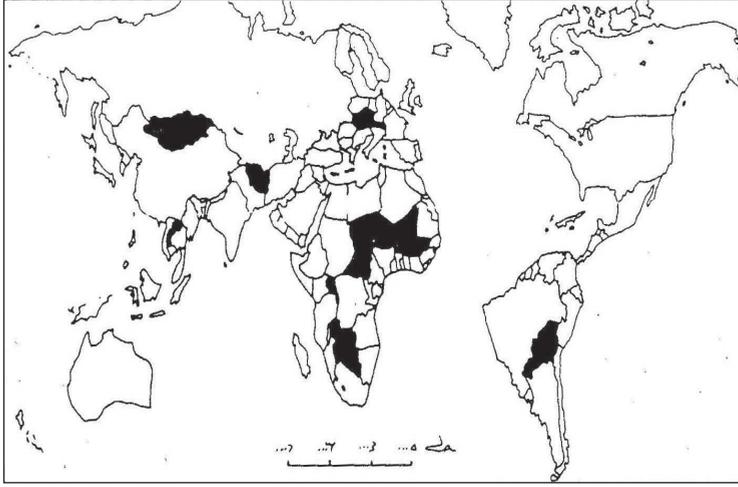
وعلى العكس مما تقدم فإنّ لموقع الجوار آثار جيدة إذا كانت العلاقات بين الدولتين أو أكثر علاقات حسنة فمثلاً نجد أنّ الجوار والحدود الطويلة المشتركة بين كندا والولايات المتحدة الأمريكية ساعدت على تنشيط العلاقات الاقتصادية والسياسية والحضارية بينهما. وقد شجع عامل الجوار والتقارب المكاني وسهولة الاتصال على تصدير المواد الأولية من كندا إلى الولايات المتحدة وفي الاتجاه المعاكس تنساب رؤوس الأموال الأمريكية إلى كندا مما ساعد على أعمار أراضيها واستغلال مواردها وحفزت عملية تصنيعها وبصورة عامة نجد أنه كلما كثر عدد الدول المجاورة زادت احتمالية ظهور المشاكل بينهما في أي وقت من الأوقات. كما يظهر التأثير الجيوبولوتيكي لموقع الجوار على العلاقات الدولية إذا إن هنالك تباين بين الدول من حيث القوة. فإذا تجاورت دولتان أحدهما أقوى بكثير من الأخرى فإن هذا يعني خضوع الدولة الضعيفة لتأثير الدولة القوية. وفي هذه الحالة تضطر الدولة الضعيفة إلى تبني سياسة خارجية تتفق مع سياستها جارتها القوية أو أنها تصبح عرضة لأطماع تلك الدول.⁽¹²⁾

10 محمد محمود الديب 1973م، مرجع سابق، ص 48 - 51.

11 أمين محمود عبد الله 1977م، أصول الجغرافيا السياسية، القاهرة، ص 24.

12 عبد الرازق عباس حسين 1976م، مرجع سابق، ص 294 - 295.

المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم وزنه السياسي



خريطة رقم (2) الدول الحبيسة والدول البحرية

المصدر صباح محمود وآخرون الجغرافيا السياسية ص 6

2 / مساحة الدولة : (13)

يتأثر الوزن السياسي للدولة بالمساحة التي تشغلها ولا تستطيع الدولة أن تكون عظيمة إلا إذا كانت كبيرة المساحة ويرجع السبب في ذلك أن الدولة ذات المساحة الصغيرة مهما ارتفع مستواها الاقتصادي والحضاري فإنها تكون دائماً صغيرة في نطاقها الإقليمي المحدود. يمكن تصنيف الدول على حسب مساحتها إلى تصنيف هارم انظر جدول رقم (1)

جدول رقم (1) تصنيف الدول على أساس المساحة كما أقترحها هارم

التصنيف	المساحة بالكيلو متر المربع
دول كبيرة جداً	أكثر من 2,500,000
دول كبيرة	2,500,000 - 3,50,000
دول متوسطة	3,50,000 - 150,000
دول صغيرة	150,000 - 25,000
دول صغيرة جداً	أقل من 25,000

13 صباح محمود وآخرون (د.ت)، مرجع سابق، ص 36 - 39.

أما التصنيف الآخر تصنيف باونور كما وجد في الجدول رقم (2)

جدول رقم (2) تصنيف الدول على أساس المساحة كما أقرتها باونور

التصنيف	المساحة بالكيلو متر المربع
دول عملاقة	أكثر من 6,000,000
دول ضخمة	6,000,000 - 2,500,000
دول كبيرة جداً	2,500,000 - 125,000
دول كبيرة	125,000 - 650,000
دول متوسطة	650,000 - 250,000
دول صغيرة	250,000 - 125,000
دول صغيرة جداً	125,000 - 25000
دول قزمية	أقل من 25000

يمكن أن تستفيد الدولة كثيراً من مساحتها الكبيرة إذ تتهياً أمامها لأن تجد نسبة أعظم من الموارد الطبيعية داخل حدودها الإقليمية. وأن اتساع مساحة الوحدة السياسية يعني تنوعاً في الأقاليم النباتية والصورة النباتية وبالتالي ينعكس ذلك على تنوع الإنتاج وتوفره ويؤدي ذلك في النهاية إلى ظهور الوحدة السياسية كقوة لها وزنها وقيمتها إذ استغلت مواردها استغلالاً حسناً والأمثلة على ذلك واضحة في الاتحاد السوفيتي سابقاً والولايات المتحدة الأمريكية.⁽¹⁴⁾

ولا شك في أن هذا التنوع في الثروة الطبيعية المحتملة الوجود والإنتاج النباتي والصناعي يساعد على الوصول إلى ظاهرة التكامل الاقتصادي بين الأقاليم المتباينة في الدول ومن ثم تحقيق درجة معينة من الاكتفاء الذاتي كما تتوفر للدولة قدرة على امتصاص الزيادة في السكان وبالتالي تستوعب الدولة أعداداً كبيرة من السكان. أما من الناحية العسكرية فقد تعتبر المساحة الواسعة ميزة دفاعية كما يطلق عليها العسكريون الدفاع في العمق أو العمق الإستراتيجي. حيث يصبح من السهل على الجيوش أن تتراجع في وجه العدو. وتربح الوقت الذي يمكنها من القيام بمختلف الحركات العسكرية والهجومية والدفاعية. وقيمة المساحة الفعلية للدولة تكون وثيقة صلة بجملة عوامل معينة منها:⁽¹⁵⁾

14 حسن عبد القادر صالح (1976م)، مرجع سابق، ص 59.

15 نفس المرجع، ص 17.

كثافة السكان فيها وتوزيعها بالشكل الذي يتناسب مع الحاجة الملحة لاستغلال الموارد المتاحة.

- أ. حجم الموارد الطبيعية وتنوعها وقدرة الناس على استغلالها+لها استغلالاً اقتصادياً متوازناً لتلبية احتياجاته ولتحقيق فائض يشترك في التجارة الدولية.
- ب. مرونة المواصلات بالقدر الذي يحقق الخدمات المتباينة لأنّ تتم الاتصالات بين الأجزاء المتباينة في الوحدة السياسية بعضها مع البعض الآخر. هذا بالإضافة إلى مرونة المواصلات التي تشترك بها كل التحركات التي تناسب دورها الفعال في المجتمع الدولي.

هذا معناه أن القيمة الفعلية للمساحة التي تشغلها الدولة لا تقاس بعدد كيلومترات المربع ولكن تقدر بما يتوفر فيها من مصادر طبيعية وطاقات بشرية تستغلها استغلالاً يفي تلبية حاجات البلاد الاقتصادية والسياسية والعسكرية والثقافية.

3/ شكل الدولة:

تأخذ مساحة الدول أشكالاً متعددة. والشكل هو من العوامل التي تؤثر في العلاقات الخارجية والسياسية والاقتصادية وفي التطور الداخلي للوحدات السياسية وفي كيفية أداء وظائفها ويؤثر شكل الدولة في الدفاع عن أراضيها. فعلى الرغم من تعدد الأشكال فمن الممكن أن نميز الأصناف العامة الآتية على أساس تأثيرها على سلوك الدولة الداخلي وعلاقتها الخارجية.⁽¹⁶⁾

الشكل المنتظم:

يسمى بالشكل الهندسي الذي يتخذ شكلاً دائرياً أو مربعاً أو معيناً ويسمى بالشكل المثالي خاصة إذا كانت العاصمة فيه تحتل موقعاً مركزياً أما الآن فإنّ هذا الشكل لم يعد له أهمية إستراتيجية نتيجة للتفوق المذهل في القوة الجوية والأسلحة النووية ولكن قبل أن ترتقي وسائل وأساليب الحرب كان اعتماد الدولة على شكلها وحجمها، وعلى الرغم من ذلك فلا يزال شكل الدولة له قيمته وأثره في النمو الداخلي وفي أداء الدولة لوظائفها. والشكل المنتظم الدائري بشكل خاص يترتب عليه أن يكون طول حدود الدولة قصيرة بالنسبة لمساحتها. وهذه هي الميزة التي يتمتع بها الشكل المنتظم عن غيره من الأشكال الأخرى حيث تكون النقط التي تتعرض منها

16 أمين محمد عبد الله 1977م، مرجع سابق، ص 46.

الدولة للغزو الخارجي قليلة.⁽¹⁷⁾

الشكل المنتظم يوفر لجيوش الدولة المساحة الكافية التي يمكن أن تتقهقر فيها إذا استدعت الظروف ذلك. ويعمل هذا الشكل على تسهيل إنشاء شبكة نقل ومواصلات جيدة بالدولة. في وقت السلم تسهل حرة النقل والتجارة في الدول ذات الشكل المثالي. كما أنه يمكن للحكومة أن تتحكم في كل أجزاء الدولة وبالتالي تحفظ الأمن في ربوعها أمّا في حالة الدفاع فإنّ الشكل المثالي هذا يساعد على سرعة نقل الجيوش والمعدات إلى أي مكان في الدولة تتعرض للغزو الخارجي. كما أنّ الشكل المنتظم يساعد على انصهار سكان الدولة في بوتقة واحدة ويؤدي هذا إلى تسهيل عملية اشتراك هؤلاء السكان في الإيمان بأهداف واحدة وبالتالي تقوى المصالح المشتركة التي تربطهم ويعمل هذا وذلك على زيادة النمو القومي في الدولة⁽¹⁸⁾ الشكل المستطيل: هو الذي يبلغ فيه طول الدولة ستة أضعاف عرضها في المتوسط ولهذا الشكل تبعات اقتصادية وإستراتيجية. إذ إنّ شدة الاستطالة تؤدي إلى تنوع البيئات الطبيعية، كما أنها تعرقل حركة النقل والمواصلات بها، كما تعمل على إطالة الحدود السياسية لها مما يضاعف من احتمال تعرضها للخطر.⁽¹⁹⁾

أمّا في حالة الدفاع فإنّ الدولة المستطيلة تحتاج إلى حماية حدود طويلة يقع جزء كبير منها بعيداً عن مركز إمدادات وتجهيزات متطلبات الدفاع ومن مميزات هذا الشكل وفوائده هي: إمكانية تمتع الدولة بأكثر من إقليم طبيعي. مما يساعد على التخصص الاقتصادي بين المناطق المتباينة ومن ثم ميزة ظهور الاعتماد المتبادل بين تلك المناطق فيما يتعلق بالموارد الطبيعية والنشاطات الاقتصادية المترتبة عليها.⁽²⁰⁾ الشكل المجزأ أو المتسنن: تماس الدولة يعتبر عاملاً من عوامل تمكين الدولة. أمّا تقطع الدولة يخلق كثيراً من المشاكل السياسية والعسكرية والاقتصادية فتعتبر تجزئة الدولة ضعفاً إستراتيجياً إذا يصعب التحكم في وقت السلم في كل الأجزاء. ما يصعب الدفاع عنها في وقت الحرب. ويضعف تماسك الناس في الدول المجزأة الأمر الذي يؤدي إلى ضعف روح الوحدة اللازمة لنشأة الدولة وبقائها.⁽²¹⁾ (الديب 1973: 91) وقد تكون التجزئة برية أو بحرية.

17 عبد المنعم عبد الوهاب 1977م، جغرافية العلاقات السياسية الكويت، ص 96.

18 محمد محمود ابراهيم الديب 1973م، مرجع سابق، ص 96.

19 نفس المصدر، ص 86.

20 عبد الرازق عباس حسين 1976م، مرجع سابق، ص 32.

21 محمد محمود ابراهيم الديب 1973م، مرجع سابق، ص 91.

1. التجزئة البرية كما في باكستان الشرقية والتي تحولت إلى دولة بنغلاديش وهي عبارة عن المساحة التي تفصل بين باكستان الشرقية والغربية.
 2. وقد تكون الدولة المجزأة عبارة عن مجموعة من الجذر مثل اليابان والفلبين واندونيسيا وبريطانيا.
 3. والنمط الآخر من تجزئة الدول هو الذي تكون فيه أجزاء من الدولة على اليابسة أمّا بقية مناطقها فتتكون من جذر وسط المسطحات المائية مثال ذلك اتحاد ماليزيا. (22)
- وتكون فيه الدولة من الصعب تعيين مركزها الهندسي الدول الإفريقية. وهذا النمط يؤدي إلى عرقلة حركة الاتصال ويقلل أو يعوق الاتصال بين أقاليم الدولة وتماسكها (مالي - الصومال). هذا الشكل من شأنه أن يترك العاصمة بعيدة عن أقصى الشمال والجنوب مما يصعب الوحدة الوطنية. (23)
4. المناخ : للمناخ أثر واضح على حيوية الإنسان ونشاطه كما يؤثر في منجزاته الحضارية. كما له تأثير في قوة الدولة. الظروف المناخية تتصل بالنباتات الطبيعية وبالغلات الزراعية وهذه تؤثر على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للدولة. فالمناخ يؤثر على تنوع الإنتاج النباتي والحيواني والغابي وهذا يساعد الدولة على الوصول إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي. والأصول المناخية الملائمة تزيد الطاقة الإنتاجية للدولة على ما هو عليه في الدول ذات المناخ الأقل ملائمة (24)
- حيث تتمكن من توفر الغذاء للسكان بقدر كافٍ ومتوازن وهو من أهم الأهداف الأساسية للتنظيم الداخلي للدولة والذي يعين على تعزيز استقلال الدولة اقتصادياً وسياسياً وبناء قوتها بحيث تكون قادرة على اتخاذ القرار وتنفيذه بإرادتها الذاتية. ولكن تنوع المناخ قد تكون له نتائج سلبية. فظاهرة ارتفاع درجات الحرارة وانخفاضها وظاهرة الجفاف من الظواهر المناخية التي تعيق إلى حدٍ ما النشاط البشري ومن ثم تطوره كقوة سياسية. فالمناطق ذات درجات الحرارة المنخفضة (المناطق القطبية والمناطق ذات درجات الحرارة المرتفعة والمناطق الصحراوية الجافة) لا يمكن أن يقوم فيها نشاط زراعي

22 نفس المصدر، ص 91 - 92.

23 عبد الرازق عباس حسين 1976م، مرجع سابق، ص 33.

24 حسن عبد القادر صالح 1976م، مرجع سابق، ص 22.

كما أنّ عدد سكان معظمها قليل لأنّها مناطق طاردة للسكان وكذلك المناطق الاستوائية ذات درجات الحرارة المرتفعة وترتفع فيها الرطوبة وذات التربة الفقيرة فإنّ هذه المنطقة قليلة السكان.⁽²⁵⁾ وهذه المناطق لا يمكن أن تكون نواة لدولة مهمة. أمّا المناطق ذات المناخ المعتدل فهذه المناطق مناطق حيوية لنشاط الإنسان. وهذه المناطق تكون ذات كثافة سكانية عالية وتوجد فيها دول مهمة. التقدم الحضاري والتكنولوجي الذي شهده العالم لم يعد يسمح لظواهر المناخ السلبية أن تفعل فعلتها كما كانت في الماضي تفرض سيطرتها التامة على الإنسان. فتمكّنه من أن يستغل ثرواته الطبيعية ومياهه الجوفية في المناطق الجافة والحارة والباردة وجعل هذه المناطق مواقع للتطور السياسي وعلى نمط جديد من مراكز القوة في العالم.⁽²⁶⁾

5. التضاريس: للتضاريس دور كبير في تقدير قيمة الدولة فهي تحدد الخصائص الاقتصادية التي تتمتع بها الدولة كما تلعب دوراً كبيراً في مدى استغلال الدولة لثروتها المعدنية والمائية إضافة إلى انعكاساتها الواضحة على الظروف المناخية والنباتية فيها فالدولة ذات الأراضي السهلية إذا توفر لديها عوامل المياه وملائمة المناخ فإنها تستطيع أن تستغل إنتاجها الزراعي والصناعي مضافاً إلى ذلك إمكانية انتشار العمران في ربوعها مما يساعد على النشاط البشري ويسهل حركة التجارة والمواصلات وينطبق هذا على سهول وادي النيل والوطن العربي وسهول لابلاتا بالأرجنتين وسهول الهندوستان بالهند وسهول المسيسيبي بالولايات المتحدة وسهول هوان كهو واليانجستي والسيكاينج بالصين وسهول ماري ودارلنج باستراليا والسهل الأوربي. فالسهول توفر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المناسبة للدولة حيث تعمل على وجود وحدة ثقافية بين المواطنين من مختلف المناطق كما يسهل الإشراف السياسي عن طريق الحكومة المركزية القومية. وينعكس أثر هذا بالتقدم الاقتصادي وحشد القوات العسكرية وتحريكها⁽²⁷⁾.

وبالقدر الذي تمتع به السهول من مزايا إيجابية إلا أنّ هنالك سهولاً تعاني من فقر ترباتها أو رداءة تصريفها أو قسوة ظروفها المناخية فهي في هذه

25 عبد المنعم عبد الوهاب 1977م، مرجع سابق، ص 100 - 101.

26 عبد المنعم عبد الوهاب 1977م، مرجع سابق، ص 101 - 102.

27 محمد محمد ابراهيم الديب 1973م، مرجع سابق، ص 105.

الحالة ليست بذى قيمة فعالة للدولة فضلاً عن كونها تعمل على تيسير عملية غزوها من قبل الجيوش المعادية لدول الأراضي السهلية لأنها عادة ما تكون منطقة مفتوحة وبالتالي يسهل عبورها، أما الجبال فهي الأخرى لها مزايا وعيوب فالجبال كثيراً ما تتوفر فيها موارد عظيمة القيمة للثروة المعدنية والأعشاب والقوة المائية التي يمكن استغلالها في تنمية قوة الدولة سياسياً واقتصادياً. كما تعتبر الجبال عامل طبيعي لحماية الدولة من الاعتداءات الخارجية إلى حد ما.

كما تعمل الجبال في زيادة كمية الأمطار الساقطة والتي تغذي بدورها المياه السطحية والجوفية معاً ويمكن للدولة أن تستغل الجبال في الزراعة إذا استخدمت طريقة المدرجات كما تستغل الجبال أيضاً كمراكز سياحية سواء أكان للاصطياف أم لممارسة رياضة التزلج على الجليد وبذلك تعد مورداً اقتصادياً مهماً للدولة.

أما سلبيات الجبال تتمثل في تضيقها لمساحة الدولة وبالتالي ضعف إمكانياتها في الإنتاج الزراعي بالإضافة إلى أن الجبال تعمل على عرقلة وسائل النقل والمواصلات والحركة مما يؤثر على قدرة الدولة في السيطرة والتحكم في كل أجزائها كما تؤثر أيضاً في توزيع السكان حيث ينتشرون فيها انتشاراً غير منتظم في مجموعات موزعة لا يسهل الاتصال بها. وأخيراً تعتبر أشكال التضاريس عامل له خطورته في تنظيم إستراتيجية دفاع وهجوم الدولة. ولكن التأثير المستمر للتطورات الهائلة التي حدثت في مجال الهندسة والتكنولوجيا كان ولا يزال عظيماً على العوامل الجغرافية كالتضاريس مثلاً. (28)

6. الثروة الطبيعية : تؤثر هذه الثروات تأثيراً كبيراً في قوة الدولة السياسية إذا استغلت وطنياً وتمت المحافظة عليها وتنميتها والدفاع عنها وحمايتها. هذه الثروات تعد مفتاحاً للقوة القومية حيث أصبح امتلاكها يستخدم للتمييز بين الدول الغنية والفقيرة. كما أن إمكانية وسهولة الحصول عليها يعتبر بمثابة دلائل لتعزيز قوة الدولة اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وترتقي بعض الثروات الطبيعية إلى مرتبة الموارد الإستراتيجية (كالبترول واليورانيوم مثلاً التي لا غنى للدولة عنها)

- وأن أساس الثروة الطبيعية لأيّة دولة أو منطقة فإنّه يتكون من عناصر الأرض والهواء والبحر مضافاً إليها الموقع وبذلك فهي تشمل:
- أ. الموارد المعدنية: وتعنى المعادن وموارد البناء والبتترول والمياه الجوفية والتربة والفحم.
 - ب. النبات الطبيعي: وتشمل الغابات والحشائش والأعشاب.
 - ج. الموارد الحيوانية: وتشمل الحيوانات البرية والبحرية. إنّ تواجد هذه الثروات وتنوعها في الدولة يكسبها إمكانيات اقتصادية كبيرة وهذا يتيح لها بناء قوة سياسية فعالة وتبرز أهمية عناصر الثروة الطبيعية من خلال الدور الذي تلعبه كل حسب اختصاص ومجال استعماله وهدفه. فعندما يتوفر الغذاء للإنسان حيث أصبحت مسألة الغذاء مسألة حيوية فقد أصبحت الدول تهتم بحماية ثرواتها الطبيعية النباتية والحيوانية وصيانتها لتحقيق توفير الغذاء. أما المعادن بأنواعها المختلفة ذات أهمية فائقة تتوقف عليها قوة الدولة لأن الصناعات الحديثة تعتمد على المعادن بشكل أو بآخر. ⁽²⁹⁾ ونظراً للتوزيع غير العادل أو المتوازن للثروات الطبيعية في أنحاء الأرض فإنه لا توجد دولة يمكنها أن تحقق لنفسها منها كفاية ذاتية كاملة ⁽³⁰⁾ مصادر الطاقة في هذا العصر تحتل موقع متميز بين أصناف الثروة الطبيعية ويأتي في مقدمتها البترول لأنه يعتبر من المصادر المهمة للصناعة والمواصلات والحصول عليه بصفة مستديمة يعتبر من الأمور المهمة بالنسبة لقوة الدولة.

المبحث الثاني: المقومات الطبيعية للسودان وأثرها في تقييم وزنه السياسي

وهي تشمل موقع الدولة ومساحتها وشكلها كما تشمل التضاريس والظواهر والمناخية والنباتية وموارد الثروة الطبيعية:

1. الموقع: ندرس الموقع من ناحية الأتي:

- أ. الموقع الفلكي ب. الموقع بالنسبة لليابس والماء ج. الموقع بالنسبة للدول المجاورة
- أ. الموقع الفلكي : وهو الموقع بالنسبة لخطوط الطول ودوائر العرض حيث يقع 21° 49 ق 34° 38 ق ودوائر العرض 8° 23 ش 45° 8 ش. وهو يمثل منطقة

29 حسن حمزة بندقجي 1974م، الدولة دراسة تحليلية لمبادئ الجغرافيا السياسية، القاهرة، ص 67.

30 أمين محمد عبد الله، مرجع سابق

انتقالية طبيعية بين شمال إفريقيا شمال الصحراء وإفريقيا جنوب الصحراء وهو يقع في المنطقة المدارية الحارة ويؤدي هذا الموقع إلى التنوع المناخي حيث يوجد المناخ الصحراوي وشبه الصحراوي والسافانا ومناخ البحر الأبيض المتوسط وهذا يؤدي إلى تنوع الإنتاج الزراعي والغابي والرعي.⁽³¹⁾

ب. موقع السودان بالنسبة لليابسة والماء: السودان يطل على جبهة بحرية واحدة تقع على البحر الأحمر يوجد بها ميناء بورتسودان وسواكن يبلغ طولها 875 كلم (أنظر خريطة رقم 1) وهذه الجرف لا تتناسب مع الحدود القارية فالحدود القارية أطول منها لأن إجمالي طول الحدود الأرضية 6,780 كلم. وهذه الجبهة هي التي يصدر عن طريقها صادراته ويستورد عن طريقها واردته وهي ثغرة السودان الوحيد⁽³²⁾ وقد أعطته موقع إستراتيجي حيث تمر بها السفن التي تعبر قناة السويس إلى الشرق الأوسط والخليج العربي لتتنقل البترول.⁽³³⁾ وعن طريق هذه الجبهة يستطيع أن يتصل مع العالم الخارجي.

ج. موقع السودان بالنسبة للدول المجاورة: السودان هو إحدى الدول الأفريقية التي لها عدة جيران حيث تحيط به سبعة دول وهي (مصر، وليبيا، وتشاد، وأفريقيا الوسطى، اريتريا، أثيوبيا، جنوب السودان)⁽³⁴⁾ (أنظر خريطة رقم 1) مجاورة الدول لبعضها البعض يؤثر دائماً في علاقتها بالسلم والحرب على حد سواء فكلما طالت الحدود بين الدولة وجيرانها كان لها تأثيرها الفعال كما في حالة السودان. ففي حالة السلم فإن قوة العلاقة بين هذه الدول تكون السمة السائدة وتكون العلاقة جيدة وتصبح هذه الحدود عاملاً مساعداً على النشاط التجاري والتوجه الاقتصادي. أما إذا كانت الدول ليست على وفاق فإن طول الحدود وكثرة الجيران، فإنه يصبح أحد مكامن الخطورة على الدولة وهذا في حالة الحرب. ولذلك يجب على الدولة أن تحسن علاقتها مع دول الجوار.⁽³⁵⁾

2. مساحة السودان : تبلغ مساحته 1,882,000 كلم². مقارنة بدول العالم

31 وزارة الإعلام 2011، مرجع سابق، ص 6

32 وزارة الإعلام 2011، مرجع سابق، ص 6

33 فائز محمد العيسوي 2000م، مرجع سابق، ص 74.

34 وزارة الإعلام 2011، مرجع سابق، ص 6

35 فائز محمد العيسوي 2000م، مرجع سابق، ص 71.

16 عالمياً و2 إفريقياً و3 عربياً فهو دولة ذات مساحة كبيرة.⁽³⁶⁾ وتتضمن هذه المساحة الكبيرة إمكانيات هائلة وجملة من المصادر الطبيعية المتباينة والتي تكفل احتمال الغنى والثراء. وتتمثل هذه الإمكانيات في صور نباتية وتربات متنوعة ومساحات زراعية هائلة والتي تقدر بـ200 مليون فدان من الأراضي القابلة للزراعة وتكفل الصور النباتية الغنية بالأعشاب والحشائش ظروف طبيعية لثروة حيوانية هائلة من أبقار وأغنام وماعز وإبل وضأن وحيوانات برية كما يحتوي السودان على العديد من المعادن حديد وذهب وكروم وزنك ومايكا وبتروول.⁽³⁷⁾ لا شك أن هذا التنوع في موارد الثروة الطبيعية إذا استغلت تساعد على التكامل الاقتصادي بين أقاليم الدولة وهذا يحقق الاكتفاء الذاتي بين الأقاليم أما من الناحية العسكرية تعتبر مساحته الواسعة لديها ميزة حيث تحقق ما يسمى بالعمق الإستراتيجي أو الدفاع في العمق. حيث يصبح من السهل على الجيوش أن تتراجع في وجه العدو وتعود مرة أخرى بعد أن تستعيد قوتها. وهذه المساحة الكبيرة تكون ذات قمة إذا استطاع السكان استغلال هذه الموارد وتحويلها من موارد طبيعية إلى موارد اقتصادية.⁽³⁸⁾ وأن يكون توزيع السكان وكثافتهم مناسب وعادل في جميع أنحاء الدولة ولكن نجد أن السودان يعاني من خلخلة في توزيع السكان وكثافة منخفضة. وهذا يؤثر على استغلال الموارد. كما نجد أن أرضه السهلية ساعدت على أن تتصل العاصمة بجميع أنحاء البلاد بشبكة نقل جيدة وهذا يساعد على استغلال الموارد.

3. شكل الدولة: شكل دولة السودان منتظم.⁽³⁹⁾ لأن العاصمة تأخذ فيه موقعاً وسطاً وهذا الشكل يوفر لجيش الدولة المساحة الكافية التي يمكن أن يتقهقر فيها الجيش إذا استدعت الظروف كما يمكن من إنشاء شبكة نقل ومواصلات جيدة تربط العاصمة مع أنحاء الدولة مما يسهل من حركة النقل والتجارة في الدولة. كما أنه يمكن للحكومة أن تتحكم في أجزاء الدولة وأن تحفظ الأمن في ربوعها. كما يساعد الشكل المنتظم على انصهار سكان الدولة في بوتقة واحدة.

36 وزارة الإعلام، 2011، مرجع سابق، ص 6

37 صلاح الدين الشامي 2000م، السودان داسة جغرافية، منشأة المعارف الإسكندرية،

38 صلاح الدين الشامي 1999م، دراسة في الجغرافيا السياسية، منشأة المعارف الإسكندرية، ص 367 - 368.

39 نفس المصدر، ص 365.

4. المناخ: نظراً لامتداد السودان في مساحة كبيرة تتعدد فيه المناخات كما ذكرنا وهذا يساعد على تنوع الإنتاج النباتي والحيواني والزراعي كما يؤدي إلى تنوع الصادرات وهذا يساعد الدولة على مرحلة الاكتفاء الذاتي كما أن للتنوع المناخي أثر كبير في توزيع سكان السودان فالمناطق الصحراوية ذات درجات الحرارة العالية والقليلة المياه يقل عدد سكانها أما المناطق ذات مناخ السافانا حيث المطر يهطل فيها ويكثر فيها عدد السكان وهي المناطق الوسطى من السودان وتوجد في هذه المنطقة عاصمة الدولة وتتمركز فيها القوى الاقتصادية والسياسية.
5. التضاريس: تلعب دوراً في قوة الدولة. فالأرض السهلية للسودان⁽⁴⁰⁾ تساعد الدولة على استغلال الموارد الاقتصادية من الإنتاج الزراعي والصناعي كما تساعد على إقامة العمران وامتداده وتساعد على سهولة النقل والمواصلات بين أجزاء الدولة إلا أنها لها عيوب من أهمها تكون الحدود مفتوحة ويسهل غزو الدولة. أما الأرض الجبلية بالسودان من مميزات أنها تحتوي على ثروة معدنية.
6. الثروات الطبيعية: تلعب دوراً مهماً في قوة الدولة والتي يمتلك السودان منها الكثير.⁽⁴¹⁾ والتي تتمثل في الموارد والثروات المعدنية و النباتية والحيوانية.⁽⁴²⁾ فالثروات المعدنية المتمثلة في البترول والمعادن فهي القوة المحركة والتي تعتبر عوامل القوة والسيطرة للدولة على المستوى العالمي فإذا استغلت هذه الموارد واستخرجت تزيد من قوة دولة السودان اقتصادياً.

الخاتمة

والتي تحتوي على النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج: النتائج التي أمكن الحصول عليها من هذه الدراسة.

1. أن موقع السودان الفلكي ساعد على تعدد المناخات فيه وأدى هذا إلى تنوع نباتي وزراعي وحيواني ويؤدي هذا إلى تنوع الصادرات الزراعية والحيوانية والنباتية وبالتالي تزداد قوة الدولة اقتصادياً.
2. يطل السودان على جبهة بحرية واحدة على البحر الأحمر تساعده على اتصاله

40 وزارة الإعلام 2011، مرجع سابق، ص 6

41 صلاح الدين الشامي 1999م، مرجع سابق، ص 367..

42 وزارة الإعلام 2011، مرجع سابق، ص 7

3. موقعه بالنسبة للدول المجاورة تحيط به سبع دول وهذا يؤثر عليه في حالة السلم والحرب.
 4. للسودان مساحة كبيرة تجعله يمتلك إمكانات هائلة من الموارد الطبيعية إذا استغلت استغلالاً حسناً فإن هذا يؤدي إلى قوة اقتصاده وازدهاره وإلى زيادة قيمة وزنه السياسي.
 5. شكل دولة السودان منتظم.
 6. السودان له أرض سهلة تمكنه من إقامة النشاط الزراعي والصناعي والامتداد العمراني وسهولة الاتصال بين أجزائه عن طريق وسائل النقل والمواصلات وهذا يعطيه وزناً اقتصادياً وسياسياً.
 7. يمتلك السودان ثروات طبيعية هائلة ومعادن ونباتات وحيوانات وموارد القوة المحركة (بترول، فحم، غاز طبيعي) وهذه إذا استغلت تؤثر على قوة الدولة الاقتصادية والسياسية.
- مما تقدم يتضح أن المقومات الطبيعية للسودان لعبت دوراً كبيراً في تقييم وزنه السياسي.

ثانياً التوصيات:

خرجت هذه الدراسة بالتوصيات الآتية:

1. أن يستفيد السودان من موقعه الفلكي الذي أدى إلى تنوع المناخات فيه والذي أدى إلى تنوع الإنتاج الزراعي والنباتي والحيواني بأن يستغل ذلك بتعدد صادراته كي يصبح دولة قوية اقتصادياً
2. على السودان أن يستغل الجبهة البحرية والتي يجد عن طريقها الوسيلة المباشرة للاتصال بالعالم الخارجي والحركة المرنة وإمكانية الاشتراك الحر في حركة الملاحة والتجارة الدولية.
3. لأن موقعه بالنسبة لدول الجوار يؤثر في علاقته معها في حالة السلم والحرب يجب على الدولة أن تحسن علاقتها مع دول الجوار لتعيش في سلم وتصبح هذه الحدود عامل مساعد على النشاط التجاري والتوجه الاقتصادي.

4. على السودان استغلال الموارد والثروات الطبيعية الهائلة التي تحتوي عليها مساحته الكبيرة.
5. على السودان أن يستغل أرضه السهلية بأن يتوسع في الإنتاج الزراعي والغابي والحيواني والصناعي والعمراني. وأن ينشئ شبكة نقل ومواصلات جيدة تربط جميع أنحاء السودان مع بعضها البعض.

Moses was less important in the structure of the story i.e.(flat character). The language of it is the language of dialogue, so that it can be changed into drama. Also the story can be read in one session, however it does not need much time to read it thoroughly.

The story shows us that there is no all-knowing person on earth, but Allah the greatest is the only all-knowing. Also the story teaches us that: “ being patient is not an easy behavior). What we can get is that: dialogue as communicative technique is the best way to be adopted in learning new information. The researcher thinks that this is one of the challenging miracles of the stories of the holy Quran particularly, and the holy Quran in general. The researcher feels that other notions might be still not researched, therefore he recommends the following:

1. The communicative approach to teaching is implicitly depicted

In this story, so the researcher recommends and encourages researchers, specifically teachers to conduct other papers or researches to explain it.

2 . Also journeys for comprehensive knowledge must be prepared. That can be a gained lesson from this journey. This notion needs another research.

3. The researcher recommends that teachers have to conduct a research to discover the way of motivation that Al-Kidir adopted to arouse Musa’s aptitude to learn from him. Al- khidir says: Surely you can not have patience with me, and how can you have patience in that of which you have not got a comprehensive knowledge?. The researcher thinks that is a signal which proves that curricula of (knowledge) should be imposed in students backgrounds. And students must be reoriented by the syllabus thoroughly before they start studying it, so as to have patience for leaning it.

4. The researcher recommends dramatists to dramatize this incident as educational sketch.

5. The researcher recommends that, this incident should be taken as a sample of the educational methodology for learners to adopt by their teachers or instructors.

7. Also we can infer from this story, the motto of apologizing to others , and after that evidence is a must in justifying or proofing things. The researcher sees that all these benefits can be inferred from this short story.

The results

The researcher sees that this story separately can be classified as a short story for the reasons the researcher asserted previously in the introduction, and to remind the reader about some crucial conditions which must be available so as to justify this story as a short story, the researcher comes out with the following results:

1. This story conveys one idea, here is searching for comprehensive knowledge. Moses travelled a long exhausting journey for meeting Al-khidir, to know the science which was known by Al-kidir, but he did not. That of course was revealed to him by Allah the all-knowing. So this result gives a proof to justify this story as a short story
- 2.The short story is narrated in a limited or précised form. And this condition is fulfilled in this story, the form of it is short enough to encourage the reader to follow it in one session. This is another condition to consider this story as a short story.
3. The characters are few, only two main characters, Moses and Al-khidir (peace upon him). This supports the hypotheses of the paper .
- 4.This story includes all other elements of narrative, like (theme, setting, characterization, conflict, plot...etc), this shows that this incident can be considered as a story with its own characteristics.
- 5.It can be read and comprehended in one session, or while travelling from place to another. This is one of the merits of a short story.

Comments on the Story and Recommendations

The story, as the researcher mentions with its separate form, looks like a short story because it conveys one idea which is “travelling or searching for comprehensive knowledge. It is essential and preferable”. Characters are only two, and the role of the young man who accompanied

other hand the holy Quran narrate the stories in a more creative way, i.e. the form of the story can be read as along story or a(novel), and can be recognized also as incidents. We can read the story in both forms, short story as incidents and images, and along story which indicates a novel. For example this story of Moses (peace be upon him) can be treated as along story and as a short one!. Look at the story between him and Shuaib. When left Egypt searching for security, between him and Pharaoh, between him and Al-Kidir...etc these images can be treated as short stories with all the characteristics of short stories!. On the other hand, when you join them together they give you a form of along story which can be considered as a novel!. to the researcher this is an amazing literary creation. This let the researcher considers that the Holy Quran is really a concrete source of literary aesthetics if researchers study, search and analyze the contents in a researching way and wisdom.

The General Benefits and Results we may Infer from this Story

Saad Abu-Aziz in his book (Stories of the Holy Quran. p 414) mentioned eight benefits from this story as follows:

1. The journey for knowledge is preferable, and increasing knowledge is truly objective.
2. It is permissible to ask for feeding when there is a need.
3. Any person must not claim that he is the all-knowing, but must believe that the Almighty Allah is the only one who knows what has happened, and what will happen thereafter.
4. being humble and active is very important than claiming that you are all-knowing.
5. encouraging being modest and patient in searching for knowledge, and not to assume that you are the knower.
6. being a true believer of what Allah the almighty destines to you. Some things occur and they may come out of your knowledge. majority of people may not understand how incidents happen to them, and what significances behind that!. Only Allah the all-knowing knows,

2.The Killing of a Boy who was Non-Believer:

They proceeded, and they came to some boys who were playing. Al-khidir caught one of them, (who was a non-believer) and killed him, Moses rejected that action and Al-Khidir reminded him to keep the agreement firmly. Moses requested him not to blame him for what he had forgotten. Then he promise not to ask Al-khidr again a bout what he would do!. However Moses could not stay patient. The third incident verified that. Of course that was the will and estimate of Allah who is the Almighty, the Al-knowing.

3. The Building of Wall which was a bout to Fall, in a Town, where the People refused to welcome them:

Then they continued their journey. They entered a town, and asked the people welcome them, but they refused. Al-Khidir found a wall which was a bout to fall in that town. He built it again. Moses criticized that action: “ if he had wished, he could have taken wages for it”. So Al-Khidir told Moses that was the departure between them. Then he explained all the things that he had done, and on which Moses could not hold patience. He also revealed to him that, he was commanded by Allah the all-knowing to do so those actions were not done by his own will or intention. That was the story between Moses and Al-Khidir (peace be upon them). The researcher thinks that it was a journey not for money or marriage, but the ultimate cause was comprehensive knowledge. The researcher thinks that this can be considered as a concrete reason for journeys. And he required about the way of preparing food for travelling. The researcher asked himself: Why did Moses (peace be upon him) take fish as food for travelling, instead of other kind of food!?

The Miraculous Creation of the Narrative of the Holy Quran

It is obvious to find a novel or short story in one form, in a chain of series of incidents which is called (plot). As a reader you have to read it thoroughly to amuse yourself, but if you miss a section of these incidents from the story, the image or even the structure of the story will be confused and you may feel it is an incomplete story. On the

the next day. The young man forgot to inform his boss about the missed fish. They became tired. Moses asked his companion to bring them their dinner. Yusha informed him that the fish got into the sea while he was sleep. Then they had a rest at a rock. Moses who was revealed to him what will happen did not feel angry!, and he followed the traces of the fish in the sea, where Allah the most Powerful caught the current of the sea, so that the traces of the fish looked as if they were on a sand!. When they reached the mentioned rock they saw a man who sat on a green carpet, and covered himself with a (thobe). So Moses greeted him with (Salamu Alaikum). He responded the greeting, and asked Moses who he was. Moses told him that he was Moses Bin Omran, the Prophet for the Jews. Alkhidr asked him about the reason of the journey. Moses told him that he came searching for him in order to teach him knowledge from what he has been taught and informed!. Al- Khidir told him that he would not be able to hold patience with him, but Moses insisted to follow him. By the aid of Allah, he will find him patient. Moses accompanied Al-Khidir on condition that he should not ask him about what he would do. So far Moses (peace be upon him) could not be able to fulfill the condition between him and Al-akhidir . And he asked Al- khidir about any- thing he did. At last Al-Khidir explained to Moses all the secrets of what he had done.

The Knowledge of “No all- knowing, but only Allah is the all knowing”

1. Al-kidir Scuttled the Ship:

Then they proceeded in the teaching journey with an agreement that Moses should never asks him till Al-Khidir himself mention it to Moses!. So they proceeded till they got into a ship. Later Al-Khidir scuttled it, Moses asked him: “you have scuttled it to make its people drown? Al-Khidir reminded Musa about his promise to keep patience. Moses promised him not to be hasty and hotheaded again. The benefit we get is that: Man kind is usually in a hurry and wants to discover the results of any coming new issue or incident at once, he does not keep patience.

Theoretical Background

What is short story:

It is the story which has one theme or message and limited characters, usually two characters. It is simple and not complex. Woolf in her book "Literature" Burgess in his book "English Literature" asserts that : " it is the story which can be read in one session". According to this notion the researcher can say that the incident between Al-Khidir and Musa separately represents a short story, and as the incident between him and Pharaoh and between him and Shuaib(peace be upon him). The story is full of such images. The literary amazing fact is that, each image acts as a short story, and all the images gathered together form a long story, of a novel merits!.

About the Story of Prophet Moses (Peace be upon him)

What is the Reason of the Story?

Ibn-Abass said: " One day Moses addressed children of -Israel and then the audience asked him about the most learnt man? Moses answered that he was the most learnt person!. Then Allah (the All-Knowing) blamed him for not referring the knowledge to Allah (the All-Knowing). So Allah revealed to Moses that there was a man who knows better than him. Moses asked Allah the Almighty to let him meet that man!. Allah told him to take a fish in "maktal", (a large bag). Then go searching for him in a certain direction. Allah revealed to Moses that he would find the man where he had lost the fish!.(Bokhari, in 65 book of interpretation Al-Kahf, Hadeeth 4725, 4727).

The Journey for Knowledge

Moses went searching for Al-Khidir accompanied by a young man named (Yusha),who was carrying the fish as food when travelling!. When they reached a certain rock, they slept because Moses became very tired. So the fish crept out of the bag where it was kept and went into the sea, but the young man who accompanied Moses did not wake up his boss. When Moses woke up they continued their journey until

2. It may turn the attention of people in general to the aspect of literature in the stories of the holy Quran
- 3 . It may explain one of the most interesting short stories of the holy Quran which indicates searching for comprehensive knowledge.
4. Also it may explain the amazing style of the Holy Quran in narrating a story, i.e. if you look at the story as a whole, it looks like a novel, but when you read it in terms of incidents separately, they look like short stories!. This style may not be found in narrating stories which are written by human being.

Questions of the Study:

- 1.How dose the Holy Quran narrate the story of Moses?
2. Is the story of Moses and Al-khidr a short story?
- 3.What are the benefits that this story provides?

Hypotheses:

1. The Holy Quran narrates true stories, in imagery incidents (plot).
2. The story of Prophet Moses and Al-kidir(peace be upon them) represents a short story.
3. We can gain family and social benefits from this story.

Significant of the Study:

The study shows how the Holy Quran narrates stories. Also the study reports the importance of the interaction between learner and teacher. On the other hand , the story shows one of

the tools of communicative approach to learners i.e. (Dialogue)

Methodology of the Study:

The researcher use the content analysis and the descriptive methodology to accomplish the dimensions of this story.

Scope of the Research:

The limits of this research about the story of Prophet Moses and Al-khidr (peace be upon them) that concern the story between Al-Khidr and Moses (peace be upon them) form the whole story.

The Nonfictional Short Story of Prophet Moses and Alkhidr (A Journey for Comprehensive Knowledge)

Dr.Abdalla Alsheikh Mohammed Hassib¹

Introduction

This is one of the tenth images of the whole story of Moses (peace be upon him). The researcher thinks that it is a short story because it has one idea: Which is (searching for knowledge) as Saad Yusuf Abu Aziz asserted in his book “The Stories of the Quran Lessons and instructive Admonition”(p.414), The limited characters (Moses and Al-Khidir) and the dialogue between them. So far these are the characteristics of a short story when we treat it separately. On the other hand, it is an image of a long story of prophet Moses (peace be upon him). and one of the ten images that comes in ten locations through the Holy Quran, comprising one story i.e. the story of Prophet Moses. At this level the story is nearly to be classified as a novel rather than a short story. So the researcher sees this is one of the literally miracles of the Glorious Quran.

The Problem of the Research:

The stories of the holy Quran are true and rich of many literary, humanitarian and social values, but unfortunately Muslim writers do not research, present or introduce these values to people. This actually let Non-Muslims to describe Muslims’ literary communities with literary-poorer communities. The researcher in this paper tries to explain that the Holy Quran is very rich enough with literary values, and those who say this falsehood are either negligent or ignorant of this immortal book (the Holy Quran).

The Objectives of the Study:

The study objectives are as follows:

- 1 .This paper may present one of the literary creations of the stories of the Holy Quran, i.e. an incident from a long story(story of Prophet Moses (peace be upon him), in a form of a short story.

1 School of languages –University Holy Quran and Islamic Sciences